

الموسمى

الظرف والظرفاء

رؤى الطيب محمد بن اسماوى بن يحيى الهمداني

تحقيق

الطيب

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م

ملازم الطبع والنشر

مكتبة الخانجي

شارع عبد العزيز بمصر

الشيخ

الطريق والظرف

أبي الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى النعمان

تحقيق

الشيخ

الطبعة الثانية

١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة الخانجي

شارع عبد العزيز بمصر

مطبعة الاعتماد بمصر

قصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .
« وبعد » فهذا كتاب الموشى، أو « الظرف والظرفاء »^(١)، لأبي الطيب
محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء، الذى عاش فى النصف الأخير من القرن
الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة (٨٦٠ - ٩٣٦ م) .

وهو كتاب فريد فى بابيه، يمثل آداب عصر القرنين الثالث والرابع الهجريين.
ولقد رعى المؤلف إلى إعطاء صورة عن الرجل الظريف، وما يجب أن
يتحلى به من محاسن، وما يجتنب من مساوئ .
وعسى أن يكون هذا الكتاب أول ما ألف فى صور الظرف، وآداب

(١) كان المرحوم السيد محمد أمين الخانجى الكتبي أول من نشر هذا الكتاب بمصر،
وقد أطلق عليه « الظرف والظرفاء » وقدمه بهذه الكلمة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تباركت اللهم أحسن الخالقين . ونصلى ونسلم على نبيك سيدنا محمد الأمين وعلى آله
وصحبه أجمعين .

(وبعد) فأتى عند ما صدرت للاتجار فى الكتب صيب الله إلى نشر النافع منها فكانت
أرجع فى اختياري إلى مصنفات الصدر الأول لموقع اختياريهم فيما يدونوه من العلم فى كل
فن . وهذا كتاب عرف بالموشى تأليف أبى الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء أحد
أئمة الأدب فى القرن الثالث ومن أخذ عن أبى العباس محمد بن يزيد النحوى المعروف
بالمبرد وقعت إلى نسخة منه فانتقلت له اسم (الظرف والظرفاء) ليطلق مسماه ويكون
عنوانا على حليته وحلاده والله المستعان على كل حال

كتبه

محمد أمين الخانجى الكتبي

السلوك والليقان ، وهي ما تسمى الآن في العرف الأفرنجي « بالاتيكييت » ،
وانه ليدل على أن المسلمين قد شغلوا بهذه الصور ، وألفوا فيها ، قبل أن يشغل
بها الغربيون ويؤلفوا فيها بأكثر من ألف سنة .

الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية على عهد المؤلف :

كانت الدولة العباسية دولة فارسية ، يعاوها خليفة عربي ، فالفرس هم
الذين أوجدوها وأيدوها ، فكانوا ركن الخلافة وديعانتها ، وولاتها وساستها ،
وكفالاتها وقادتها ، ومشيرها ووزراءها ، ومفكرها وعلماءها ، وكتابتها وشعراءها ،
فاصلطغت الدولة بصبغة فارسية ، وتغلبت هذه الصبغة على الحضارة العربية .
وانتقلت الخلافة من بلاد العرب إلى العراق الفارسي ، واتخذت قصبته
بغداد ، أقرب الأمصار إلى بلادهم ، وأصبحت بغداد خلفا من المدائن .
وأطلق الخلفاء أيدي الموالى في سياسة الدولة ، فاستقلوا بشؤونها ،
واستبدوا بأمورها .

ودخلت في تكوين الدولة عناصر أخرى : تركية وسريانية ورومية
وبربرية ، وتمزج العرب بهذه العناصر بالتزاوج والتناسل ، واختلطت
المدنية الآرية بالمدنية السامية ، ولكل منهما لغسة ، وأخلاق وعادات ،
واعتقادات ، أثرت في الأخرى .

وبلغت الدولة في زمن العباسيين ذروة المجد والحضارة ، فعم الأمن ،
وكثر الخير ، واتسعت أبواب الرزق ، وتفرغ القوم للتمتع بما فاض لديهم ،
ورتعوا في بحبوحة العيش ، وتأنقوا في أنواع الترف ، من مطعم وملبس ،
وزخرف البناء والرياش^(١) والمعاش^(٢) وصقلت^(٣) طباعهم ، وركت أذواقهم ،

(١) الرياش : الزينة .

(٢) صقلت : جلّيت .

وأصبحت بدواتهم أترا بعد عين ، وأصبحتوا يتقبلون على الطنافس^(١) الحريرية
في القصور المذهبة تميذاً بها الخدائق الغناء ، ويلبسون الخز^(٢) والديباج^(٣) ،
ويطعمون الفالوذ^(٤) والسكباج^(٥) ، وهيات... زمان كانوا يحسبون فيه
الكافور^(٦) مدحا ، والرقاق^(٧) كأغدا^(٨) .

ولما أن اتسعت رقعة البلاد ، واختلط العرب بعدة شعوب ، وانتقلت
إليهم حضارات جديدة ، وظفت هذه الحضارات ، وانغمس الناس فيها ،
أخذت رهبة الدين تنحسر عن قلوبهم ، فاستمتعوا بكل ما حوت البلاد من
عيش ناعم ، وملك باسم ، وزهو ولهو ، وعزف وقصف .

ولقد أجلب الفرس على العرب بكل ما يصيب القلوب ، من سماع وشراب ،
وكواعب أتراب ، وأغرقوهم في بحر طام من السرف والترف^(٩) ، والمحارم
والمسأم ، وراح العرب يخطرون في مظارف^(١٠) الفرس ، ويلعبون في
ملاعب الفرس ، ويشربون في مشارب الفرس ، ويتأدبون بأداب الفرس ،
ويتخلقون بأخلاق الفرس .

وضعف سلطان الدين في قصور الخسافة ، واعتلى الحكم فيها ملوك
يتوارثون الحكم ، واطلقت الحرية في الدين ، فشاعت المقالات المختلفة في
الاحاد والسياسة .

(١) الطنافس : البسط ، ومفردها طنفسه (بضم الأول والثالث وكسرهما) .

(٢) الخز : نسج من الحرير والصوف .

(٣) الديباج : نسج من الحرير الخالص .

(٤) الفالوذ : حنواء تعمل من الدقيق والماء والعمل .

(٥) السكباج : مرق يعمل من اللحم والحل .

(٦) الكافور : صمغ أبيض قوي الرائحة يؤخذ من شجر الكافور .

(٧) الرقاق : الخبز المنبسط الرقيق . والكاغدا : الورد .

(٨) الترف : الترفه .

(٩) المطارف : جمع مطرف ، رداء من خز ذو أعلام .

وكان مما أفاء الفتح الاسلامي على العرب كثرة الجوارى ، فنفذن إلى الساحة العربية ، واقتنهن العرب ، وأقنعوهن في حياتهم ، فكان من عوامل بنائها الاجتماعي ، وسأيرت النساء العربيات في تكوين الأسر في الأوساط المختلفة ، حتى أصبح الجمهرة الساحة من خلفاء بني العباس من أولاد الجوارى (٣٦ من ٣٩ خليفة) .

ولما راجت سوقهن ، وكثر إقبال الناس عليهن ، غنى النخاسون وهو اليهن بأعداد من هذه الحياة على خير الوجوه وأكلمها ، فعملهن الرواية والشعر والاجازة والمضارحة والغناء ، وكلما نبغت جارية في هذه الضروب غالى صاحبها في الثمن ، واشتد في التقدير .

ولقد انتشرت تجارة الرقيق في ذلك العهد ، وكان في بغداد شارع يسمى « شارع دار الرقيق » اتهم في الفتنة بين الأمين والمأمون ، وبكاه شاعر في قصيدة طويلة آخرها :

ومهما أنس من شيء تولى فإني ذاكِرُ دارِ الرِّقِيقِ

واشتهر في ذلك العصر كثير من النخاسين في بغداد ، وسبب شهرتهم ما لهم من جوار حسان ، يأوي اليهن الشعراء والأدباء .

فمنهم نخاس يُكنى « أبا عمير » كان له جوار قيان طن ظرف ، وكان من جواريه جارية تسمى « عبادة » هو بها عبد الله محمد بن البواب فيقول :

لو تشكيتي ، أبو عمير ، قليلا لأتيساه من طريق العيادة

فقضينا من العيادة حقا ونظرنا في مقالي « عباده »

ومنهم « أبو الخطاب » النخاس ، كان له جارية تعرف بذات الخال ، كان

يهواها ابراهيم الموصلى .

ومنهم « حرب بن عمرو الثقفي » كان نخاسا ، وكان له جارية مغنية ، وكان

الشعراء والكتاب، وأهل الأدب يبتدأون إليها، سمونها ، وينفقون في منزله النفقات الواسعة ، ويربونه ويهدون إليه ، وفيه وفيه يقول أشجع :

أَشْكُو الَّذِي لَأَقَيْتَ مِنْ حُبِّهَا وَبُنِضَ مَوْلَاهَا إِلَى الرَّبِّ
 مِنْ بُنِضِ مَوْلَاهَا وَمِنْ حُبِّهَا سَقِمْتُ بَيْنَ الْبُنِضِ وَالْهَبِّ
 فَأَخْتَلَجَا فِي الصَّدْرِ حَتَّى اسْتَوَى أَمْرُهُمَا فَأَقْتَسَمَا قَلْبِي
 تَعَجَّلَ اللَّهُ شَفَائِي بِهَا وَعَجَّلَ الشَّقْمَ إِلَى حَرْبِ

وكان قصور الخلفاء والأمراء والأغنياء تخرج بالجواري والقيان ، من أهم متعددة ، تختلف في الطباع والعادات واللغات ، وكانوا يتخذون منهم ، في مجالس الأئس وليالي الصفو ، بلابل يصدحن بأعذب الألحان ، بين رنين الكؤوس وبهجة الندمان .

ويقول أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني : ودخل أحمد بن صدقة على المأمون في يوم السعائين^(١) ، وبين يديه عشرون وصيفة جلها روميات مزيرات ، قرنين بالديباج الرومي ، وعلقن في أعناقهن صلبان الذهب ، وفي أيديهن الخوص والزيتون ، فقال المأمون : ويلك يا أحمد ، قد قلت في هؤلاء أبياتاً فغنى فيها ، ثم أنشدني :

ظَبَاءٌ كَالذَّنَائِرِ مِلَاحٌ فِي الْمَقَاصِيرِ
 جَلَاهُنَّ السَّعَائِينَ عَلَيْنَا فِي الزَّنَائِرِ^(٢)
 وَقَدْ زَرَفْنَ أَصْدَاغًا كَذُنَابِ الزَّرَازِيرِ^(٣)

(١) يوم السعائين ، عيد النصر ، ويسمى عيد الزيتونة ، والسعائين ، وتفسيره بالعربية : التسبيح ، ويعملونه في سابع أحد من صومهم .

(٢) الزنار : ما يشد على الوسط .

(٣) زرفن شعره : جعله كالزرافين ، وهي الخلق الصغير واحدها زرفين ، الزرازير : جمع زرزور ، طائر من نوع العصفور .

وأقبلن بأوساطه سماءاً وساطة الرنايبر

ودعاهم الشغف بالغناء الى تعليمه الجوارى ، للتمتع بمنشأهن ومنظرهن
معاً ، وتعلم الغناء استتبع تعلم الأدب ، لأن الناس في ذلك العصر كانوا يتغنون
بالشعر العربي الفصيح ، والمغنية لا تحسن أن تغنى هذه الأشعار إلا إذا حفظت
كثيراً من الشعر ، وأجادت بخارج الحروف ، واطلعت على كثير من الأدب .
ولقد نبغت الجوارى في العصر العباسى نبوغاً عظيماً ، ووصل فن الغناء
على أيديهن الى أبعد غاية من التقدم والرفق ، وعنى العباسيون بالمتأديات
النايات منهم ، حتى قيل ان الرشيد اتخذ ألقي جارية في قصره ، لكل منهن
صنعة وفن وميزة في الأدب والموسيقى والنظرب .

ورغب الناس في الجوارى ، ولاسيما المتأديات المغنيات منهن ، وتنافسوا
في شرائهن أسوة في ملوكهم .

وتسربت روح الأدب من الجوارى المتأديات الى طبقة من بنات
اليوتات ، فكان للجوارى أثر كبير في انطلاق الكثيرات الى قرض الشعر
ومطارحة كبار الشعراء .

وكان لمجالس الخلفاء العباسيين روح دنيوية ، وكانت مجالس الغناء في
عصر الرشيد والواثق وأمثالها من خلفاء بني العباس تعد من عجائب الفن .
وكان من أثر الجوارى في الأدب قرضهن الشعر في أغراضه المختلفة من
مدح وهجاء ورثاء وغزل وعتاب ووصف ، لأن أعدادهن لتلك الحياة
العربية الرائعة الفخمة نبت في كثير منهن ملكة قرض الشعر ، لحسن استعدادهن
الفطري ، وكثرة ماروين من الأشعار الكثيرة في الأغراض المختلفة .

ويقول الجاحظ في رسالة القيان : وتروى الحاذقة منهن أربعة آلاف
صوت^(١) فصاعداً ، يكون الصوت فيما بين البيتين الى أربعة أبيات ، عدا ما يدخل

في ذلك من الشعر ، اذا ضرب بمضه ببعض كان من ذلك عشرة آلاف بيت . . .
وكان كثير من هؤلاء اباؤاى يحسن الشعر وصناعته ، كما يحسن البناء ،
وكن يدافعن الشعراء والمخنيين بالمناكب ، ويشرفن على الشعر العربى حلة
مذهبة النسيج ، واضحة النهج ، صفية الديباجة ، خفيفة الروح .

ركان العصر العباسى عصر مطاردة للشعر بين الرجال والراوى ،
يبتدى الشاعر بببيت من الشعر ، فتعارضه الجارية بمثله على وزنه ورويّه في
بقية معناه ، وأكثر ماتكون الغلبة للنساء ، فقد كن أسرع بديهة ، وأرق طبعاً
ومن حديث ذلك ان اعرابيا ذهب إلى عنان جارية الناطقى ، وصاحبة
أبى نواس : فقال : بلغنى انك تقولين الشعر ، فقولي بية ، وكان السلولى
الشاعر عندها ، ففالت : قل أنت يا عم ، فقال السلولى :

لقد جدّ الفراق وعيل صبرى عشية غيرهم للبسين زمت

فقال الأعرابى :

نظرت إلى أواخرها ضحياً وقد بانّت وأرض الشام أمّت

ففالت عنان :

كتمت هواكم فى الصدر منى على أن الدموع على نمت

فقال الأعرابى : أنت والله أشعرنا ، ولولا أنك بحرمة رجل لقبيلتك ،

ولكننى أقبل البساط .

وقال بكر بن حماد الباهلى : لما انتهى إلى خبر عنان جارية الناطقى ،
وأنها ذكرت لهاون الرشيد ، وأنها أشعر الناس ، خرجت معترضاً لها ،
فمأراعى إلا الناطقى مولاها ، فقال لى : هل لك فيما سمنح من طعام وشراب ،
ومجالسة عنان ، ففالت : ما بعد عنان مطلب ؛ ومضينا حتى أتينا منزله ، ثم دخل ،
فقال : هذا بكر شاعر باهلة يريد مجلسك اليوم ، ففالت : لا ، والله إنى

أنكسلاته ، فحمل عليها بالسوط ، وقال لي : ادخل ، ودمعها يتحدر كالخجان ،
فقلت أجزى :

هذي عنان أسبلت دمعها كالدرُّ إذ ينسل من خيطه
فقلت :

فليت من يضربها ظالمًا تحفُّ كغفاه على سوطه
ثم أشدتها :

فما زال يشكو الحُب حتى حسبته تنفس في أعشائه فتسكها
فقلت :

ويبيكي فأبكي رحمة لبكائه إذا ما بكي دمعاً بكيت له دما
فقلت لها : فما عندك في إجازة هذا البيت ؟

بديع حسن بديع صد جعلت خدي له إلاذا
فأطرقت ساعة ، ثم قالت :

فصائبه فعتفوه فأوعده ، فكان ماذا ؟

فإذا قدر الانسان الزمن الذي قيلت فيه هذه الاجازة ، أصبح في غنى عن
التعليق عليها ، والاعجاب بقدره عنان ، والثناء عليها في موقف كهذا ، قد
يعجز أنبغ الشعراء .

ومن بديع المطارحة أن علي بن الجهم ألقى على فضل الشاعرة بحضرة
المتوكل بيتاً غريب الثقافة ليعجزها ، فقال :

لاذ بها يشتكى اليها فلم يجد عندها ملادا

فما لبثت أن قالت :

ولم يزل ضارعا اليها تهطل أجفانه رذاذا
فعاتبه ، فزاد عشقا فمات وجداً فكان ماذا ؟

ولما دخلت فضل على المتوكل قال لها : أشاعرة أنت ؟ قالت : كذا زعم
الذي باعني واشتراني ، فضحك وقال : أنشدنا شيئاً من شعرك ، فقالت :

استقبل الملك إمام الهدى عام ثلاثٍ وثلاثيننا
خليفة أفضت إلى جعفر وهو ابن سبعٍ بعد عشريننا
أنا لئرجو يا إمام الهدى أن تملك الناس ثمانيننا
لا قدس الله أمراً لم يقبل عند دعائي لك : آميننا

ولما أُكرهت محبوبة ، جارية المتوكل ، على الغناء في مجلس أعدائه ، بعد
أن قتل ، وصدفت عن زهرة الدنيا ، حداداً عليه ، ووفاء له ، وزهداً في
الدنيا بعده . قالت :

أى عيش يطيب لي لا أرى فيه جعفرا
كل من كان ذاهياً مٍ وحزن فقد برا
غير محبوبة التي لو ترى الموت يشترى
لاشترته بملكها كل هذا لتقبرا
إن موت الكئيب أصد ملح من أن يعمرنا

وإن في هذا الشعر لونا صادقا من العاطفة والنبل .

ومن فضل الشواعر من الجوارى على نظرائهن من الرجال أنهن كن
يجمعن بين الشعر والغناء ، فكانت الجارية تقول الشعر ، ثم توقعه ، ثم
تتغني به ، فتخرجه أحسن مخرج ، وتؤثر به أنفذ تأثير .

يقول الأغانى في عريب : كانت مغنية محسنة . وشاعرة صالحة الشعر ،
وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام ، ونهاية في الحسن والجمال والظرف ،
وحسن الصورة ، وجودة الضرب ، واتقان الصنعة ، والمعرفة بالنغم
والأوتار ، والرواية للشعر والأدب . . .

ويقول في دنانير ، جارية البرامكة : كانت من أحسن الناس وجها
وأظرفهم وأكلمهم وأحسنهم أدباً ، وأكثرهم رواية للغناء والشعر .
ويقول في مقيم : كانت صفراء مولدة من مولدات البصرة ، وبها نشأ
وتأديت وغنت ، وأخذت عن اسحاق الموصلي وعن أبيه من قبله
وكانت من أحسن الناس وجهها وغناء وأدباً ، وكانت تقول الشعر ، ليس :
يستجاد : ولكن يستحسن من مثلها . . .

ويقول في فضل : كانت مولدة من مولدات البصرة ، وكانت أمها من
مولدات اليمامة ، بها ولدت . ونشأت في دار رجل من بني عبد القيس ،
وباعها بعد أن أديها وخرجها ، فاشترت وأهديت إلى المتوكل . . . وكانت حسنة
الوجه والجسم والقوام ، أدبية فصيحة ، سريعة البديهة ، مطبوعة في قول
الشعر ، ولم يكن في زمانها أشعر منها .

ولقد نشر الجوارى نوعاً من الثقافة ، وهو الفنون الجميلة ، وما يتبعها
من رقي في الذوق الفني ، فقد كانت بجانب الحركة العلمية في ذلك العصر :
حركة أخرى لا تقل عنها شأنًا ، وهي الحركة الفنية ، من غناء وتصوير
ورقص ، وكان الجوارى أكبر عامل في نشر الثمور بالجمال ، وما يتبعه من
فنون جميلة ، فإن العباسيين لم يكتفوا بالجوارى من ناحية جمالهن الخلقى ، بل
شغفوا بهن من ناحية الجمال الفني أيضا . ليجمعوا بين الجمالين ، فكانوا
يميلون إلى الغناء والرقص . وإلى التفتن في الملابس ، وإلى غير ذلك من ضروب
الفن . فأخذوا يعلمون الجوارى هذه الفنون ، وسرعان ما تحول النبوغ
فيها من الرجال إلى الجوارى .

ونشر الجوارى أنواعاً من الظرافة ، قلدهن الناس فيها ، وجرى على
أثرهن ، كحب الأزهار وتعشقها ، فكانت مقيم ، جارية علي بن هشام ،

يعجبها البنفسج جدًّا ، وكان عندها أثر من كل ريحان وطيب . حتى أنها من
شدة إعجابها لا يكاد يخلو من كمها الريحان ، ولا تراه إلا كما قطف من البستان ،
وفطن الناس إذ ذاك إلى دلالة الأزهار على المعاني ، فيقول الشاعر :

أهدت إليه بنفسها يسليه تُبئيه أن بنفسها تُفديه
فارتاح بعد صباية وكآبة ورجا لحسن الظن أن تُدنيه

ويقول آخر :

سُرَّ بالأس الذي أهدت له ثم لما أهدت الورد جَزَع
ذاك أن الأس باقٍ دائم ولأن الورد حينًا ينقطع

ونشر الجوارى نوعاً آخر ظريفاً ، وهو كتابة الأشعار الرقيقة ،
والجمل الظريفة ، تطريزاً على الأقدسة والأردية والأكام ، والعصائب ،
ومشاد الطرر ، والذوائب ، والزنازير والمناديل ، والوسائد والبسط ،
والنعال والخفاف ، وبالحناء على الأقدام والراح . . .
وسيجد القارىء كثيراً من ذلك في هذا الكتاب .

ونجح الجوارى في اشعار الناس بالظرف ، والتزام حدوده ، حتى أصبح
للظرفاء عرف خاص في انزى والنظر ، والطعام والشراب ، وما إلى ذلك . . .
وهو ما دونته المؤلف أدباً للظرفاء .

ونشر الجوارى فن التجميل ، فتمد كمن يعتمدون إلى أساليب اصطناعية
متعددة في اظهار جمالهن ، منها العناية بالحواجب وترقيقها ومددها ،
واحداث البلج بالافراج بين الحاجبين ، لأن العرب كانوا يحصون ذلك
في شروط الجمال .

وأدت الوسائل التجميلية إلى إخفاء العيوب التي تختص بها الحواجب

من قرن^(١) ، وزيب^(٢) ، ومعط^(٣) ، واستعاضت بعض الجوارى دقيق الكحل عن الشعيرات المتهافتات ، مما يدل على المستوى الذي بلغه فن التجميل إذ ذاك ، بعد أن نقلت كل واحدة من هؤلاء الجليات أسرارهن عن قومها وأضافت ما تعرفه إلى حيل رفيقاتها وأساليبهن .

وتنبت الجوارى إلى السواك ، المأخوذ من الأراك ، فاستخدمته في تنظيف الأسنان ، وإخراج ما علق بينها من بقايا الطعام .

ولقد قمن الشعراء بذكر الأراك الذي تأخذ منه الحبيبة سواكها ، فقصوا أن يكونوا واحدة منها ، اللهم ما يتقدم الأسنان ، وتناقضوا الأحاديث عنها ، منها قول الشاعر :

نَقَلَ الأَرَاكُ بِأَنْ رِيْقَةً تُغْرِه مِنْ قَهْوَةٍ مُرِجَتْ بِمَاءِ الكَوَاثِرِ

وقول الآخر :

أَقُولُ لِلسَّوَاكِ الحَبِيبِ لَكَ أَهْمًا بِلِسْمِ فَمٍ مَا كَلَا تُغْرِهُ تَأْسِيقِ

وعرف العصر النبوي نوعاً من الجوارى مقشبات بالفتيان ، وهن المصنوعات الشعرية المسميات بالغلغميات ، وتعداهن هذا الزى إلى الخرائر في قصور الخلفاء والأمراء والقواد . فأخذت المرأة عهدئذ بقص الذؤابة^(٤) إلى مستوى الرقبة ، ويمد الوفرة^(٥) حول الأذن ، والعقرب على الجبين ، أو رسم طرة عليه ، وذهب بعضهم إلى رفع شعورهن ورسم هيئات متعددة ، وجعلن حول رؤسهن عصا مزرکشة بالألوان ، وكتبن عليها

(١) القرن : اتصال الحاجبين .

(٢) الزيب : كثرة الشعر في الحاجبين .

(٣) المعط : تساقط الشعر من بعض أجزاء الحاجبين .

(٤) الذؤابة : الناصية ، وهي شعر في مقدم الرأس .

(٥) الوفرة : ما سال من الشعر على الأذنين .

بالخيوط الذهبية أو الفضية شعراً أو آية كريمة ، وأكثرهن كان يؤثرن الشعر الغزلي ، تقربا من مواليهن ، ومغالاة في الفتنة ، وقد رسم أحدهم على عصا ببارية له هذين البيتين :

تمت ، وتمّ الحسن في وجهها فسكلّ شيء ما سواها محال

للناس في الشهر هلال ، ولي في وجهها كل صبح هلال

وجعل بعضهم في عصابات الجوارى دراً ، ينثرونه بأشكال هندسية ،

أو ينسجون به خطوطاً وحرّوفاً وكلمات .

وغالين أحياناً في هذه العصابات المزركشة المعرّشة بالرسوم والخطوط ،

وفي رفع شعورهن تاجاً فوق مفارقهن .

وقد وجد الشعراء في مثل هذه العصابات موضوعاً شائقاً للنظم والغزل ،

فيرون مثلاً أن الدر يزدان بالوجه الذي تحته ، كقول أحدهم :

وإذا الدرّ زان حسن وجوهه كان للدرّ حسن وجهك زيناً

وكان الجوارى أقرب النساء إلى قلوب الخلفاء ، فأخذ نفوذهن يقوى

شيئاً فشيئاً ، حتى أصبحن المرجع الرئيسي في كثير من القضايا .

ولقد ملكت « ذات الخال » زمام الرشيد ، حتى أنه أقسم يوماً أنها

لا تسأل شيئاً الا قضاء لها ، فطلبت منه أن يولي أحد المقربين إليها الحرب

والخراج بفارس سبع سنين ، فامتثل لها ، وكتب عهداً به ، وشرط على

ولي عهده بعده أن يتمها له ، ان لم تتم في حياته .

وكان هارون الرشيد أول من غالى من العباسيين في تفضيل الجوارى

وتقريبهن ، فان معظم أولاده كانوا أولاداً إماء ، منهم : عبد الله المأمون

وأمه أم ولد فارسية يقال لها مراجل ؛ والقاسم المؤتمن وأمه أم ولد يقال

لها قصف ؛ ومحمد أبو اسحاق المعتصم وأمه أم ولد يقال لها ماردة ، وهي

تركية الأصل ، وكان لها أثر كبير في أخلاق ابنها ، فدعاه ميله الى أمه الى استدعاء الأتراك الذين أضعفوا النفوذ في الفارسي والعربي ، وانزعوا من الخلفاء العباسيين كل سلطان ، ومن أولاد هارون : صالح وأمّه أم ولد يقال لها رثم ؛ ومحمد أبو عيسى وأمّه أم ولد يقال لها عرابة ، ومحمد أبو يعقوب وأمّه أم ولد يقال لها شذرة ، ومحمد أبو العباس وأمّه أم ولد يقال لها خبيث ، ومحمد أبو سليمان وأمّه أم ولد يقال لها رواح ، ومحمد أبو علي وأمّه أم ولد يقال لها دواج ، ومحمد أبو احمد وأمّه أم ولد يقال لها كتمان .

ولقد قام بعض الجوارى بأدوار حاسمة في تاريخ العباسيين ، فاشتركن في المؤامرات التي حيكت لخلع خليفة ومبايعه آخر .

فمنهن الجارية أم المقتدر الذي ولاه الأتراك الخلافة وهو صبي في الثالثة عشرة من عمره ، ظننا منهم أن بوسعهم التصرف باسمه بشؤون الخلافة كما يشاءون ، لضعفه وصغر سنه ، فإذا بهم يلاقون عنتا شديدا من أمه ، وهي أم ولد رومية ، فقبضت على أزمة الأمور ، وقادت شؤون الدولة بحزم وحسنة مدة ربع قرن ، وهي أطول مدة تولى فيها عباسي الحكم آنذاك ، وخلع الخليفة أثناء حكمه مرتين ، فكانت أمه تسعى إلى إعادته الى كرسي الخلافة ، حتى تألب عليه الخصوم ، فخرج لقتالهم فصرعوه .

ومنهن الجارية الشيرازية حسن ، التي عاشت أيام الخليفة المتقي والمستكفي ، فهي التي سمعت إلى إقصاء الأول عن الخلافة ، وأوعزت الى غلامها السندي بسمن عينيه ، عند ما أحجم القواد عن فعل ذلك ، وتسلمت على الثاني ، حتى أقضت مضجعه ، وقضت عليه فيها بعد .

ومنهن الجارية صديحة^(١) ، فقد اشتركت في الغدر والطيش ، وأوغلت

(١) سماها المتوكل « قبيحة » ، انقاه العين ، فقد كانت أبرع النساء جمالا .

في الكيد ، فأشارت على ابنها أبي عبد الله المعتز ، حين كان خليفة ، أن يقتل أخاه المؤيد — من أبيه — ليتخلص منه ، فقتله .

وإن موقفيها من ابنها للأسوأ موقف تقفه أم إزاه ولدها ، فقد طالبه الجنود بأرزاقهم ، وبيت المال خال ، فأرسل إلى أمه ، وكانت ذات ثروة طائلة . يسألها أن تعطيه مالا يعطيهم ، فأبت أن تعطيه شيئاً ، وأنكرت أن يكون عندها شيء ، فدخل إليه القوم وجرّوا برجله إلى باب الحجرة ، وتناولوه بالديابيس ، فخرج وقيصه مخرق في مواضع ، وآثار الدم على منسكبه . فأقاموه في الشمس في الدار في وقت شديد الحر ، فصار يرفع قدمه ساعة بعد ساعة من حرارة الموضع الذي قد أقيم فيه ، ثم خلعوه ، وسلموه إلى من يعذبه ، فنعه الطعام والشراب ثلاثة أيام ، فطالب حسوة من ماء البئر ، فنعوه ، وبقى بعضهم يطعمه على وجهه ، وهو يتقي بيده ، ثم أدخلوه سرداباً وحصصوا عليه ، فمات ، ثم نفوا أمه إلى مكة ، وصادروا أموالها وكنوزها ، وجرّوها من حليها وجواهرها (١) .

وكان الجواري متعدّدات المصادر والأجناس والألوان . تختلفات في الدين ، ينتمين إلى الإسلام أو النصرانية أو اليهودية أو المجوسية ، وكان مواليهم يحترمون دينهم ، ويسهلون هن القيام بالطقوس والفروض الخاصة في المواسم والأعياد ، وكثيراً ما كانت تقام الشعائر النصرانية واليهودية والمجوسية في قصور الخلفاء .

(١) يقول علي بن أنجب في كتابه « مختصر أخبار الخلفاء » : وجدنا مظلومة تحت الأرض فيها ألف ألف دينار عينا ، ووجدنا لها سقف فيه مكوك ذمرد وفي سقف آخر مكوك لؤلؤ وفي سقف آخر كيلجة ياقوت لا يوجد مثله عند ملك ، فحمل جميعه إلى صالح ابن وصيف ، فقال : قبح الله قبيحة ، عرضت أيتها القتل لأجل خمسين ألف دينار ، وعندها هذه الأموال العظيمة .

ولقد أدى تدين الجوارى بغير دين سادتهن ، وتسربهن الى جميع القصور ،
والحظوة التي كانت هن في القلوب الى ظهور نفوذ الأخوال الأعاجم من
فرس وترك وروم ، فكان للبقدر خال رومي يخاطبه الناس بالإمرة ، وكان
ذا سلطان ، يرهبه الناس ، ويتقربون اليه في سبيل الوصول الى ما يريدون
من نعم الخلافة .

وإن ما ألم بالامة من تغير الحال ، لفساد الحكومة ، ونواحي النكبات
على الخلفاء ، حول هم المفكرين الى نشر الحكيم واختيار الزهد والزهاد ،
وأقوال الحكماء ، وسير رجال العدل والحزم . التي يترتب عليها النظافة
والاعتبار ، مع الحث على الاقتداء بهم ، لرد الناس عن غيهم ، فأخذوا
يجمعون ذلك في كتب الأدب ، ويرتبونها في أبواب مبنية على الحكمة
المستفادة منها ، كما صنع الوشاء في الأبواب الثلاثة عشر الأولى من هذا الكتاب .

موضوعات الكتاب :

(أ) تحدث المؤلف في الثلاثة عشر باباً الأولى عن حدود الأدب ، والنهي
عن عمارحة الأخلاء ، والحث على انتخاب الأقران والاختاران ، ومحبة الإخوان ،
وصفة المتحابين في الله ، والبشاشة بالإخوان ، واتفاق القلوب على مودة الصديق ،
والنهي عن استعمال الإفراط في حبه ، وشرائع المودة وصفتها ، وفضل الصدق ،
وكره الكذب ، وقبح خلف المواعيد ، والحث على كتمان السر

(ب) كما تحدث في الباب الرابع عشر عن سنن الظرف ، وإن العشق من
تسنيّن الظرف .

(ج) ثم تناول في الأبواب التالية من الخامس عشر الى الثاني والعشرين :
الحديث عن مات من شدة العشق ، ووصف الحب ، ومن تعفّف في محبته ،
وذم القيان ، ومصارمة ذوى الغدر ، والنهي عن الهوى

(د) ولعل أبرز ما في الكتاب تلك الأبواب التي تناول فيها الحديث عن زى الظرفاء في الضمام والشراب ، وتصنيف الموائد والأطعمة ، وكيفية الأكل من وجوب تصغير اللقم ، والتحرز من الشره ، وعدم تلميح الأصابع أو تجاوز ما بين الأيدي ، أو التخلل على المائدة قبل أن تفرغ ، وإفساد الرائحة أكل الثوم والبصل ونحو ذلك .

ثم ذكر الظرفاء ، وزيمهم في اللباس ، والوان الملابس ، ومناسباتها للحفلات ، ومناسبة بعضها لبعض ، ومناسبتها للتسكك والنعال والخفاف ، وزيمهم المخصوص في الخواتيم والفصوص ، والتعطر والتطيب .
وذكر متطرفات النساء في اللباس ، وزيمهن المخالف لزى الرجال ، في لبس التلك والخفاف والنعال ...

ثم ذكر الأشياء التي يتطير الظرفاء من إهدائها : وما قيل في صفة الورد ، والتفاح ، وما جاء في السواك ...

وصفة ذوي التطرف ، ومباينتهم لذوى التكلف .

(هـ) وأخيراً ذكر ما اختير من ألفاظ الأدباء في المكتاتبات ، وما ضمنوه كتبهم من الأشعار ، وما كتبوه على العنوانات ، وما كتب على الفصوص ، والتفاح ، والقناني والكاسات والأقداح ، والأقلام ، والدرهم والدنانير
ثم ما كتبته الجوارى والقيان على ذيول الأقصية والأعلام ، وطرر الأردية والأكمام ، والكرازن والعصائب ، ومشاد الطرر والذوائب .
والخفاف والنعال . والوطأة والوشاح ، والأقدام والراح ، والجبين والحد ، والعيذان والمضارب ، والطبول والمعازف ، والدفوف والنايات

نسخ الكتاب :

اعتمدت في إبراز هذا المطبوع على ثلاث طبعات :

(أ) إحداهما المطبوعة في ليدن سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٦ م) بإشراف
المستشرق رودلف برونو^(١١).

(ب) والثانية التي نشرها المرحوم السيد محمد أمين الخانجي الكتبي سنة
١٣٢٤ هـ ، وهي منقولة عن الطبعة السابقة، فقد نشر هذين البيتين :

لا تأنفن من الخوض ع لمن تحب وداره
إخضع له فلطالما مُلكت حلّ إزاره

كما وردا بالنسخة الألمانية كهذا :

لا تأنفن من الخوض لمن تحب وداره

إخضع له فلطالما ملكت حلّ إزاره

(ج) والثالثة التي طبعت على نفقة المرحوم مصطفى فهمي الكتبي بجوار
الأزهر بمصر سنة ١٣٢٤ هـ وهي نسخة من المطبوع الذي نشره المرحوم

(١) ولد سنة ١٨٥٨ م في آن أنبور من أحممان مشيخن . وتوفي سنة ١٩١٧ . وهو من
أصل ألماني أمريكي ، وتلقى دروسه العربية في ألمانيا ، وعين في سنة ١٩١٠ أستاذا للغات
السامية في جامعة برنستون بأمريكا ، واشتهر في العلوم الأشورية ، وقد تولى حفريات حوران .
ويقول في مقدمته للموشى : أنه نشره عن مخطوط بمكتبة ليدن ، وهو الوحيد الموجود
في أوروبا ، ويبدو أنه كان غير معروف في الشرق ، فلم يذكر عنه شيئا حاجي خليفة
(مؤلف كشف الظنون في أسامى الكتب والفنون) .

ويقول في وصف المخطوط : طوله تسع بوصات ، وعرضه ست بوصات ، ويحتوى
على احدى وتسعين ومائة ورقة ، ومكتوب بخط النسخ ، وهو لا يحمل تاريخا ، ولكن
الخط يدل على أن عمره حوالى خمسمائة عام ، والنسخة الاصلية جيدة ، ولكن يوجد بها
بعض الانحطام : وعناوين الأبواب مكتوبة بالحبر الأحمر . وعلى الصفحة الأولى من الجزء الأول
للكتاب قطعة من الورق قديمة ، وعليها قطعة جديدة مكتوب عليها بخط اليد الحديث :

هذا الكتاب الموشى تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي الطيب

محمد بن اسحق بن يحيى الموشى رحمه الله تعالى

وفهرست الأبواب أصيغ حديثا أيضا . . .

الخانجي ، فقد وردت بها أبيات محرقة وناقصة ، كما جاءت بمطبوع المرحوم الخانجي ، مثال ذلك هذا البيت :

طلبتُ امرأً مُحضًا صحيحًا مسلمًا نقيًا من الآفات في كلِّ موسمٍ
فقد نشر في المطبوعين الثاني والثالث هكذا :

طلبتُ امرأً صحيحًا مسلمًا نقيًا من الآفات في كلِّ موسمٍ
آثارنا في الكتاب :

ولقد عانيت كثيرًا لإخراج الكتاب في طبعته هذه ، فقد كان هناك تصحيف وتحريف في كثير من الأسماء ، ونقص في الأبيات الشعرية . ولم أشأ حذف بعض الألفاظ المكشوفة من الشعر ، لأنه يمثل الحياة الاجتماعية في عصر العباسيين ، تلك الحياة التي كانت مزيجًا من التقى والفجور ، والنمو والسرور ، وكان هذا الشعر يصف أحاسيس النفس ورغباتها وشهواتها في حرية وانطلاق .

ما صار إليه الكتاب :

وتم لنا بعون الله وفضله : إبراز هذا الكتاب ، بعد تصحيحه وضبطه ، وإكمال النقص ، وكشف غامضه ، ووضع فهرس للأعلام . ونرى أنه قد برز في ثوب أنيق ، وعسى ألا يجد فيه القارىء مغمزا ولا مطعنا .
رجاء :

وإني لأضع هذا المطبوع بين أيدي حفاظ الأدب العربي ، وأرجو أن يحوز قبولا . كما أحمد مكتبة الخانجي المصرية لعملها بإخراج هذا الكتاب والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقني إلى نشر آثار السلف الكريم ، وخدمة لغتنا العربية الجليلة ، في هذا العهد الزاهر السعيد ، إنه على ما يشاء

قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير . كمال مصطفى

حلوان الحمامات في يوم الأربعاء ٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢
١٨ من فبراير سنة ١٩٥٢

التعريف بالوفاة

نسبه :

أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحاق بن يحيى ، ويعرف بالوشاء ، والأعرابي
وقيل : ابن الوشاء .

مولده :

لم يرشدنا التاريخ على وجه صحيح إلى مولده .
وقد ذكر المستشرق رودلف بروفو أنه عاش في النصف الأخير من
القرن الثالث الهجري (٨٦٠ م) . ولعله اعتمد في تحديد هذا التاريخ على أنه
أخذ عن ثعلب والمبرد ، وقد ولد أولها سنة ١٠٠ هـ (٨١٦ م) وتوفي سنة
٢٦١ هـ ، وولد الثاني سنة ٢١٠ هـ (٨٢٦ م) وتوفي سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٥ م) .

عصره :

تحدثنا في " التصدير " عن الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية على عهده .

علمه :

كان أديبا ، فاضلا ، نحويًا . حسن التصنيف ، مليح الأخبار
والغالب عليه تصنيف كتب الأخبار كالشعر والمقطعات .
أخذ عن أبوي العباس ثعلب والمبرد ، وغيرهما من الأئمة الاثبات .
وحدث عن أحمد بن عبيد بن ناصح ، والخبار بن أسامة .
وروى عن عبد الله بن أسعد الوراق وطبقته .
ويقول ابن النديم : وكان نحويًا معلمًا لمكتب العامة .
ويقول القفطي : وكان يعلم في دار الخلافة وروى عنه مئة الكاتبة
جارية أم ولد المعتمد على الله .

(١) الوشاء : الذي ينشأ ويخرفها .

وسعدت منية إملاء من لفظها قالت : حدثني أستاذي محمد بن اسحاق
ابن يحيى النحوي المعروف بالوشاء قال : حدثني عبد الله بن عمر الوراق ،
حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا أبو نعيم محمد بن يحيى ، أخبرني عبد العزيز
ابن عمران ، عن إبراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ،
عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ ، فَمَنْ كَانَ سَخِيًّا أَخَذَ بَعْضَ مِنْهَا فَلَمْ يَتْرِكْ الْعَصَنَ
حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ؛ وَالشُّحُّ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ ، فَمَنْ كَانَ شَحِيحًا أَخَذَ بَعْضَ
مِنْهَا فَلَمْ يَتْرِكْ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ .

شعره :

للوشاء شعر لطيف رقيق ، لم يبلغ حد الجودة ، ولكنه حسن النظم ؛
ولقد ذكر منه الكثير في هذا الكتاب .

ويقول يا قوت : نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد النوقاني :
أنشدني الشافعي أحمد بن محمد : أنشدني أحمد بن محمد بن حفص : أنشدني
أبو الطيب الوشاء لنفسه :

لَا صَبْرَ لِي عَنْكَ سِوَى أَنِّي أَرْضَى مِنَ الدَّهْرِ بِمَا يَقْدُرُ
مَنْ كَانَ ذَا صَبْرٍ ، فَلَا صَبْرَ لِي مِثْلِي عَنْ مِثْلِكَ لَا يَصْبِرُ
ومن خطه وإسناده للوشاء :

يَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ

لَا تَحْسَبْنِي خَلِيًّا الْبَالِ مِنْ سَهْدٍ (١)

حَاشَاكَ مِنْ أَرْقِي ، حَاشَاكَ مِنْ قَلْقِي

حَاشَاكَ مِنْ طُولِ مَا أَلْقَى مِنَ الْكَمَدِ

حزني عليك لا نفاء له
أوهي فؤادي وأوهي عذبة الجليل^(١)
والصبرُ عنك قليلٌ مُضرمٌ قلقاً
بين الصلوع كصبرِ الأم عن ولد^(٢)

مصنفاته :

يقول القفطي : وللشاه النصايف الحسنة المشهورة .

وله من الكتب : كتاب مختصر في النحو . كتاب الجامع في النحو . كتاب في المقصور والممدود . كتاب المذكر والمؤنث . كتاب الفرق . كتاب خلق الانسان . كتاب خلق الفرس . كتاب المثلث . كتاب أخبار صاحب الزنج . كتاب الزاهر في الأنوار والزهر . كتاب السلوان . كتاب المذهب . كتاب الموشح . كتاب سلسلة الذهب . كتاب أخبار المتظرفات . كتاب الحنين إلى الأوطان . كتاب حدود الظرف الكبير . كتاب الموشى .

ويقول القفطي : وله كتاب « زهر الرياض » وهو كبير في عدة مجلدات ، ملكت منها نسخة بخطه ، في ثلث مجلدات ، تشمل على أنواع وأبواب من المنظوم والمنثور في حسن الاختيار ، تدل على كثرة الاطلاع والبحث .

ويقول جورج زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية : ذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين كتاباً في النحو والأدب ، لم يصلنا منها إلا كتابان :

(١) كتاب الموشى : وهو فريد في نابه ، يمثل آداب ذلك العصر ، ويتخلله كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف ، وفيه وصف الأزياء التي كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات ، وما اختير

(١) أوهي : جملة وانها مشقوقة . (٢) مضرم : مشعل انزعاج واضطراب .

من الألفاظ للكاتبات ، وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الأشعار على الثياب والأعلام والعصائب والزناير والمناديل والستور والوسائد حتى النعال ، وعلى المجالس وآنية الشراب والعيدان .

ومنه نسخة خطية في ليدن ، وقد طبع فيها سنة ١٨٨٦ ، وفي مصر سنة ١٢٢٤ وسموه كتاب الظرف والظرفاء .

(٢) كتاب تفریح المهج وسبب الوصول إلى الفرج .

منه نسخة خطية مختصرة في مكتبة برلين .

وبدار الكتب المصرية كتاب : وصايا الملوك وأبناء الملوك ، يبحث في وصايا الملوك وأبنائهم من ولد قحطان بن هود النبي عليه السلام وما ورد في ذلك من أخبارهم وأشعارهم .

وهو منسوب إليه ، وطبع في مطبعة البهائم ببغداد سنة ١٣٢٢ . وهو ثلاثة أجزاء ، ويوجد بالدار الجزء الأول فقط .

وبالدار نسخة خطية غير كاملة ، ضمن مجموعة . من هذا الكتاب .

وفاته :

مات أبو الطيب سنة خمس وعشرين وثلاثمائة من الهجرة (٩٣٦ م) .

خطبة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسْرُ وَأَعِنُ. باسم الله يكون الابتداء، وبعونه تتم الأشياء، وبمشيئته تتصرف الدهور، وعلى إرادته تتقلب الأمور، ومنه التوفيق والتأييد، ويده الإعانة والتسديد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبتوفيقه إرشاده.

قال أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الموشى، المؤلف لهذا الكتاب، وهو الكتاب الموشى (نقول) ونسبتعين بالله على السداد ونستهديه، ونستفتح له استفتاح اللاجئ إليه ونستكفيه: **يَجِبُ** على المتأدب اللبيب، والمتظرف الأريب، المتخلق بأخلاق الأدباء، والمتحلي بحلية الظرفاء: أن يعرف قبل هجومه على ما لا يعلمه، وقبل تعاطيه ما لا يفهمه، تبيين الظرف، وشرائع المروءة^(١)، وحدود الأدب: فإنه لا أدب لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا ظرف له، ولا ظرف لمن لا أدب له.

وقد وصفنا في كتابنا هذا، على قدر ما بلغه علمنا، واحتوى عليه فكرنا، وجعلناه حدوداً محدودة، ومعالم مقصورة، وشرائع بيّنة، وأبواباً نيرة، وشرائطنا على قارى، كتابنا: الاقتصار عن طلب عيوب أخطائنا، والصفح عن ما يقف عليه من إغفالاتنا، والتجاوز^(٢) عن ما ينتهي إليه من أهوائنا، وإن أداه التصفح إلى صواب نشره، أو إلى خطأ ستره، لأنه قد تقدمنا بالإقرار، ولا بدّ للاندان من زلل^(٣) وعشار^(٤)، وليس كل الأدب عرفناه. ولا كل

(١) نروى: المروءة، وهما بمعنى: النخوة وكان الرجولة.

(٢) تجاوز عنه: أغضى وعفا.

(٣) زل: زلق وسقط، وعن الخن: انحرى.

(٤) عشر: سقط.

العلم رويته ؛ وعلينا في ذلك الاجتهاد ، وإلى الله الارشاد .

وقل ما يجا مؤانف لكتاب من راصد بكيدة ، أو باحث عن خطيئة ، وقد كان يقال : من ألف كتابا فقد استشرف^(١) ، وإذا ما أصاب فقد استهدف^(٢) ؛ وإذا أخطأ فقد استنذف^(٣) ؛ وكان يقال : لا يزال الرجل في فسحة^(٤) من

عقله ما لم يقل شعرا أو يضع كتابا ، وقال الشاعر في ذلك :

لا تعرِضَنَّ للشعرِ ما لم يكنْ عليك في أبخره جِسرًا
فإن يزال المرءُ في فسحةٍ من عقله ما لم يقل شعرا

وأشدد في ذلك :

الشعرُ عقلُ المرءِ يعرضه والقولُ مثلُ مواقعِ النبيلِ
منها المقصّرُ عن رميته ونوافذُ يذهبن بالحِصْلِ^(٥)

وكان يقال : اختيار الرجل وافد عقله .

وقيل : دل على عاقل اختياره .

وقيل لبعض العلماء : اختيار الرجل قطعة من عقله ، فقال : لا ، بل يبلغ عقله

وقال الخليل بن أحمد : لا يحسن الاختيار إلا من يعلم ما لا يحتاج إليه

من الكلام .

وقال الشعبي : العلم كثير ، والعمر قصير ، نخذوا من العلم أرواحه ،

ودعوا ظروفه .

وقال ابن عباس : العلم أكثر من أن يحصى ، نخذوا من كل شيء ، أحسنه .

(١) استشرف : انتصب .

(٢) استهدف الشيء : ارتفع واستقبل ، ومنه فوطم : من صنف فقد استهدف .

أي انتصب كالغرض يرمى بالأفاريل . (٣) استنذف الرجل : رماه واتهمه بريئة .

(٤) فسحة : سعة . (٥) الحِصْلِ : إصابة الغرض .

قال الشاعر :

مَا حَوَى الْعِلْمَ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفِي سَنَةً
إِنَّمَا الْعِلْمُ كَرَوْضٍ مَزْهَرٍ فَتَخِرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ

(ونحن) نستعين الله، ونودع كتابنا هذا جملة من حدود الأدب والمروءة والظرف، ونجعل ذلك أبواباً مختصرة، وفصولاً محببة، على غير نقص منّا بما في كل باب، لئلا يطول به تأليف الكتاب، ولأن غرضنا في الاختصار، لما عليه النفوس من ملل الاكثار، ولنتجو من مقالة حاسد، أو اعتراض معاند.

مطلب في الحسد :

على أنه لا بدّ للحاسد، وإن لم يجد سبيلاً إلى وَهْنٍ^(١)، ولا سبياً إلى طعن، أن يحتال لذلك بحسب ما رُكِبَ عليه طبعه، وتضمنه صدره، حتى يخلص إلى غفلة، أو يصل إلى زلة. فيتشبت بالمعنى الحقير، ويتسبب بالخراف الصغير، إلى ذكر المثالب^(٢)، وتغطية المناقب^(٣)، ولأن^(٤) من طبع أهل الحسد وأرباب المعاندة والتكذ، تغطية محاسن من حسدوه، وإظهار مساويء من عاندوه. وقد أخبر أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح، وبشر بن موسى بن صالح الأسدي، قالاً: حدثنا الأصمعي قال العلاء بن أسلم قال رؤبة بن العجاج قال: قال لي فلان: قصرت وعرفت، ثم قال لي: يارؤبة عساك مثل أقوام إن سكت لم يسألوني وإن تكلمت لم يعوا عني. قلت: أرجو أن أكون كذلك، قال: فما أتداه المروءة، قلت: تخبرني، قال بنوعم السوء^(٥) إن رأوا خيراً ستروه، وإن رأوا شراً أذاعوه.

أنشدني أبو العباس محمد بن يزيد المبرد :

(١) الوهن : الضعف
(٢) المثالب (جمع مثلبة) : العيب
(٣) المناقب (جمع منقبة) : المنفعة ، والفعل الكريم
(٤) ويروي : إذ
(٥) السوء : الفساد

عَيْنُ الْحَسَوِدِ عَلَيْكَ الدَّهْرَ حَارِسَةً تَبْدَى الْمَسَاوِي وَالْإِحْسَانَ تَحْقِيقَهُ
يَانْفِسَاكَ بِالْبِشْرِ يُبْدِيهِ مَكَاشِرَةً وَالْقَلْبُ مَضْطَعُنٌ^(١) فِيهِ الَّذِي فِيهِ
إِنَّ الْحَسَوِدَ بِأَلَا جُرْمَ عِدَاوَتِهِ فَلَيْسَ يَقْبَلُ عُنْدَهَا فِي تَجَنِّيهِهِ
وَأَنْشَدَنِي أَبُو جَعْفَرٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

إِنْ يَعْلَمُوا الْخَيْرَ يُخْفَوهُ ، وَإِنْ عَلِمُوا شَرًّا أُذِيعَ ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا كَذَّبُوا
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَبَارِيِّ :

وَتَرَى اللَّيْبَ مُحْسَدًا لَمْ يَجْرَمُ شَتَمَ الرِّجَالَ وَعَرَضَهُ مَشْتَوْمٌ
حَسَدُوا الْفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعِيَهُ فَالْقَوْمَ أَعْدَاءُ لَهُ وَخَصْمٌ
كَضَرَّائِرِ الْحَسَنَاءِ قَلْنَ لَوَجْهَيْهَا حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَذَمِيمٌ
وَقَالَ عِمَارَةُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ بِلَالِ بْنِ جَرِيرٍ :

مَا ضَرَّتْني حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ بِحَسَدِهِ ذُو الْنَقْصَانِ
يَا بُؤْسَ قَوْمٍ لَيْسَ جُرْمُ عَدُوِّهِمْ إِلَّا تَظَاهَرَ نِعْمَةً الرَّحْمَانِ
وَخَبِرْتُ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لِبَعْضِ وَلَدِ الْمُهَاجِرِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ : مَا أَسْرَعَ
النَّاسَ إِلَى قَوْمِكَ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :

إِنَّ الْعِرَانِينَ^(٢) تَلَقَّاهَا مُحْسَدَةٌ وَلَا تَرَى لِلثَّامِ النَّاسَ حُسَادًا
كَمْ حَاسِدٍ لَهُمْ قَدْ رَامَ سَعِيَهُمْ مَا نَالَ مِثْلَ مَسَاعِيهِمْ وَلَا كَادًا
وَيُرْوَى أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ يَتَمَثَّلُ بِهَيْدِينَ الْبَيْتِينَ :
قَوْمٌ سِنَانٌ أَبُوهُمْ حِينَ تَنْسُجُهُمْ ظَاهَبُوا وَطَابَ مِنَ الْأَوْلَادِ مَا وَلَدُوا
مُحْسَدُونَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَعْمٍ لَا يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَالَهُ حُسِدُوا
وَأَنْشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، قَالَ : أَنْشَدَنَا النُّعْمِيُّ عَنْ أَبِيهِ :

(١) مضطعن : منطوي على الخند (٢) العرانيين : جمع المرينين وهو من كل شيء : أوله .

إِنِّي نَشَأْتُ وَحُسَّادِي ذُوو عَدَدٍ يَإِذَا المَءَارِجُ لَا تَنقُصُ لَهُم عَدَدًا
مَا زِلْتُ أَقْدِمُ أَفْرَاسِي مَكَلَمَةً حَتَّى اتَّخَذْتُ عَلَى حُسَّادِهِمْ يَدَا
وَأَنْشِدْتُ :

كُلُّ العَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَا إِمَاتَهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
وَبَلَغَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ : أَنَّ قَوْمًا مِنَ المَوَالِي يَحْسُدُونَهُ ، فَقَالَ :
إِنَّ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَأْتَمُّهُمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ حَسَدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُهُمْ غِيظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَحْدُونِي فِي صُدُورِهِمْ لَا أُرْتَقِي صَعْدًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُّ
وَقَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ : كُلُّ خِصْلَةٍ رَدِيئَةٍ فِيهِ دُونَ الحَسَدِ ، لِأَنَّ
الحَسُودَ يَسْعَى عَلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَيَبْغِي الغَوَائِلَ " لَمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ .

وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا ذَكَرَ بَعْضَ الحُسَّادِ ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ
ظَالِمًا أَشْبَهَ بِظَلُومٍ مِنَ الحَسَّادِ : حَزْنٌ لَازِمٌ ، وَنَفْسٌ دَائِمٌ ، وَعَقْلٌ هَائِمٌ .
وَقَالَ عَاتِمٌ طَيِّبٌ :

يَا كَعْبُ مَا إِنْ تَرَى مِنْ بَيْتِ مَكْرُمَةٍ إِلَّا لَهُ مِنْ بَيْتِ الشَّرِّ حُسَّادَا
وَالْتَحَرَّرُ مِنَ الحُسَّادِ مَا لَاسِيَلُ كُنَّا إِلَيْهِ . وَالتَّحَفُّظُ مِنَ أَلْسِنَتِهِمْ مَا لَا يَقْدِرُ
عَلَيْهِ ، لَكِنْ أَقُولُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

مَا يَبْضُرُ البَحْرَ أَمْسَى زَاخِرًا أَنْ رَمَى فِيهِ غَلَامٌ بِحَجَرٍ
(وَأُصْدِرُ) كِتَابِي هَذَا ، مُسْتَعِينًا بِاللهِ ، رَاغِبًا إِلَيْهِ ، بِذِكْرِ الأَدَبِ وَصِفَتِهِ ،
وَمَا يَحْتَاجُ الأَدَبَاءُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَأَشْفَعُهُ بِأَشْيَاءَ يَسْتَحْسِنُهَا الأَدِيبُ ، وَيُرْغَبُ
فِي دِرَاسَتِهَا الأَرِيْبُ ، وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ .

١ - باب البيبان نحو ممدود الردب

وما يجب على الأدباء من الفحص والطلب

اعلم أن أول ما يجب على العاقل ، المنفصل بصفته عن الجاهل ، أن يتبعه ويميل إليه ، ويستعمله ويحرص عليه : بحالسة الرجال ذوى الألباب ، والنظر في أفانين الآداب ، وقراءة الكتب والآثار ، ورواية الأخبار والأشعار : وأن يُحسن في السؤال ، ويتثبت في المقال ؛ ولا يُكثر الكلام والخطاب ، إن سئى عما يعمله أجاب ، وإن لم يُسأل صمت للاستماع ، ولم يتعرض لذكره الانقطاع ، فقد روى في الخبر المأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك^(١) ، والصمت أحسن بالرجل من الهذر^(٢) في منطقه ، والكلام فيما لا يعنيه ، والتسرع إلى ما يكون على وجلي^(٣) منه ، وقد قال بعض الشعراء :

يَمُوتُ الْفَتَى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ وَلَيْسَ تَمُوتُ الْمَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرَّجُلِ
فَعَثْرَتُهُ مِنْ فِيهِ تَرْمِي بِرَأْسِهِ وَعَثْرَتُهُ بِالرَّجْلِ تَبْرَأُ عَلَى مَهْلٍ
وقال أبو العتاهية :

إذا^(٤) كنتَ عن أنْ تَحْسِنَ الصَّمْتَ عَاجِزًا
فَأَنْتَ عَنِ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَتَجِيزُ
يَخْوِضُ أَنَاسٌ فِي الْمَقَالِ^(٥) لِيُوجِزُوا وَالصَّمْتُ عَنِ بَعْضِ الْمَقَالَاتِ أَوْجِزُ^(٦)
وقال أيضاً^(٧) :

(١) روى بالجامع الصغير للحافظ : « أعد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو مجاباً ولا تكن الخامسة فتهلك » ، (٢) الهذر : سقط الكلام الذي لا يعنى به (٣) الوجلي : الخوف (٤) في ديوانه : فإن ، وقد روى البيهقي الثاني أو لاتم الأول ثانياً (٥) في ديوانه : الكلام (٦) في ديوانه : ولصمت في بعض الأحيان أوجز (٧) ينسب هذان البيتان في ديوان أبي العتاهية لابنه محمد ، وكان شاعراً ، وبعدهما : يا عجبا لامرىء ظلوم مستيقن أنه يموت

قَدْ أَفْلَحَ السَّامِكُ^(١) الصَّمُوتُ كَلَامُ رَاعِي السَّكَّامِ قَبُوتُ
مَا كُلُّ نَطَقٍ لَهُ جَوَابٌ جَوَابُ مَا تَسْكُرُهُ^(٢) السَّكُوتُ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل
خيرا أو ليسكت ، وقال : من صمت نجما .

وكان أعرابي يجالس الشَّيْبِيَّ يطيل الصمت ، فقال له يوما : لم لا تتكلم ؟
فقال : أسمع لأعلم وأسكت فأسلم .

وقال أبو هريرة : ثرة القلب اللسان ،

وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام : ما مهدي علم القلب وجهله ؟ قال :
اللسان ، قال : فأين يلزم الصمت ؟ قال : عند من هو أعلم منكم ، وعند الجاهل
إذا جالسكم .

وقال بعض الشعراء :

تَعَاهَدُ لِسَانُكَ إِنَّ اللِّسَانَ
وَهَذَا اللِّسَانُ بَرِيدُ النَّفْوَانِ
نَ سَرِيعٌ إِلَى الْمَرْءِ فِي قَتْلِهِ
دِرْ يَدُلُّ الرِّجَالَ عَلَى عَقْلِهِ

وقال آخر :

اسْتَرِ النَّفْسَ مَا اسْتَطَعْتَ بِصَمْتٍ
وَاجْعَلِ الصَّمْتَ إِنْ عَمِيَتْ جَوَابًا
إِنْ فِي الصَّمْتِ رَاحَةٌ لِلصَّمُوتِ
رُبَّ قَوْلٍ جَوَابُهُ فِي السَّكُوتِ
وقال أبو العتاهية^(٣) :

لَا خَيْرَ فِي حَشْوِ السَّكَّارِ
وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ بِالنَّفْسِ
مِ إِذَا اهْتَدَيْتَ عَلَى عُيُونِهِ
مِنْ مَنْطِقٍ فِي غَيْرِ حِينِهِ

وقال لقمان لابنه : يا بني إن غلبت على الكلام فلا تغلب على الصمت ،

(١) تروى : السالم (٢) تروى : ما يكره

(٣) ترتيب البيهقي في ديوانه : الثاني فالأول

فمكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول ، إني ندمت على الكلام
مرارا ، ولم أندم على الصمت مرة واحدة .

وقال ابراهيم بن المهدي في هذا المعنى فأحسن :

إن كان يُعجبك السكوتُ فانه قد كان يُعجبُ قبلك الأخيَّاراً
ولئن ندمت على سكوتك مرةً فلقد ندمت على الكلام مراراً
إن السكوتَ سلامةٌ ولربَّما زرعَ الكلامُ عداوةً وضراراً

فحقيق على الأديب أن يخزن لسانه عن نطقه ، ولا يرسله في غير حقه ،
وأن ينطق بعلم ، وينصت بحلم ، ولا يعجل في الجواب ، ولا يهجم على الخطاب ،
وإن رأى أحداً هو أعلم منه ، نصت لاستماع الفائدة عنه ، وتحذر من الزلل
والسقط ، وتحفظ من العيوب والغلط ، ولم يتكلم فيما لا يعلم ، ولم يناظر فيما
لا يفهم ، فانه ربَّما أخرجه ذلك الى الانقطاع والاضطراب ، وكان فيه نقصه
عند ذوى الألباب ، وقد قال الأعور الشَّيْ فَأَجَاد :

ألم ترَّ مِفْتَاحَ الْفُؤَادِ لِسَانَهُ إِذَا هُوَ أَبْدَى مَا يَقُولُ مِنَ الْقَمِّ
وَكأئن ترى من صامت لك مُعْجِبُ زِيَادَتُهُ وَنَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ
لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفُ فُؤَادِهِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ
ومثله قول الأخطل أيضاً :

إن الكلامَ من الفؤاد وإيَّما جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا
وأخبرني أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال كان بكر بن عبد الله المزني
يُقِلُّ الْكَلَامَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : لِسَانِي سَبْعٌ إِنْ تَرَكْتُهُ أَكْفَى ، وَأَنْشَدَ :
لِسَانُ الْفَتَى سَبْعٌ عَلَيْهِ شِدَاتُهُ فَإِلَّا يَزَعُ مِنْ غَرَبِهِ فَهُوَ آكَلُهُ
وما العيُّ إلا منطوقٌ متبرِّعٌ سواءٌ عليه حقُّ أمرٍ وباطلهُ

قال أبو الطيب : قوله - شداته - أي حدّه .

وقال بعض الحكماء : إلزم الصمت تعدد حكيما كنت أم عليا .

وقال الهيثم بن الأسود النخعي :

من يستعجن بالصمت يوما فإنه يقال له ثبث نهسا أصيل

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصة^(١) على عوراته لدليل

وكان يقال : الصمت صوت اللسان وستر العي .

أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب للخطابي بن بدر :

عجبت لأزراء العي بنفسيه وصمت الذي قد كان بالقول أعليا

وفي الصمت ستر للعبي وإنما صحيفة لب المرء أن يتكلم

والعرب تقول : عى صامت خير من عى ناطق .

وكان ربيعة الرأي كثير الكلام ، فتكلم يوما وأكثرت ، ثم قال لأعرابي

عنده : أتعرف ما العي ؟ قال : نعم ، ما أنت فيه منذ اليوم .

وقال أكرم بن صيني ، حنف^(٢) الرجل بين حيتيه .

وأنشدني أحمد بن عبيد لأبي محمد الزبيدي :

حنف امرئ لسانه في جمده أو لعبيه

بين اللما^(٣) مقتله ركب في مركبيه

ورب ذى مزج أويستت نفسه في سبيه

ليس الفتي كلّ الفتي إلا الفتي في أدبه

وبعض أخلاق الفتي أولى به من نسا به

(١) الحصة : العفل والرأي

(٢) الحنف : الموت

(٣) اللما : جمع اللبابة : اللحمة المشرفة على الخلق في أقصى سفن الفم

وكان يقال : لسانك عبْدك ، فإذا تكلمت صرت عبده .
وقال بعض الحكماء : أنا بالخيار ما لم أتكلم ، فإذا تكلمت صار الكلام
عليّ بالخيار .

وقال آخر : لسانى فى حبس بدنى ما لم أطلقه على نفسى ، فإذا أطلقته
صار بدنى فى حبس لسانى .

وقال آخر : الكلمة أسيرة فى وثاق^(١) الرجل ، فإذا تكلم بها صار فى وثاقها
وقال الشعبي : أنا على أتباع ما لم أوقسح أقدر منى على ردّ ما أرقعت .

وتكلم أربعة من الملوك بأربع كلمات ، خرجن كلهن بهنّى ؛ فقال كسرى :
أنا على قول ما لم أقل ، أقدر منى على ردّ ما قلت . وقال قيصر : لا أندم على
ما لم أقل ، فإنا أندم على ما قلت . وقال ملك الصين : إذا تكلمت بالكلمة
ملكتنى ولم أملكها . وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلم بالكلمة ، إن حكيت
عنه ضرته ، وإن لم تذكر لم تنفعه .

وقال امرؤ القيس :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان

وقالت الفلاسفة : اللسان خادم القلب .

وقالت العلماء : اللسان كاتب القلب إذا أملى عليه شيئاً أتى به .

وأشدنى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

رأيت لسان المرء راعى نفسه وعاذره إن ليم أو زل سائره

فمن لزمته حجة من لسانه فقدمت راعيه وأفجيم^(٢) عاذره

ولئن كان السكوت جميلاً لقد جعل الكلام جميلاً ، ما لم يتعد المتكلم فى

(١) الوثاق : بفتح الواو وكسرها ، ما يشد به من قيد وحبل ونحوه ،

(٢) أفجيم : أسكت بالحجة فى خصومة أو غيرها ، ولم يستطع جواباً .

كلامه ، ويتجاوز في الكلام حدَّ نظامه .

وقد أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

ما في الكلام على الأنام أثمٌ بل فيه عندي النقض والإبرامُ
لولا الكلامُ لما تبيننا الهدى وتعطلت في ديننا الأحكامُ
فزين الكلام إذا أردت تسكماً ودع الفضول ، ففي الفضول ملامُ
إن أنت لم ترشد أخاك إذا أتى فعليك منسه شجنة^(١) وأثمُ
والتعلق أفضل من صمات^(٢) متهم جاء الكتابُ بذلك والاسلامُ
هذا البيان فلا تكن مهيارياً فالصمتُ عيٌّ والكلامُ نظامُ

وليس بعيب على الأديب ، وإن كان مستقلاً بما لديه ، استحداثاً^(٣)

للمتقدم في العلم عليه ، ولا في سؤاله فيما غيبت معرفته عنه ، من هو أعلى
درجة في العلم منه .

وأنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

تمامُ العمى طولُ السكوت وإثماً شفاهُ العمى يوماسؤالك من يدري

وروى أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن عبدالمطلب :

ماذا يزيد في العلم ؟ قال : التعلُّم . قال : فماذا يدل على العلم ؟ قال : السؤال .

أنشدني أحمد بن عبيد ، قال : أنشدني ابن الأعرابي لبشامة بن بجر والمرتضى :

إذا ما يهندي لبي هدي وأسألُ ذا البيان إذا سميتُ
وأجتنبُ المقاذع^(٤) حيث كانت وأتركُ ما هويتُ لما خشيتُ

(١) الهجنة من الكلام : العيب والقرح ، أو ما يبيبه الإنسان ، وفي العلم : إضاعته .
يقال : احفظ عارك من الهجنة

(٢) الصمات : السكوت

(٣) استعدى : اقتدى

(٤) قدح في عرضه : طعن فيه وعابه وتنقصه ، ويروى : المقاذع ، أي الخنا والفحش

وكان يقال: من رقى وجهه عن السؤال دق علمه ، ومن أحسن السؤال علمه .
وقال الشاعر :

إذا كنتَ في بِلْدَةٍ جاهِلاً ولِلْعِلْمِ فَمُلْتَمِسًا فَاسْأَلِ
فإنَّ السُّؤَالَ شِفَاءُ الْعَمَى كما قيلَ في الزَّمَنِ الأوَّلِ

ورؤينا عن يونس ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، قال :
لا يتعلم من استحميا وتكبر .

وقال رجل من بني العباس للأمامون : أيحسن بثلي طلب العلم اليوم ؟
فقال : نعم ، والله لأن تموت طالبا للعلم أزين بك من أن تموت قانعا بالجهل .
فقال : إلى متى يحسن بي وقد جاوزت الستين ؟ قال : ما حسنت بك الحياة :

وقال الخليل : ذاكر بعلمك ، فتذكر ما عندك ، وتستفيد ما ليس عندك
وقال الخليل أيضا : كنت إذا لقيت عالما أخذت منه وأعطيته .

وأخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني ابن الأعرابي قال : أخبرنا أزهري
السَّمان قال : قال الزُّهريُّ : الأخبارُ ذُكرَ أن لا يحبُّها إلا ذُكرَ أن الرجال ،
ولا يكرهها إلا مؤنِّفهم .

وقال الطَّرِمَّاحُ :

وَلَا أَدْعُ السُّؤَالَ إِذَا تَعَيَّتْ عَلَيَّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْكِلاتُ
وَيَنْفَعُنِي إِذَا اسْتَيْقَنْتُ عِلْمِي وَأَقْوَى الشُّكِّ عِنْدِي اللَّيِّنَاتُ

فهذه جملة تحث الأدباء على الطالب ، وصدر يقنع به العقلاء من حدود الأدب ،
(ومنه أيضا) : ترك مازحة الاسخوان ، إذا كان مما يوغر صدور الخُلَّانِ ،
وقد اختصرت لك من ذلك جملة مقنعة ، وألفاظها ممتعة . فيها لك كفاية ،
ولذوى الألباب نهاية ، إن شاء الله تعالى .

٢ - باب النهي عن صهازة الأعداء

والنهي عن مفاكحة الأعداء

اعلم أن من زىّ الأدباء، وأهل المعرفة والعقلاء، وذوى المروءة والظرفاء :
قالة الكلام في غير أرب . والتعجال " عن المداعبة واللعب ، وترك التبذل
بالسخافة ، والصياح بالفكاهة ، والمزاح لأن كثرة المزاح يذل المرء ، ويضع
القدر ، ويزيل المروءة ، ويُفسد الأخوة . ويحتري . على الشريف الحر :
أهل الدناءة والشر .

وقد أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعي عن رجل من العرب
قال : خرجت في بعض ليالي الضلم ، فإذا أنا بجارية كأنها صنم ، قرأودتها عن
نفسها . فقالت : يا هذا ، أمالك زاجر من عقل ، إذا لم يكن لك واعظ من
دين ؟ قلت : والله ما يرانا إلا الكواكب ! قالت : يا هذا ، فأين مسكوكيها ؟
فقلت : إنما كنت أروح ، فتالت :

فإياك إياك المزاح فإنه يجري عليك الطفل والدنس الندلا
ويذهب ماء الوجه بعد وضائه ويورث بعد العز صاحبه ذلاً
وقال سليمان بن داود عليهما السلام . المزاح يستخف فؤاد الخليم ،
ويذهب بهاء ذى القدره .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكثر من شىء عرف به ، ومن
مازح استخف به ، ومن كثر ضحكك ذهب هيبته .

وكان يقال : لكل شىء بذر ، وبذر العداوة المزاح .
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله : إمنعوا الناس من المزاح ، فإنه

يُذهِبُ المَرْوَةَ ، وَيُوغِرُ^(١) الصَّدْرَ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَارِحٌ أَخَاكَ إِذَا أُرِدْتَ مَرَاحًا وَتَوَقَّ مِنْهُ فِي الْمَرَاحِ جَمَاحًا^(٢)
فَلَرَبَّمَا مَرِحَ الصَّدِيقُ بِمَرِحَةٍ كَانَتْ لِبَابِ عِدَاؤِهِ مِفْتَاحًا

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : اِمْتَنَعُوا مِنَ الْمَرَاحِ تَسْلِمَ لِسِكِّمِ الْأَعْرَاضِ ،
وَقَالَ خَلْفُ بْنُ صَفْوَانَ : الْمَرَاحُ سَبَابُ التَّوَكِّي^(٣) .

وَقَالَ مَجْمُودُ الْوَرَّاقِ :

تَلَقَى النَّبِيَّ يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ نَبَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مَمَارِحًا وَمَلَاعِبًا هِيَمَاتِ نَارِكَ فِي الْحِشَا سَتَسَعَّرُ
أَلْبَسْتَهَا وَطَفَقْتَ تَضْحِكُ لَاهِيًا عَمَّا بِهِ وَفَوَادُهُ يَتَفَطَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتَ وَمِثْلَ جِهْلِكَ غَالِبٌ أَنْ الْمَرَاحُ هُوَ السُّبَابُ الْأَصْغَرُ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْحُصُومَةُ تُمْرِضُ الْقُلُوبَ . وَتَثَبَّتْ فِيهَا النِّفَاقُ ،

وَالْمَرَاحُ يُذْهِبُ بِيهَا الْعِزُّ .

وَحَدَّثَنِي الْبَاهِغُنْدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ ، عَنْ سَفِيَانَ ، عَنْ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ

قَالَ : قَالَتْ لِي أُمِّي : يَا بَنِيَّ لَا تَمَارِحِ الصَّبِيَانَ قَتْمُونَ عَلَيْهِمْ . وَقَدْ كَانَتْ أَدْرَكَتْ

النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَأَوْصَى يَعْلى بْنُ مُمَيَّةَ بَنِيهِ فَقَالَ : يَا بَنِيَّ إِذَا كُمُ وَالْمَرَاحَ ، فَإِنَّهُ يُذْهِبُ

بِالْبِيهَاءِ ، وَيُعْقِبُ التَّنَادِمَةَ ، وَيُزْرِي بِالْمَرْوَةِ .

(١) وَغَرَدَ عَلَيْهِ : أَغْرَاهُ بِالْحَقْدِ عَلَيْهِ

(٢) جَمْعُ الرَّجُلِ : رَكِبَ هَوَاهُ فَلَمْ يَمُكِّنْ رَدَّهُ

(٣) التَّوَكِّي : جَمْعُ الْأَنْوَكِ : الْأَحْمَقُ ، الْعَاجِزُ الْجَاهِلُ

وقال مسعر بن كدام الهلالي لابنه :

ولقد منحتك يا كدام نصيحتي فاسمع لقول أبي عليك شفيق
أما المزاحمة والمراء فدعهما خلقتان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحدهما لجاور جاورته ورفيق
وكان سعيد بن العاص يقول : لا تمارحني الشريف فيحمد عليك ،
ولا الدين فيجترى عليك .

وقد توارث بالنهي عن ذلك الأخبار ، وتكاثفت فيه الأشعار ، ولعمري
إن ترك ما نهى عنه ذور الأدب ، من المداعبة واللعب ، أولى بذى النية^(١)
والأرب ؛ وقد يجب على العاقل الأديب أن ينتقى أخوانه ، ويتخير أجدانه ،
ويفتش عن الأصحاب ، ويجالس ذوى الألباب ، ويستخلص أهل الفضل ،
وأهل المروآت والعقل . فأنها محنة الأدباء ، وفراسة العلماء ؛ وإيها يعرف
الرجل بأشكاله . ويتناس بأمثاله ، ويوسم بأجدانه ، وينسب إلى أقرانه .
وقد شرحت في ذلك جملة من الآثار ؛ وما روى فيه من التفت
والأخبار ، فتقف عليه يبين لك ما فيه إن شاء الله تعالى .

٣ - باب الأوصاف بالاعتبار الأقران

وانتخاب الأقران والأجدان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اختبروا الناس بأخوانهم ، فإن
الرجل يخاد من يسجبه نحوه .

وقال مجاهد : إني لأنتقي الإخوان ، كما أنتقي أطايب الثمر .

وقال بعض الشعراء :

(١) النية : العقل

إِيْحَضُ^(١) مَوَدَّتِكَ الْكَرِيمِ فَأَنَّمَا
وإِنَّمَا أَشْرَافِ الرَّبِّالِ مَرُوءَةٌ
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ أَكْرَمٍ :
وَقَارَنَ إِذَا قَارَنْتَ حَرًّا فَأَنَّمَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَخْتَرْ صَدِيقًا لِنَفْسِهِ
وَرَوَى أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ : لَا تَحْكُمُوا لِلرَّجُلِ بِشَيْءٍ
حَتَّى تَنْظُرُوا مَنْ يَخَادُنُ .

وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدِ الْعِبَادِيِّ :
عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّرَّ يَبْعَثُ أَهْلَهُ
وَقَالَ عَتَبَةُ بْنُ هُبَيْرِ الْأَسَدِيِّ :
إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ أَوْ أَهْلَهُ
فَاخْتَبِرِ الْأَرْضَ بِأَنْمَائِهَا
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

مَنْ ذَا الَّذِي يَخْفَى عَلَيْهِ
وَعَلَى الْفَتَى بِطِبَاعِهِ
كِذَا إِذَا نَظَرْتَ إِلَى قَرِينِهِ
سِمَةٌ^(٢) تَنُوحُ عَلَى جَبِينِهِ
وَأَنْشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُمَيْدٍ لِأَبِي مُحَمَّدٍ الْبَزِيدِيِّ :
وَمَنْ يَصَاحِبُ صَاحِبًا يُنْسَبُ إِلَى مُسْتَصْحَبِهِ
بِزَائِنَاتٍ رَشْدِهِ أَوْ شَائِنَاتٍ رِيْبِهِ

(١) إيْحَضُ فُلَانًا الْوَدَّ أَوْ التَّوَجُّعَ : أَخْلَصَهُ زِيَاةً

(٢) أَرَزَى عَلَيْهِ عَمَلَهُ : عَابَهُ عَلَيْهِ (٣) السِّمَةُ : الْعَلَامَةُ

ورأسُ أمرٍ لا مرمى خيرٌ له من ذنبة
 وذو النُهَى ليست تبا عاتٍ^(١) المَهْوَى مِنْ أَرَبَةٍ
 وقال آخر: ولا تصحبُ أخا الجمل وإيّاك وإيّاهُ
 فكُم من جاهلٍ أَرَدَى^(٢) حليماً حينَ آخَاهُ
 وللشيءِ مِنَ الشيءِ مَقَائِيسٌ وَأَشْبَاهُ
 يُقَاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما المرءُ ما شَاهُ
 وللقلبِ على القلبِ دليلٌ حينَ يَلْقَاهُ

وأُشدني أبو العباس الشيباني لأبي أمنة جدّ النبي صلى الله عليه وسلم :
 وإذا أتيتَ جماعةً في مجلس فأحذرُ بحالِهم ولما تَقَعُدُ
 وذَرِ العُوقَاةَ الجاهلينَ وجملهم وإلى الذين يندكروك فأقعدُ
 فليؤاخِ الأديبُ أكفاهُ ، وليصحبَ نظراءهُ ، ومن يَأْمَنُ مِنْ غدرهِ ،
 وغِبْ^(٣) أمرهُ ، وبوأثق^(٤) شرُّهُ ؛ وأنى يكون ذلك ولن يجتمع إلا في أهل
 الحياء ، فمنهم كرم الوفاء ، وإذا اجتمع الحياء والوفاء ، صحَّ الإخاء .
 وقد أخبرني محبٌّ عن عبد الله بن طاهر أنه قال : لا دواء لمن لا حياء له ،
 ولا حياء لمن لا وفاء له ، ولا وفاء لمن لا إخاء له ، ولا إخاء لمن أراد أن يجمع
 بين أهواء أخلائه ، حتى يحبوا ما أحب ، ويكرهوا ما كره ، وحتى لا يرى من
 أحد ختلاً^(٥) ولا زللاً ، ولا تفریطاً ، ثم أنشد :

طلبتُ امرأةً أَمَحْضاً^(٦) صحيحاً مسلماً نقياً من الآفات في كلِّ موئيمٍ

(١) التباعاات : جميع التباعه : ما ترتب دلي الفعل من الخير أو الشر
 (٢) أَرَدَى الرجل : أسقطه
 (٣) الغب : العاقبة
 (٤) البواثق : جمع البائقة ، انداهية ، أو الشر
 (٥) ختله : خذله
 (٦) المحض : الخالص الصريح فهو

لَأَمْنِجِهَ وَوَدَى فَلَمْ أُدْرِكِ الَّذِي
صَبَرْتُ وَمَنْ يَهْتَبِرُ بِمَحْدِ غَيْبِ صَبْرِهِ
وَمَنْ لَا يَطِيبُ^(١) نَفْسًا وَيَسْتَبِقُ صَاحِبًا
وَقَالَ سَمُودُ الرَّزَّاقُ :

إِلْبَسْ أَخَاكَ عَلَى تَصْنَعِ سَهْ
فَلَرَبِّ مَفْتَضِحٍ عَلَى النَّصِّ
مَا كِدْتُ أَخْضَعُ عَنْ أَخِي ثِقَةٍ
وَلِيَصْحَبَ نَظْرَاهُ ، وَمَنْ يَأْمَنُ غَدْرَهُ ، وَغَيْبَ أَمْرِهِ ، وَبِوَأْتِ شَرَّهُ ،
وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُبَرِّدُ لِنُطَيْعِ بْنِ إِيَّاسَ :

وَأَنْ كُنْتُ لَا تُصَاحِبُ إِلَّا صَاحِبًا لَا تَزِلُّ مَا عَاشَ نَعْلُهُ
لَا تَجِدُهُ وَلَوْ حَرَصْتَ وَأَنْيَ لَكَ بِالْجُلِّ لَيْسَ يُوْجَدُ مِثْلُهُ
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ : أَعْيَانِي شَيْثَانٌ : أَخٌ فِي اللَّهِ ، وَدِرْهَمٌ حَلَالٌ .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحَسَكَاةِ : مَنْ أَبْعَدَ النَّاسَ سَفَرًا ؟ فَقَالَ : مَنْ كَانَ فِي طَلَبِ
صَدِيقٍ يَرْضَاهُ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِلْفَضْلِ بْنِ عِيَّاضَ : ابْغِي رَجُلًا أَحَدَّثَهُ سِرِّي ، وَآمَنَهُ عَلَى
أَمْرِي ، فَقَالَ : تِلْكَ ضَالَّةٌ^(٢) لَا تُوْجَدُ .
وَأَنْشَدَنِي الْمُهَلَّبِيُّ لِنَفْسِهِ :

إِلْبَسْ أَخَاكَ عَلَى مَا كَانَتْ مِنْ خُلُقِي
فَأَطَوُّنِي النَّاسَ نَحْمًا مَنْ يَرِيدُ أَخَا
وَاحْفَظْ مَوَدَّتَهُ بِالْغَيْبِ مَا وَصَلًا
ذَا خِلْتَهُ^(٣) لَا يَرَى فِي وَدِّهِ خِلَلًا
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ لَا يَنْفَكُ مَعْتَفِرًا
ذَنْبُ الصَّدِيقِ وَإِنْ عَقَمًا وَإِنْ صَرَمًا

(٢) صرمة : هجرة ، وقاطمة

(١) طابت النفس : انشرفت

(٤) الخنة : الصداقة

(٣) الضالة : الشيء المفقود الذي تسمى وراه

والعمرُ يقصر عن هجر وعن صلته وعن تجني وعتب يورث السمما
فترك مصارمة الخلان ، والتجاوز عن هفوات الاخوان ، والاستكثار
من الاخلاء ، ورفض معاندة الأعداء ، أولى بأهل الأدب ، وذوى المروءة
والأرب ، وأهل الفضل والحسب .

وقد حكى الأصمعي قال : سمعت أعرابيا يقول لآخر له : أى أخى ، إن
الصديق يحول بالجفاء ، وإني أراك رطب اللسان من عيوب أصدقائك ،
فلا تردم في أعدائك .

وقال عبد الله بن الحسن بن علي لابنه رضى الله عنه : إياك وعداوة
الرجال . فإنها لن تعدمك مكر حليم ، أو مفاجأة لئيم

وروى أن سليمان بن داود قال لابنه : يا بُنى لا تستكثر أن يكون لك
ألف صديق . ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد
وروى أن علي بن أبي طالب عليه السلام قال :

وأكثر من الاخوان ما استطعت إنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خيل وصاحب وإن عدوا واحدا لك كثير
وليس شيء أسر إلى ذى اللب ، ولا أحسن موقعا في القلب ، من محادثة
العقلاء . ومجالسة الأديباء ، فإن ذلك مما تفتق به الأذهان ، وينفسح به الجنان ،
ويريد في اللب ، ويحيا به القلب . كما قال بعض الشعراء :

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدنهم قليلا فقد صاروا أقل من القليل

وقيل للحرقلة ابنة النعمان : ما كانت لذة أيبك ؟ فقالت : إدمان الشراب
ومجالسة الرجال .

وقال عمرو بن مرة الجهني ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم :
وَصَحَّوْتُ إِلَّا مِنْ لِقَاءِ مُحَمَّدٍ حَسَنَ الْحَدِيثِ يَزِيدُنِي تَعْلِيمًا
وقال معاوية بن أبي سفيان لعمر بن العاص : ما بقي مما تستلذه ؟
فقال : مجالسة الرجال .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن عدة من الصحابة رضى
الله عنهم ، من الأحاديث في الحث على صحبة الإخوان ، والرغبة في الخللان ،
ما إن ذكرناه طال به المكتاب ، وكثر به الخطاب ؛ وسنذكر بعض ذلك
ونختصره ، ونأخذ من أحسنه ما يكون فيه بلاغ إن شاء الله تعالى .

٤ - باب الحث على صحبة الإخوان

والإغراء على مودة الخللان ، والرغبة في أهل الصلاح والإيمان
رُوي عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المرء على دين
خليله ، فليُنظر أحدكم من يُخال .
ورُوي عن أبي عمرو العوفي قال : كان يقال : اصحب من إن صحبته
زانتك ، وإن خدمته صانتك ، وإن أصابتك خصاصة^(١) مانتك^(٢) ، وإن
رأى منك حسنة عدّها ، وإن رأى منك سقطاة سترها ، ومن إن قلت صدق
قولك ، وإن أصبت سدّد صوابك ، ومن لا يأتيك بالبواثق ، ولا تختلف
عليك منه الطرائق .

وقال الفضل بن غسان البصرى : كان يقال : اصحب من ينسى معروفه عندك
ورُوي عن معاوية بن قرة قال : نظرت في المودة والأخاء ، فلم أجد
أثبت مودة من ذى أصل .

(٢) مانه : قدم له مؤنته وقام بكفايته

(١) الخصاصة : الفقر

وأشهدونا لعمر بن عبد العزيز ، ولا يعرف له غير هذه الأبيات :
إني لأمنح من يواصلني مني صفاء ليس بالمدق^(١)
وإذا أخ لي حال عن خلق والمرء يصنع نفسه ومي
ومثله قول زهير بن أبي سلمى :
وما يك من خير أتوه فأنما
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه^(٢)
ومنه قول الآخر :

والابن ينشو على ما كان والده
وقال المتوكل الكنتاني :

عندي لصاح قرمي ما بقيت لهم
أجرى على سنة من والدي سبقت
وَأَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ أَخَاهُ فَقَالَ : أَيُّ أَخِي ، أَخِ الْكَرِيمِ الْآخِرَةِ ،
الْكَامِلِ الْمُرْوَةِ ، الَّذِي إِن نَبَيْتَ خَلْفَكَ ، وَإِن حَضَرْتَ كَنَفَكَ^(٣) وَإِن لَقِيَ صَدِيقَكَ
اسْتَزَادَهُ ، وَإِن لَقِيَ عَدُوَّكَ كَفَّهُ ، وَإِن رَأَيْتَهُ ابْتَهَجْتَ ، وَإِن نَأَيْتَهُ اسْتَرْحَمْتَ .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا رزقك الله مودة امرئ مسلم فلتثبت بها .
وكان سفيان الثوري كثيرًا ما يتمثل بهذين البيتين :

أبلى الرجال إذا أردت إثناءهم وتوسن إخوانهم وتفقد

(١) مدق الورد : شابه بكبر ولم يخلصه

(٢) الخطي : الرخ ، نسبة إلى الخط ، وهي جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح .

الوشيج : شجر الرماح

(٤) كنف الشيء : صانه وحفظه

(٢) الارومة : أصل الشجرة

فإذا وجدت أخا الأمانة والتمنى
كتم من صديق في الرخاء مساعدا
ومثل ذلك قول الآخر :

أخ من أخيت عن خبرته
لا ولا الأجسام ما لم تبلهم
منه ما ليست له منظره
ورى منه أيقا نبتة
وقال آخر :

من حمد الناس ولم يبلهم
وصار بالوحدة مستانسا
ثم بلاهم ذم من يحمده
يوحشه الأقرب والأبعد

وروى أن رجلا من عبد القيس قال لابنه : أي بني لا تؤاخ أحدا
حتى تعرف موارد أموره ومصادرها ، فإذا استبطنت الخير ، ورصيت منه
العشرة ، فأخه على إقالة العثرة ، والمؤاساة عند العسرة .

وأنشدني محمد بن يزيد المبرد :

وكنتم إذا الصديق أراد غيظي
غفرت ذنوبه وكفأمت غيظي
على حنق وأشرقني بريق
وأشدني لبشار بن برد العقبلي :

أخوك الذي لا ينقض الدهر عهدَه
نخذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه
ولا عند صرف الدهر يزور^(٢) بجانبه
إذا كنت في كل الأمور معاتبًا
ولا تك في كل الأمور بجانبه
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

(١) الطرز : جمع الطرة . الجبهة

(٢) الخور : الضعف

(٣) أزور عن كذا : عدل وانحرف

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى^(١) ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
وقال آخر :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه
ومن يتتبع جاهداً كل عشرة
وأشدنى أحمد بن يحيى لسعيد المساحق :

فخذ عفو من أحبت لا تبرمه
وقال أبو الأسود الدؤلى :

ولست مستبقياً أخاك لا
من ذا الذى هذبت خلائمه
لا أصحب الخائن اللئيم ولا
أجزيه بالعرف ما حيدت ولا
ومثله قول النابغة الذبياني :
ولست مستبقياً أخاك لا تلمه
وأجاد والله الذى يقول :

إذا ما أذاني مفصل فقصعته
ولكن أدويه فإن صح كانلى
وأشدت لرجل من طيء :

أرخص على الناس ثوب سترهم
أو اجن حلوا الثمار من شجره

(١) القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبن ونحوه

(٢) رنق الماء : اختلط فيه الطين فكدر .

(٣) الريث : مقدار المهلة من الزمن ، يقال : أمره ريثاً فعل ذلك ، أى مقدار ما

فعل ذلك .

(٤) أدواه : أمرضه ، (٥) تحامل فى وبالامر : تكلفه على مشقة .

وَاسْتَيْقَى مَا لَمْ تَرِدْ قَطِيحَتَهُ بِسِثْرِهِ مَا اسْتَقَرَّ فِي سِتْرِهِ
فَرُبَّ بَأْدَى الْجَمِيلِ مَنَسَهُ إِذَا فَكَشَّ أَبْدَى التَّقْتِيشِ عَن عَوْرِهِ
وَاسْتَصْلَحَ النَّاسَ مَا اسْتَطَعَتْ وَلَا تُسْرِعْ إِلَى ضَرٍّ مُبْتَغَى ضَرْرِهِ
وَرُوِيَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَحَبُّ أَخْوَانِي إِلَى أَخِي إِنْ
غَبِتَ عَنْهُ عَذْرَتِي ، وَإِنْ جَمَّتْهُ قَبْلَانِي

وَقِيلَ لِحَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ : أَي إِخْوَانِكَ أَوْ جِبَ عَلَيْكَ حَقًّا ؟ فَقَالَ : الَّذِي
يَسُدُّ خَلَّتِي ، وَيَغْفِرُ زَلَّتِي ، وَيَقِيلُ عَثْرَتِي

وَقَالَ مُطِيعُ بْنُ إِيَّاسٍ :

إِنَّمَا صَاحِبِي الَّذِي يَغْفِرُ الذَّنْبَ مَبَّ وَيَكْفِيهِ مِنْ أَخِيهِ أَقْلَهُ
لَيْسَ مَنْ يُظْهِرُ الْمَلَالَةَ إِفْكَأ وَإِذَا قَالَ خَالَفَ الْقَوْلَ فِعْلُهُ
وَصَلُّهُ لِلصَّدِيقِ يَوْمَ وَيَوْمٍ يُضْمِرُ الْحَجْرَ ثُمَّ يَنْبِتُ حَبْلَهُ (١)
وَأَحَقُّ الرِّحَالِ أَنْ يَغْفِرَ الذَّنْبَ مَبَّ لِإِخْوَانِهِ الْمُؤَفَّرُ عَقْلَهُ

وَفِي حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعِيدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْمَرْءُ كَثِيرُ بَأْخِيهِ

وَكَتَبَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : أَمَّا بَعْدُ ، فَاذَا قَدِمَ عَلَيْكَ ، أَخِي
مُوَافِقٌ لَكَ ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ ، مَكَانَ سَمْعِكَ وَبَصْرِكَ . فَإِنَّ الْأَخَّ الْمُوَافِقَ ، أَفْضَلُ مِنَ
الْوَلَدِ الْمُخَالَفِ

وَقَالَ حَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : أُعْجِزُ النَّاسَ مِنْ قَهْرٍ فِي طَلِبِ الْإِخْوَانِ ،
وَأُعْجِزُ مِنْهُ مِنْ ضَيْعٍ مِنْ ظَفْرِ بِلَهٍ مِنْهُمْ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : عَلَيْكُمْ بِإِخْوَانِ الصَّدِيقِ فَالْكَتْسِيُّوهُمْ ، فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي
الرِّخَاءِ ، وَوَعْدَةٌ عِنْدَ الْبَلَاءِ

(١) انبت : انقطع .

وسئل بعض الحكماء: أي الكفور خير؟ فقال: أما بعد تقوى الله، فالأخ الصالح
(واعلم) أن خير الإخوان من كانت إخوانته ومحبته في الله، ولم تكن
خُلته^(١) ولا مؤاخاته لطمع قليل، ولا لغرض عاجل، وليس شيء يندوى
العقول، وأهل الديانات والنهض: أفضل من إخلاص المودة في الله؛ ولعمري
أن ذلك يحسن بجميع أهل الملل والأديان، وهو من أوثق عرى الإيمان؛
وقد روى فيه أحاديث كثيرة، اقتصرنا على بعضها، واختصرنا من أحسنها،
وفي البعض كفاية إن شاء الله.

٥ - باب معرفة المتحابين في الله عز وجل

روى عن البراء بن عازب أنه قال: كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقال: أتدرون أي عرى الإيمان أوثق؟ قلنا: الصلاة. قال: إن الصلاة
الحسنة، وما هي بها. قلنا: الزكاة. قال: وحسنة، وما هي بها. فذكروا شرائع
الإسلام. فلما رأهم لا يصيبون. قال: إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله
وتبغض في الله.

وأخبرني أبي رحمه الله بإستناد ذكره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة لعموداً من ذهبٍ عليه منابر من زبرجد
تضيء لأهل الجنة كما يضيء الكوكب الدرّي في أفق السماء؛ قلناً: لمن هذا
يا رسول الله؟ قال للمتحابين في الله^(٢)

(١) الخلة: الصداقة.

(٢) الكوكب الدرّي: بنتيها هناك؛ الزاقب الدرّي، كالدُر، وقد روى الحديث
بالجاءع المنغير الحافظ السيوطي: «إن في الجنة لعموداً من يانفت عليها نيرف من زبرجد
لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدرّي يسكنها المتحابون في الله تعالى والمتجالسون
في الله تعالى والمتلافون في الله».

وَرَوَى أَبُو الْأَحْوَصِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تَحَبَّ
فِي اللَّهِ وَتَبْخُضَ فِي اللَّهِ

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: الْإِيمَانُ أَنْ يَحِبَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا
نَسَبٌ قَرِيبٌ، وَلَا مَالٌ أُعْطَاهُ إِيَّاهُ، لَا يَحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَرُوَيْنَا عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُوَاحِشِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَتَطْوُلُ اللَّيْلَةُ عَلَى أَحَدِهِمَا حَتَّى
يَرَى أَخَاهُ

وَرُوَيْنَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ قَالَ: مَا حَجَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْذُ أُسَلِمْتُ، وَلَا زَانِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: لِقَاءُ الْأَخْوَانِ جِلَاءُ الْأَحْزَانِ

وَقَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي: لِقَاءُ الْأَحِبَّةِ مَسْأَلَةُ الْهَمِّ

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: أَنْتُمْ جِلَاءُ حِزْنِي

وَرَوَى عَنْ أَبِي إِمَامَةَ قَالَ: مَنْ أَعْطَى اللَّهُ، وَمَنْعَ اللَّهُ، وَأَحَبَّ اللَّهُ،

وَأَبْغَضَ اللَّهُ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ

وَقَدْ كَانَتْ الْحِكْمَاءُ تَقُولُ: إِنَّ مَا يَحِبُّ لِلْأَخِ عَلَى أُخِيهِهِ مَوَدَّةً يَقْلِبُهُ،

وَتَرْبِيئُهُ بِلِسَانِهِ، وَرَفْدُهُ^(١) بِمَالِهِ، وَتَقْوِيمُهُ بِأَدَبِهِ، وَحَسَنُ الذَّنْبِ^(٢) وَالْمُدَافَعَةُ

عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ.

وَأَنْشَدَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُنْصَفْ أَخَاهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ غَائِبًا يَوْمًا كَمَا هُوَ شَاهِدُهُ

فَلَا خَيْرَ فِيهِ فَالْتَمَسْ غَيْرَهُ أَخًا كَرِيمًا عَلَى وَصْلِ الْكَرِيمِ تَعَاهِدُهُ

عَلَى كُلِّ حَالٍ أَيْنَمَا كُنْتَ وَاجِدُهُ فَإِنْ غَيْبَتْ يَوْمًا أَوْ شَهِدْتَ فَوَجْهَهُ

(٢) ذب عنه : دفع وحامى

(١) الرغد : الحطاء والمعونة

أنشدني أحمد بن يحيى ، لكثير عزة :

وليس خليلي بالمولود ولا الذي إذا غبت عنه باعني بخليل
ولكن خليلي من يدوم وفاؤه ويحفظ سرى عند كل دخيل
ولست براضٍ من خليلي بنائيل قليل ولا أرضى له بقليل

وأنشدني بعض الأدباء ، قال : أنشدني أعرابي ببلاذنجود :

وليس خليلي بالمزجي^(١) ولا الذي إذا غبت عنه كان عوناً مع الدهر
ولكن خليلي من يصون مودتي ويحفظني إن كان من دوني البحر

وأنشدني أبو العباس محمد بن يزيد النحوي :

تودُّ عدوي ثم تزعم أنني أو ذلك ، إن الرأي عنك لعازب^(٢)
وليس أخي من ودني رأى عينه ولكن أخي من ودني وهو غائب

وأنشدني يوسف الأعمور قال : أنشدني يعقوب بن السكيت

لاوس بن حجر :

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولي ويرضيك مقبلاً
ولكن أخوك الثأني ما كنت آمناً وصاحبك الأذني إذا الأمر أعضلاً^(٣)

وأنشدني أبو العيناء ، قال أنشدني الجاحظ :

أخوك الذي إن سرك الأمر سره وإن غبت يوماً ظل وهو حزين
يقرب من قربت من ذي مودة ويقضي الذي أقصيته ويهين

وأنشدني أحمد بن يحيى :

إذا أنت رافقت الرجال فكن قتي كأنك مملوك لكل رفيق

(٢) عزب فهو عازب : بعد وعاب .

(١) المزجي : الضعيف .

(٣) أعضل الأمر : اشد واستغنى

وَكُنْ مِثْلَ طَعْمِ الْمَاءِ عَذْبًا وَبَارِدًا عَلَى السَّكْبِدِ الْحَرَّى (١) لِكُلِّ صَدِيقٍ
وَاعْلَمْ أَنَّ أَحْسَنَ مَا تَأَلَّفَ بِهِ النَّاسَ قُلُوبَ أَخْلَائِهِمْ ، وَنَفَوَابَهُ لِلضُّغْنِ (٢)
عَنْ قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ ، الْبِشْرُ بِهِمْ عِنْدَ حَضُورِهِمْ ، وَالتَّفَقُّدُ لِأُمُورِهِمْ ، وَحَسَنُ
الْبِشَاشَةِ ، فَذَلِكَ يُثَبِّتُ الْمَحَبَّةَ وَالْإِخَاءَ ؛ وَمِنْهُ أَحَادِيثٌ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَهَا ،
وَقَصَدْنَا فِيهَا فِيهِ قِنَاعَهُ .

٦ - باب البهائم بالبرهان

والصبر على تألف قلوب ذوى الأضغان

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِدْفَعْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ
صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) .

وَقَالَ تَعَالَى : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ
عَنَّهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : رَأْسُ الْعَقْلِ
بَعْدَ الْإِيمَانِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ (٣)

وَسُئِلَ الْحَسَنُ عَنْ حُسْنِ الْخَلْقِ فَقَالَ : الْكَرَمُ وَالْبَذَلَةُ وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ

وَرَوَيْنَا عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَجَلِيِّ فَقَالَ : مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ مِنْذُ

أَسَلَيْتُ ، وَلَا رَأَى إِلَّا تَبَسُّمًا فِي وَجْهِهِ .

(١) الحرى : الشديد العطش . (٢) الضغن : الحقد .

(٣) روى بالجامع الصغير : رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس واصطناع
الخير إلى كل بر وفاجر .

وقال المنصور : اذا أحببت المحمّدة من الناس بلا مؤونة ، فالفهم

ببشر حسن .

وروى عن كعب الأخبار قال : مكتوب في التوراة : ليكن وجهك سبطاً ،
تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة .

وأشدني أبو علي العنزي :

إِلَى الْوَقْ بِالْبِشْرِ مَنْ لَقِيَتْ بِنِ النَّاسِ سِ جَمِيعًا وَلَا قِيَمٌ بِالطَّلَاقِ
تَجَنُّ مِنْهُمْ بِهِ جَنِّي ثَمَّارٌ طَيِّبٌ طَعْمُهُ لَذِيذُ الْمَذَاقِ
وَدَعِ التَّيَهُ وَالْعُبُوسَ عَنِ النَّاسِ سِ فَإِنَّ الْعُبُوسَ رَأْسُ الْحِمَاةِ
كُلَّمَا شِئْتَ أَنْ تَعَادِيَ عَادِيَةً صَدِيقًا وَقَدْ تَعَزَّ الصَّدَاقِ
أَشَدُّ لِبَعْضِ بَنِي طَيْ .

خَالِقِ النَّاسِ بِخَلْقٍ وَاسِعٍ لَا تَسْكُنُ كَلْبًا عَلَى النَّاسِ تَهِيرُ
وَالْقِيَمُ مِنْكَ بِبِشْرٍ تَمَّ كُنْ لَلَّذِي تَسْمَعُ مِنْهُمْ مُعْتَفِرُ
وقال أبو العتاهية :

وَأَلِنْ جَنَاحَكَ تَعْتَقِدُ فِي النَّاسِ مُحَمَّدَةَ بِلِينِهِ
قَلْبُهُمَا أَحْتَقِرَ الْقَمَى مَنْ لَيْسَ فِي شَرَفٍ بِدُونِهِ

وكان يقال : أول المروة طلاقة الوجه ، والثانية التودد الى الناس ،

والثالثة قضاء حوائج الناس .

وروى أن أعرابياً قال : يا رسول الله ، إننا من أهل البادية ، فنحب أن

تعلمنا عملاً لعل الله أن ينفعنا به . قال : لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن

تفرغ من دلوك في إناء المستقي ، وأن تكلم أخاك ووجهك اليه منطلق .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لن تسعوا الناس بأموالكم ،

فسعوا بمسقط الوجه والخلق الحسن .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : تمام تحياتكم المصافحة .

وقال الحسن البصري : المصافحة تزيد في المودة

وروى مجاهد عن معاذ قال : إن المسلمين إذا التقيا فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ، ثم أخذ بيده تحاقت ذنوبهما كما يتحانت ورق الشجر^(١) وعلم أنه إذا صلحت النيات ، وخلصت السريرات ، صلحت أصفية^(٢) المودة ، وثبتت المحبة ، وانفقت القلوب ، واغتفرت الذنوب ؛ وإذا فسدت النيات ، وخبثت السريرات ، بطل خالص الإخاء ، وانجملت عرى^(٣) المودة والصفاء ؛ وقد شرحت في ذلك باباً ، تقف عليه إن شاء الله تعالى

٧ - باب إيمان القلوب

على مودة الصديق ، وقلة الخلاف على الرفيق

روينا عن أبي الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، وعن الوليد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الأرواح جنود مجنونة ، فما تعارفت منها اتلفت ، وما تناكر^(٤) اختلقت .

وقال بعض الشعراء :

إن القلوب لأجناد مجنونة لله في الأرض بالآهواء تعترف

فما تعارفت منها فهو مؤلف وما تناكر منها فهو مختلف

وقال صرفة :

وإن امرءاً لم يعف يوماً فكاهة لمن لم يرد سوءاً بها مجهول

(١) تحات الورق من الشجر : تناثر .

(٢) أصفى فلانا الود ، وأصفى له الود : أخلصه له .

(٣) العرى : جمع عروة : ما يوثق به .

(٤) تناكر النجوم : تعادوا وأنكر بعضهم بعضاً .

تَعَارَفَ أَرْوَاحُ الرِّجَالِ إِذَا التَّقَوُّوا فَفَتَهُمْ عَسَدٌ يُتَّقَى وَخَلِيلٌ

وكان يقال : المودّة قرابة مستفادة .

وقيل لخالد بن صفوان : أخوك أحب اليك ، أم صديقك ؟ فقال : إن

أخى إذا كان غير صديق لم أحبه .

وروينا عن واصل مولد ابن عيينة قال : كنت مع محمد بن واسع بمرو ،

فأتى عطية بن مسلم ومعه ابنة عثمان فقال عطاء لمحمد : أى عمل فى الدنيا

أفضل ؟ قال صحبة الأصحاب ، ومحادثة الإخوان ، إذا اصطحبوا على الأمان

والتقوى ، فحينئذ يذهب الله بالخائف من بينهم . فواصلوا وتواصلوا .

وروى عن بشر بن السرى قال : ليس من البر أن تبغض ما أحبه حبيبك

وقال عبد الله بن صالح : اجتمعت أنا ومحمد بن نصر الخارثى ، وعبد الله

ابن المبارك . وأنضيل بن عياض ، فصنعت لهم طعاما فلم يخالف محمد بن نصر

علينا فى شىء أصلا . فقال له عبد الله : ما أقل خلافتك ! فقال محمد :

وَإِذَا صَاحِبْتَ فَاصْحَبْ مَا جَدَا ذَا حِيَاءٍ وَعَفَافٍ وَكَرَمٍ

قَوْلُهُ لِلشَّيْءِ : لَا ، إِنْ قُلْتَ : لَا وَإِذَا قُلْتَ : نَعَمْ ، قَالَ : نَعَمْ

وقال آخر :

هُمُومٌ رِجَالٌ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَهَمٌّ مِنَ الدُّنْيَا خَلِيلٌ مُسَاعِدٌ

إِذَا غَبَّتْ عَنْهُ لَمْ أَغِبْ عَنْ ضَمِيرِهِ كَأَنِّي مُقِيمٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ شَاهِدٌ

نَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ فَرُوقًا لِحُسْنِهَا جَسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ

وأنشدنى آخر :

وَالْقَيْنِ كَالْفُصَيْنِ ضَمُّهُمَا الْهُوَى فَرُوحَاهُمَا رُوحٌ وَقَلْبَاهُمَا قَلْبٌ

إِذَا غَابَ هَذَا سَاعَةً عَنْ خَلِيلِهِ نَحْلَاهُ يَوْمًا عِنْدَ فِرْقَتِهِ كَرَبٌ

فِيأَمَّنْ رَأَى الْقَيْنِ صَانَا هَوَاهُمَا فِهَذَا بِذَا صَبٌّ وَهَذَا بِذَا صَبٌّ

وَأُنشِدْتُ لِلْحَكَمِيِّ :

رُوحُهَا رُوحِي وَرُوحِي رُوحُهَا وَلَهَا قَلْبٌ وَقَلْبِي قَلْبُهَا
فَلَنَا رُوحٌ وَقَلْبٌ وَاحِدٌ حَسْبُهَا حَسْبِي وَحَسْبِي حَسْبُهَا

ولعمري إن ذلك لحسن جميل ، والذي قيل في ذلك كثير طويل .
وقد نهى قومٌ عن استعمال الميل في المودة ، واعلم أن ذلك مع دوام المحبة ،
وصفاء المودة ، لحسن غير مدفوع ؛ غير أنه قد نهى عن استعمال الميل في المودة ،
وكثرة الإفراط في المحبة ، وإدمان الزيارة في كل يوم وساعة ، لموضع الملل
والسلوان ، الذي هو طبع الانسان ، وأمرنا بالقصد في كل الأمور ، بدوام
المحبة والسرور ، وقد ذكرتُ بعض ذلك وفيه مفتح .

٨ - باب النهي عن استعمال الإفراط في حب الصديق

رُوي عن بعض الحكماء أنه قال : لا يفرط الأديب في محبة الصديق ،
ولا يتجاوز في عداوة العدو ، فانه لا يدري متى تنتقل صداقة الصديق عداوة ،
ولا متى تنتقل عداوة العدو صداقة .

وحكى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال : أحبب حبيبك
هو نأما^(١) عسى أن يكون بغضك يوماً ما ، وأبغض بغضك هو نأما ما ، عسى
أن يكون حبيبك يوماً ما .

ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : لا يكن حبك كلفاً ،
ولا بغضك تلفاً .

ومن أمثال أكرم بن صيفي : الانقباض من الناس مكسبة للعداوة ،
وإفراط الأثر مكسبة لللال . قال أبو عبيدة : يريدان الاقتصاد أدنى إلى السلامة .
(١) أحبب حبيبك هو نأما . . . : أي حيا مقتصدًا لا إفراط فيه ، وإضافة ما
تفيد التقليل ؛ يعني لا تسرف في الحب والبغض فعسى أن يصير الحبيب بغيضًا والبغض
حبيبًا ، فلا تكون قد أسرفت في الحب فتندم ولا في البغض فتستحي .

قال أبو زيد : من أمثالهم : لا تكن حلوًا قَدَسَتْ رَطًا^(١) ولا مرًا قَدَسَتْ^(٢)
أى تلفظ من المرارة .

ومثله قول مُطَرِّف بن الشَّخِير : الحسنة بين السَّيِّئِينَ ، وخسيرة
الأمور أوسطها .

وكان يقال : لا تهذر في متطققك ، ولا تُظهِر بذات نفسك ، ولا تهزأ
بمدوك ، ولا نفرط في حب صديقك ، ولا تفرغ إلى من لا يرحمك ، ولا
تألف من لا يرشدك ، ولا تبغض من لا ينصح لك ، فإن شرَّ الأخلاق ملالة
الصاحب ، وتقريب المتباعد .

وأشدني أحمد بن يحيى الملقب الكندي :

وَكُنْ مَدَدًا لِلْجِلْمِ وَأَصْفَحْ عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَأَى مَا عَلِمْتَ وَسَامِعُ
وَأَحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ تَنْزِعُ
وَأَبْغِضُ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَاعِدٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
وأشدني أحمد بن يحيى لسعيد المساحق :

فَهَوِّنْكَ فِي حُبِّ وَبَغْضٍ فَرِيقًا يَرَى جَانِبًا مِنْ صَاحِبِ بَعْدِ جَانِبِ
وسمعتُ عبد الله بن عبد الله بن ظاهر ينشد ذنين البيهقي ، وأحمد بهجا له :
إِذَا أَنَا أَكْرَمْتُ الثَّمِيمَ فَعُدَّنِي مَهِينًا لَهُ حَقَّقْتُ بَاطِلًا مَا عُدَّنَا
فَإِنَّ صَلَاحَ الْأَمْرِ يَرْجِعُ كُلُّهُ فَسَادًا إِذَا الْإِنْسَانُ جَوَّتْ بِهِ الْخُدَا
وهذا طويل يُقنعك منه القليل .

وأما طول الزيارة ، فقد يجب على أهل الصداقة ترك المداومة عليها ،
وكثرة الجنوح^(٣) إليها ، فإن ذلك يخلق الحب ، ويذهل الصب ، ويضجر

(١) مرط الشيء : ابتغته . (٢) عن الأمر : كرهه . وأعنى : صار مرًا .

(٣) جنح إليه : مال .

المزور ، ويعدم السرور ، ويوقع البذل ، ويبندى الملل : وقد شرحنا في ذلك باباً فاعرفه وقب عليه إن شاء الله تعالى

٩ - باب الأصر باغتيال زيارة الأعمام

والنهي عن مداومة غشيان الأصحاب

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا
وقال بعض الحكماء : من كثرت زيارته قلت بشاشته

وقال آخر : من أدمن زيارة الأصدقاء : عديم الاحتشاد عند اللقاء * وقال آخر :

أقليل زيارتك الصديق ق تكون كالثوب استجدده
إن الصديق يمده أن لا يزال يراك عنده

وقال آخر :

عليك بأقلال الزيارة إليها تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت القطر يسأم دأبها ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا^(١)

وأنشدت لأبي تمام ، حبيب بن أوس :

وطول مقام المرء في الحى مخلو ليدباجتية فاعترب تتجدد^(٢)
فإني رأيت الشمس زبدت حبة إلى الناس أن ليست عليهم سرمد^(٣)

وأنشدني إبراهيم بن المهدي :

إني كثرت عليه في زيارته والشئ مستثقل جدا إذا كثرا
ورأيت منسه أني لا أزال أرى في طرفه قصرا عني إذا نظرا^(٤)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

(١) انقطر : المطر . (٢) مخلو : بال أو بمزق . اللدباجة : الخد .
(٣) السرمد : الدائم . (٤) انظر : العين .

لَا تَجْعَلُنَّ أَحَدًا عَلَيْكَ إِذَا
أَحْبَبْتَهُ وَهُوَ بِتَمَهُ رَبًّا (١)
وَصَلِّ الصَّدِيقَ إِذَا كَلِمْتَ بِحَبِّهِ (٢)
فَلَدَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُوَاصَلَةِ
نَيْسَتَ تَزِيدُكَ عِنْدَهُ قُرْبًا
لَا بَلَّ يَمَّاكَ عَنَسِدَ دَعْوَتِهِ (٣)
وَقَالَ آخِرُ :

أَغْبَى الزِّيَارَةَ لَمَّا بَدَأَ لَهُ الْهَجْرُ أَوْ بَعْضَ أَسْمَاءِهِ
وَمَا صَدَّ هَجْرًا وَلَكِنَّهُ طَرِيدٌ مَلَالَةٌ أَحْبَابِهِ
وَكَتَبَ بَعْضَ الظُّرَفَاءِ رَقْعَةً وَطَرَحَهَا فِي مَجْلِسِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ
حَيْثُ حَرَّمَ الْقِيَانُ :

عَزَمَاتُ الْأَمِيرِ أَصْلَحَهُ إِلَّا
بَاعَدَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُجَابِ
فَوَقَّعَ مُحَمَّدٌ فِي ظَهْرِ الرَّقْعَةِ
حُسْنَ رَأْيِ الْأَمِيرِ فِي الْعُشَاقِ
وَفَرَّ الْحِظُّ فِي بَعَادِ التَّلَاقِ
خَافَ أَنْ يَحْدِثَ الْوِصَالَ مَلَالًا
فَتَلَانِي الْهُوَى بِبَعْضِ الْفِرَاقِ
وَأَنْشَدَنِي بَعْضَ الْأَدْبَاءِ :
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِي مُحِبًّا وَإِلَى حِينٍ أَغْيَبُ صَبًّا

(١) الرب . منهول ثان لتجمعين . ويطلق في اللغة على المالك والسيد والمدير والمرئ
والقيم والمنعم .

(٢) كلف به : أحبه حباً شديداً وأراح به : ويروي : إذا سفت به . واطو الزيادة :
اقطعها . غب غباً : جاء زائراً بعد أيام ، ونغب عنه وغابيه : أنه يبرأ وتركه آخر .

(٣) مل الشيء : ستمه وضجر منه . آد : توجع . أبي : أجاب النداء ويروي :
لا بل يملك ثم تدعو باسمه فيقول هاه وطالمنا لي

فهمجرتُ لا بسلافة
 الا تقول قيساً
 ولقواه من زار غيباً
 ومجرتُ حين هجرتُ كني
 الله يعلم أني
 أرعى لك الود القديراً
 عَدَّتْ وَلَا اسْتَعْدَتْ ذَنْبَا
 ذوروا على الأيام غيباً
 ما منسككم يزداد حيباً
 أزداد بالهجرات قريبا
 لك أخلص الثقلين قلباً
 م وإن جئتك على حرباً

ومن ذلك ما روى أن العنابي دخل على يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت له جارية يقال لها : خلوب ، تجالس الأدباء ، وتناقض الشعراء ، فقال لها : سليه لا يضاهاه عنا جائزة ، فتالت له : قل على هذه الثقافية .

إذا شئت أن تقلّ قُرُ متوارياً
 قالتا يقول :

بقيتُ بلا قلب لأبي هاشم
 حلفتُ لها بالله أنك مني
 عسى الله يوماً أن يُريدك خالياً
 يقولون لا تسكّر زيارة صاحب
 وكيف يطيق الصب سلوان حبه
 وقد قال بيتنا ما سمعتُ مثله
 إذا شئت أن تقلّ قُرُ متوارياً

فهل من زهير يا خلوب بكم قلباً
 فكوني ليعبي حيث ما نلت نصباً
 فأجني بلحظي من محاسنكم نجيباً
 فانك إن أكثرته كرهه القرباً
 إذا كان مشعوراً فاقداً سعة مر الكرباً^(١)
 خلي من الأحزان لم يدق الحلباً
 وإن شئت أن تزداد حيباً قُرُ غيباً

(١) الثقلان : الإنس والجن .

(٢) قلى الرجل : أهداه . وانظر المکتب : أرسل بيتها في أبو بعض ، ويريد أن

تكون الزيادة متواصلة .

(٣) شعفه أحب : غلى قلبه وغليه

فقال له : لله أبوك أحضرت ، خذ بيدنا فهي لك ، وأمر له بالانسحاب منهم ،
واعلم أن كل ما رسمناه في هذه الأبواب ، وذكرناه ، وشرطنا ، على
الأدباء ، ووجدناه داخلًا في باب حدود الأدب من ما عهدناه غير خارج منه ،
ولا منفصل عنه ، وأن يكون الأديب عاقلًا ، والقياس كاملًا ، حتى تكون
له مودة قد قرنها بأدبه ، وثابر عليها في طلبه ، فاذا جمع ذلك ، رهب منه
الأعداء ، ورغب فيه الأدباء .

وسندكر من أنشأته المروءة ما يكون فيه بلاغ ومداية ، إن شاء الله تعالى .

١٠ - باب سرائع المروءة وصفها

اعلم أن المروءة هي عماد الأدباء ، وعماد العقلاء ، يرأس بها صاحبها ،
ويشرف بها كاسبها ، ولا شيء أزين بالمرء من المروءة ، فهي رأس
الظرف والفتوة .

وقد قال بعض الحكماء : الأدب يحتاج معه إلى المروءة ، والمروءة لا يحتاج
معها إلى الأدب ، وربما رأيت ذا المروءة الخامل ، وذا السخاء الجاهل . قد
غفلت مروءته على غيوبه ، وستره سخاؤه من معيبه .

وأهل المروءات محسودة أفعالهم ، مشبعة أحوالهم . وقل ما رأيت حاسدًا
على أدب ، وراغبًا في أرب .

من ذلك ما حكى عن محمد بن حرب أنه قال : كنت على شُرطة جعفر
بالمدينة ، فأنتيت بأعرابي من بني أسد يستعدي^(٢) عليه ، فرأيت رجلاً له بيان ،
يحمل الصنيفة^(٣) فرغبت في اتخاذها عنده ، ففعلته ، ثم لم يلبث أن ردَّ

(١) العتاد : ما أعد لأمر ما .

(٢) استعدي الرجل : استعان به .

(٣) الصنيفة : الإحسان .

الى فقلت : حماس ، فقال لي : حماس راقه ، قلت : ما أرجعك ؟ قال : الشر ،
وما قاله رجل منا يقال له خالد ، فأشددني :

عَادُوا مَرُوءًا فَضُلَّ سَعِيهِمْ وَلِكُلِّ بَيْتٍ مَرُوءَةٌ أَعْدَاءُ
لَنَا إِذَا عَدَّ الْفَخَّارُ كَعَشِيرِ أُرزَى بِفَعْلِ أَيِّهِمُ الْآبَاءُ
قال : فخلصته ثانية .

وقيل لبعض حكماء الفرس : أى شيء للمرؤة أشد تهجيناً ^(١) ؟ فقال :
للبلوك صغرٌ في الهمة ، وللعامّة الصلف ، وللفقهاء الهوى ، وللنساء قلة الحياء ،
وللعامة الكذب ، والصبر على المرؤة صعب ، وتحملها عبء .

وقد قال خالد بن صفوان : لولا أن المرؤة اشتدت مؤونتها ، وثقل حملها ،
ماترك اللئام للكرام منها شيئاً ، ولكنه لما ثقل حملها ، واشتدت مؤونتها ،
حاد عنها اللئام ، فاحتملها الكرام .

وقال بعضهم : المكارم لا تكون إلا بالمكاره ، ولو كانت خفيفة لتناولها
السفلة بالغبلة .

وقال ابن عمر : ما حمل رجل حملاً أثقل من المرؤة ، فقال له أصحابه :
صف لنا ذلك . فقال : ماله عندي حدٌ أعرفه إلا أنى ما استحيتُ من شيء
قط علانية الا استحيتُ منه سراً .

وقام رجل من بني نجاشع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول
الله ألسنتُ أفضل قومى ؟ فقال : ان كان لك عقل فلك فضل ، وان كان لك
خُلُق فلك مرؤة ، وان لك مال فلك حسب . وان كان لك دين فلك تقى ،
وان كان لك تقى فلك دين .

وروى الهلالي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من ثقيف

(١) هجن لأمر : قبحه وعابه .

بالمروءة فيكم؟ قال : الإصلاح في الدين ، وإصلاح المعيشة ، وسد ثغور النفس ،
وصلته الرحم ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : كذلك هي فينا .
وقال عمر بن الخطاب : المروءة الظاهرة ، الثياب الطاهرة ، يعني النقيّة
من الذنوب .

وقيل للأحنف : ما المروءة؟ قال : إصلاح المعيشة ، واحتمال الجريرة .
وقال معاوية لصعصعة بن صفوان : ما المروءة قال : الصبر على ما ينوبك ،
والصمت حتى تحتاج إلى الكلام .
وقال محمد بن علي بن الحسين : كمال المروءة الفقه في الدين ، والصبر على
النوائب . وحسن تقدير المعيشة .

وقال معاوية لرجل من عبد القيس : ما تعدّون المروءة فيكم؟ قال :
العفة والحِرقة .
وقيل لأبي زهرة : ما المروءة؟ قال : إصلاح الحال ، والرزانة في المجالس ،
والغدا والعشاء بالافنية .

وقال عمر بن الخطاب : حسب المرء ماله ، وكرمه دينه ، وأصله عقله ،
ومروءته خلقه .

وقال علي بن أبي طالب : مروءة الرجل حيث يضع نفسه .
وقال عبد الله شبيب بن نجحان : سمعت أئوب السجستاني يقول : لا ينبل
الرجل حتى تكون فيه خصلتان : العفة عن الناس ، والتجاوز عنهم .
وقال مسينة بن عبد الملك : مروءتان ظاهرتان ، الرياسة والفصاحة
وكان يقال : ثلاث تفسد المروءة ، الالتفات في الطريق ، والشح ، والحرص
وقال عمر بن هبيرة : عليكم بما كرت الغداء ، فإن في ما كرت الغداء
ثلاث خلال : يطيب النسكمة ، وينظف المرّة^(١) ، ويعين على المروءة ؛
(١) المرة : خلط من أخلاط البدن ، وهو الصفراء أو السوداء . وانجح : مرار .

قيل : وما إغاثته على المروءة ؟ قال : لا تتروق النفس إلى طعام غيره .
وقال سلم بن كهيل : لا تلمس يد الرجل حتى يدبر على ما جاز الشريح المدرد^(١)
وإن ألبان ياد ويغسلان الدهانين^(٢) . والمرءة فيكم ذكالك أربع خصائل
أثروا بها على بني العربية . فلا تكون في شيء منها فأنه إذا تمان فربما كان ذليلاً ،
وأن يصلح ماله : فإن كان أفسد ماله لم تكن له مروءة . وأن يقوم لأهله
بما يحتاجون إليه حتى يستغنوا به عن غيره ، فإن من احتاج أهله إلى الناس لم
تكن له مروءة ، وأن ينظر فيما يوافقه من الطعام والشراب فيلزمه فإن المروءة
ألا يخلط على نفسه في مطعمه ولا مشربه

وكان يقال : ثلاث من المروءة : تعاهد الرجل إخوانه ، وإصلاح معيشتهم ،
وإفائته^(٣) في منزله

وسئل العتّابي عن المروءة ، فقال : إخفاء مالا يستحي من إظهاره ،
ومواظبة^(٤) القلب اللسان

ويروي عن عبد الله بن بكر السهمي أن عبد الملك بن مروان دخل على
معاوية ، وعندده عمرو بن العاص فجلس ملياً ثم انصرف . فقال معاوية : ما أكمل
مروءة هذا الفتي ، وأخلفه أن يبلغ . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين إن هذا
أخذ بمخلاق أربع ، وترك ثلاثاً ، أخذ بأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن
الاستماع إذا حدث ، وبأيسر المؤونة إذا خولف ، وبأحسن البشر إذا لقي ؛
وترك مزاح من لا يؤثق بعقله ولا دينه ، وترك منافقة ثام الناس ، وترك
من الحكام ما يشتم منه

(١) المدرد : جمع أدرد وهو من ذهب أسنانه .

(٢) الدهانين : جمع دهقان ، وهو رئيس الإقليم .

(٣) نومه في الطيرة . (٤) المواظبة : الموافقة .

(فهذه) جملة شرائع المروءة لا يقدر على القيام بأدنى المنفعة من غير
إلاذوى العقول الناجاة والآداب السكامة .

(واعلم) أن من المروءة أيضا عشرة خصائص لا مروءة لمن لم يكن فيها :
الحليم والحياء ، وصدق الأمانة وترك الغيبة وحسن العيش والوفاء عند القدرة
وبذل المعروف وإنجاز الوعد ؛ وفي تعيين أختيار تمت على استعماله ،
وآثار تدعو إلى المثابرة عليهن ، وأنا ذاكر بعض ذلك إن شاء الله برب القوة

١١ - باب ما جاء عن فضل الصدق

لذوى ، الآداب وما كره من الكذب لذوى الآليات

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يصلح الكذب في جد ولا هزل
وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إذا كذب العبد تباعد الملك منه
مِثْلًا لِنَسْنِ مَا جَاء مِنْهُ

وقال : لسان الصديق خير للبرء من المال يأكله ويورثه

وقال المهدي بن أبي صفرة : ما السيف الصارم في يد الرجل الشجاع
بأعز له من الصدق

وكان يقال : الصدق قوة ، والكذب شجر أنشده بعض الأدباء :

لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ أَوْ عَادَةِ السُّوءِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْأَدَبِ
بِحَيْفَةِ الْكَلْبِ عِنْدِي خَيْرٌ رَاحِحَةٌ مِنْ كَذْبِ الْمَرْءِ فِي جِدِّهِ وَفِي لَعِبِهِ

وكان يقال لا رأي للكذوب ، ولا مروءة للكذاب

ويقال لا تسمعن بكذاب ، فإنه يقرب لك البعيد ، ويبعدك القريب .

وأنشده آخر :

وَكُنْ صَادِقًا فِي كُلِّ شَيْءٍ تَقُولُهُ وَلَا تَكُ كَذَابًا فَتُدْعَى مُنَافِقًا

وقال آخر :

الكذب عارٌ وخيرُ القولِ صدقُه والحقُّ مأمسُه من باطلٍ زُهَقَا^(١)

وأشدني غيره :

الصدقُ منجاةٌ لمن هو صادقٌ وترى الكذوبَ بما يقولُ يوبخُ

وقال أبو العتاهية :

كُنْ فِي أُمُورِكَ سَاسِكِنَا فالمرءُ يندركُ في سُكُونِهِ

وأعبدُ إلى صدقِ الخدي كِ فَانَّهُ أَرْسَى فُنُونِهِ

رُبَّ أَمْرٍ مُتَيَقِّنٍ غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى يَقِينِهِ

وحدثني بعض شيوخ الكتاب ، قال : حدثني علي بن هشام قال : قال لي محمد بن الجهم ذات يوم : يا أبا الحسن : الكذاب والموات بمنزلة واحدة ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لأن علامة الحي النطق ، ومن لم يوتق بِنطقه ، بطلت حياته .

والذي جاء في ذلك يطول شرحه ، ويكثر وصفه ، والكلام فيه يتسع ، وأنا أفرِّدُ لهذا الباب كتاباً ، وأرصفه أبو ابا ، أبين فيه فضل الصدق على الكذب ، ليُرغَبَ فيه ذوق المرورة والأدب ، إن شاء الله تعالى

وأما ما جاء في انجاز العِدات عن ذوى الاخطار والمروآت ، فكثير يكثُر عدده ويطول أمده ، وقد شرحتُ لك بعض ذلك لتقف عليه إن شاء الله تعالى

(١) أزعى الباطل : لاشاء وأبطله .

١٢ - باب ما جاء في نهي فلف الطواغيت

وما يلحق صاحبه من الأثم والتفنيذ

إعلم أن أقبح ما استعمله أهل الأدب مطرُ العداة
وقال المشي بن خارجة : لأن أموت عطشاً أحب إليّ من أن أخلف موعداً
وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ثلاث علامات في المنافق ،
وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا أثنى خان ،
وإذا وعد أخلف

وروي عنه أنه قال : عدة المؤمن أخذ بالكف

وقال بعض الأعراب : وعد الكريم تعجيل ، وعد اللئيم مطل وتسويق
وكان يقال اليأس أحد الراحتين ، وأنشدني يعقوب بن يزيد التمار :

متى ما أقل يوماً لطالب حاجة : نعم يا فتى ، أفعل ، وذلك من شكلي

وإن قلت : لا بينتُها من سكانها ولم أوردِه فيها بجر ولا مطل

وأنشدني آخر :

إذا قلت في شيء نعم فأتمه فإن نعم دين على الحر واجب

وإلا فقل لا واستريح وأريح بها لكيلا لا يقول الناس إنك كاذب

وأنشدني آخر :

لا تقول إذا ما لم تزد أن يتم الوعد في شيء نعم

وإذا قلت نعم فامض بها بنجاح الوعد إن الخلف ذم

وأنشدني إبراهيم بن محمد النحوي :

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تفعل ما تقول

لا خير في كذب الجوا د وحبنا صدق البخيل

وكان يقال : احتذار من منع أجهل من وعدي مطول .
وقال علي بن هشام : أمرني المأمون بحاجة فأخرتها . فكتب إلي :
تعجيل جنود البراء أكرامة . تشتر عنه أحسن الذكري (١)
والحسر لا يطال معسروته . ولا يليق المطال بالحسر .
وكان يقال : المعروف يحتاج إلى ثلاث : تعجيله ، وكتباته ، وإتمامه .
وأشدنا ليزيد بن جبيل :

يا صانع المعروف كن تاركاً ترداد ذي الحاجة في حاجته
فشر معروفك مطولاً وخيره ما كان من ساعته
لكل شيء يرتجي آفة وحسبك المعروف من آفته
وقال آخر :

صلى من أردت وصاله وإخاءه إن الأخوة خيرها موصولها
وإذا ضمنت لصاحبك حاجة فأنلم بأن تمامها تعجيلها
وقال آخر :

لا تقدرن مواعيداً وتشدتها إلى المطال فما يرتني به الأدب
لا تطلبين بمنع المال محمدة إن المجاهد بالأموال تكسب
وكان يقال : لكل شيء آفة : وآفة المعروف المطال .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لكل شيء رأس ، ورأس
المعروف تعجيله .

وفي وصية عبد الملك بن مروان لابنه : يا بني ، لا تعبدوا الناس بما
لا تناله أيديكم .

(١) الأكرامة : فعل الكرم .

ويقال إذا وعدت الرجل نائلاً ثم مضت به فقد أوفاك ثم معروفك عندك .
وأشددونا ليدعبل بن علي الخزازي :

إياك والطلال أن تُنذِرَ قَهْ فإنه آفة لكل يد
إذا مضت امرأ بجاسجيه فأمض على مضاه ولا تجهد
فلست تلقاه شاكرًا ليد قد كدتها المظل أنجر الأبد^(١)
وللفق يسمى أيضا في مثله :

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجود
فلا تعد عداة إلا وفيت بها ولا تكونين مثلاً فالما تبيد
ويدعبل أيضا في مثله :

وأرى النوال يزينه تعجيلة والمظل آفة نائل الوهاب
وكان يقال : بدل جاه السائل عن معروف المسائل .

وقال أكرم بن صيني : السوال وإن قل عن لكل معروف ، وإن جل .
أشددني محمد بن ابراهيم الحمداني لعلي بن ثابت الكاتب :

ما اعتاض بأذل وجهه بسؤاله بنالاً ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السوال مع النوال وزنته رجح السوال وخف كل نوال
وقال بعض الحكماء : أخى معروفك بإماتة ذكره ، وعظمه بتصغيرك له .

أشددني أبو العباس ثعلب لأبي يعقوب الحريري :

زاد معروفك شدي عظاماً أنه عندك مستور حبير
وتناساه كأن لم تأتبه وهو عند الناس مشهور كبير

(١) كن : ألح في الطلب .

وقال عدى بن حاتم : لا يصلح المعروف إلا بثلاث : تعجيله وكتابه وتصغيره ، لأنك إذا عجلته هنته ، وإذا كتته استهنته ، وإذا صغره عظمته .
وشرح كل ما جاء في ذلك بطول ، والاختصار أحسن من الإكثار ، وقد ذكرت معنى هذا الباب مع ما يلائمه من الأخبار في كتاب لطيف التأليف والاختصار ، هو كتاب البث والحث ، غنيا بما فيه عن الزيادة ، وعن التطويل والاعادة ، ونحن نتبع هذا الباب بما ضمنناه على الحث على كتمان السر ، ليرغب فيه ذوو الأدب والقدرة ان شاء الله تعالى .

١٣ - باب الحث على كتمان السر

والترغيب في حفظ ما حنت عليه ضلوع الصدر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : استعينوا على حوائجكم بكتمان السر .

وكان يقال : سرك من دمك ، فاطر أين تجعله .

وكان يقال : ما كتته من عدوك فلا تطلع عليه صديقك .

وقال المطلب بن أبي صفرة : من ضاق قلبه اتسع لسانه .

وأشدني أحمد بن يحيى لقيس بن الحدادية الخزاعي :

بكت من حديث نمة وأشاعة ولصقه واش من القوم راضع^(١)

بكت عين من أبك لا يشجك البكا ولا تتخالك الأمور التواضع^(٢)

ولا تسمعي سري وسرك نالنا ألا كل سر جاوز الثنين ضائع

وأشدني لبعض الطالبين :

(١) الراضع : المقيم

(٢) شجاه : أحزنه ، وهيجه . نالجه الأمر : شغل فكره .

أَكْفَى خَلِيلِي مَا اسْتَقَامَ بُوْدُهُ
وَأَمْتَحَسُهُ وَدِي إِذَا يَتَعَثَّبُ
وَلَا أَنَا نَمَشِي سِرَّهُ حِينَ أَغْضِبُ (١)
وَلَسْتُ بِيَادِي صَاحِبِي بِقَطِيعَةٍ
قَلِيلٍ فَصَلِّهِمْ دُونَ مَنْ كُنْتُ أَصْحَبُ
عَلَيْكَ بِرِخْوَانِ الثَّقَاتِ فَإِنَّهُمْ
وَمَا أَخَذْتَنُ إِلَّا مَنْ صَفَا لَكَ وَدُهُ
وَمَنْ هُوَ ذُو نُصْحٍ وَأَنْتَ مُغَيَّبُ
إِذَا مَا وَضَعْتَ السِّرَّ عِنْدَ مَضِيْعٍ
فَدُو السِّرِّ مِّنْ ضَمِيْعِ السِّرِّ أَذْنَبُ

وقال معاوية بن أبي سفيان : الحازم من كتم سره من صديقه مخافة أن
تبدل صداقته عداوة فيذيع سره .
وقال بعض الشعراء :

تَوَاقَفُ مَعْشُوقِينَ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ
وَعُيِّبَ عَنْ نَجْوَاهُمَا كُلُّ كَاشِحِ (٢)
وَكَلْتُ جَفْوَنَ الْمَاءِ عَنْ حَمْلِ مَائِهَا
فَمَا لَمَكْتُ فَيْضَ الدَّمِوعِ السَّوَافِحِ
وَإِنِّي لَا طَوَى السِّرِّ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ
وَإِنْ كَانَ لِلْأَسْرَارِ عِدْلُ الْجَوَانِحِ

وكتب عبد الملك بن مروان ببعض سره إلى الحجاج بن يوسف ، فقشا ،
حتى بلغه ذلك ، فكتب إليه عبد الملك يعاتبه ، فكتب إليه : والله يا أمير
المؤمنين ما أخبرت به إلا إنسانا واحدا ، فكتب إليه عبد الملك : إن لكل
إنسان نصيحا يفشي إليه سره

وقال بعض الشعراء في ذلك :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ وُشَاةَ الرِّجَالِ
لِي لَا يَتْرَكُونَ أَدِيمًا صَاحِحًا
فَلَا تُفْشِي سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ
فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا

وقال آخر :

(٦) الكاشح : العدو الباطن العداوة

(١) القطيعة : الهجران

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها فسر لك عند الناس أنفى وأضيق
وقال آخر :

أيت السر بكتبان ولا يبدؤ رمنك إذا استودعت سر
فاذا ضمنت به ذرعا فلا تمعلن سر لك إلا عتسد حر

وقيل لأعرابي استودع سرأ فكتمه : أفهمت ؟ قال : لا ، بل نسيت
وأخبرني أحد بن عميد ، قال : أخبرني ابن الأعرابي ، قال : قيل لأعرابي :
كيف كتبانك السر ؟ فقال : أجهد المنيبر ، وأحلف للمستخبر
وقيل لأعرابي : كيف حفظك للسر ؟ فقال : أنا لحده
وما استحدثته في كتبان السر قول كثير :

أني دون ما تخشون من بث سركم أخو ثقة سهل الخلائق أروع^(١)
ضنين يذل السر يبيع بغيره أخو ثقة عفا الوصال سديدع^(٢)
أبي أن بث الله مر ما عاش سر كم سلمه ما و ما دامت لهالك سر تطالع
وله أيضا :

كريم يثبت السر حتى كأنه إذا استنطقوه عن حديثك جافله
رعى سر كم مضمهر القلب والحشا شفيق عليكم لا تخاف غوائله^(٣)
وأكم ففسي بعض سرى نكر ما إذا ما أضع السر في الناس حامله
وقول صاحبه أيضا :

لعمري ما استودعت سرى وسرها سوا أنا حذارا أن تشيع السرائر
ولا خاطبها مقلناى بنظرة فتعلم نجوانا العيون النواظر

(١) الأروع : من يبيعك بحسنه أو نجاته . الشهم الهك
(٢) السديدع : السيد الكريم الشريف ، الشجاع
(٣) رعى الأمر : حفظه . الغوائل : جمع غائل : السر

وَأَسْكَنْ جَعَلْتُ اللَّحْظَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا رَسُولاً فَأَدَى مَا تَجَنُّ الضَّمَامُ

ومنه قول الآخر :

لِيَمِينِكَ مَنَى أَنَسَى غَيْرُ مَظْمِرٍ هَرَاكٍ وَلَوْ أَشْرَفَتْ مِنْهُ عَلَى نَعْبِي
وَلَوْ أَنَّ خَلْقًا كَاتَمَ الْحَبَّ قَلْبَهُ لَمَتَّ وَلَمْ يَعْلَمْ بِحَبِّكُمْ قَلْبِي

وقال آخر :

لَوْ كَانَ أَمْرًا أَخْفَى الْهَوَى عَنْ غَيْرِهِ لَمَتَّ وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ غَيْرِي
وَأَسْكَنْ سَأَلْتُ اللَّهَ وَانْقَلَبَ لِي بِبَيْعِ بَسْرِكِ وَالْوَأَشُونَ ذُنُوبُ كَثِيرِي

وقال العباس بن الأحنف :

أَيَا هَوَى سُرُورِي بِهِ شِقْوَةٌ وَمَنْ صَفُوْهُ عَيْشِي بِهِ أَكْدَرُ
تَجَنَّنَيْتَ تَطَلَبَ مَا أُسْتَحَقُّ بِهِ الْهَجْرَ هَيْمَاتٍ لَا يُقَادَرُ

وماذا يضرُّكَ من شُبْرَتِي إِذَا كَانَ سِرُّكَ لَا يُشْمَرُ
أَمْ نِي يُخَافُ انْتِشَارَ الْحَدِيثِ وَحَظِّي فِي حَسْرَتِهِ أَكْثَرُ

ولو لم يكن فيه بقية عليك نَظَرْتُ لِنَفْسِي كَمَا تَنْظُرُ
وَأَنْشَدَنِي لِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

وَمَوْءِنٍ بِالْحَزْمِ فِي كُلِّ أَمْرِهِ وَأَسْرَارُهُ مِنْهُ بِحَيْثُ الْمَقَاتِلُ
فَلَا سِرٌّ عَنْ سَاحَةِ الصَّدْرِ نَازِحٍ وَلَا هَوَى عَنْ سُرِّ تَعْدَاةِ سَائِلٍ^(١)

ولغيره في مثله :

فَلَمَنْقَلُ الْجِبَالِ أَهْوَى مِنْ بَثِّ حَدِيثِ حَنْتَ عَلَيْهِ الضُّلُوعُ^(٢)
فَلَكَ اللَّهُ أَنْسَى لَكَ رَاعٍ مَا بَدَأَ كَوَكَبٌ وَبَرَقَ لَمُوعُ

(١) الساحة : الناحية . النازح : البعيد جدا . (٢) بث : أذاع ، نشر

وأشدني أحمد بن محمد بن عبد الله ، قال أشدني ابن السكبي لابن أمينة :
وإني على السر الذي هُرِّدَ داخلٌ إذا باح أصحاب الهوى أضْمومٌ
وإني ما استودعت يا أم مالك على قدمٍ من عهدنا لَكُتومٌ
وقال أبو الطيب : الضْموم : النمساك ، وكذلك الزيت أيضا .

وقال آخر :

وحاجة دون أخرى قد شجيت بها خلفتها للذي أخفيت عنوانا
إني كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط الناس عريانا
وأشدني أحمد بن يحيى بن الخطيم :

وإن ضيع الأحرار سرا فإني يكون له عندي إذا ما ضمنت
كتوم لأسرار العشير أمين مكان بسوداء الفؤاد مكين
وقال بشار بن برد المرثي :

أبيكي الذين أذاقوني مودتهم لا أخرجن من الدنيا وسرهم
حتى إذا يقظوني في الهوى رقدوا بين الجوائح لم يعلم به أحد
وأحسن والله الذي يقول :

يأبى لي الذم أخلاق ومكرمة والنجم أقرب من سرى إذا شتمت
منى وأذن عن الفحشاء صماء منى على السر أضلاع وأحشاء

والذي قيل في ذلك كثير جدا ، تطول به الخطب ، ويتسع فيه القول ،
وليس قصدنا في كتابنا هذا المعنى ، وإنما تقدمنا بذكر ما شرحناه ، ونعت
ما وصفناه ، لأنه لا بد للظريف من استعمال كل ما ذكرناه من حدود الأدب
وشرائع المروءة .

واعلم أن مذهبنا في هذا الكتاب إلى معنى صفة الظرف ، وما يجب على

الظريف استعماله ، وذكر ما يجب تركه ، وما اخترعنا في كتابنا هذا علماً
من عند أنفسنا ، يجب لنا به الامتدحان ، ولا يلحقنا فيه عيبٌ من عاب إن عاب ،
ولا على أنه لا يطلب لفظه ، ولا يمتنع عند معانيهم إلا معيب .

وأشددني أحمد بن يحيى قال : أشدني ابن السكيت :

رُبَّ غَرِيبٍ نَاصِحِ الْجَيْبِ وَابْنِ أَبِي مَتَّهِمِ النَّيْبِ ^(١)
وَرُبَّ عَيْبٍ لَهُ مَنْظَرٌ مُشْتَمِلٌ مِنْهُ عَلَى الْعَيْبِ

ولكننا ألقناه وجمعناه من أقاويل جماعة من الظرفاء والمتظرفات ، وأهل
الأدب والمروءات ، سمعناهم ورأيناهم يتكلمون به ويستعملونه ، فأحببنا أن نجتمع
ذلك ونجعله هوذا لمن أراد سماعه ، وعلماً لمن أراد اتباعه ، وهدياً لمن أراد
رُشده ، ومناراً لمن أراد قصده ، وطيباً لمن أراد شمّه ، وأدباً لمن أراد فهمه .
وكتابنا هذا روضةٌ تنزه فيهما العقول ، وعقودُ جواهر زينتها الفصول ،
اذ لم نخله من أخبار طريفة ، وأشعار طريفة . وأشياء نمت إلينا من زى
ظرفاء الناس ، في الطعام والشراب والعطر واللباس ، ومذهبيهم فيما اجتنبوه
من ذميم الأفعال ، واستحسنوه من جميل الشيم والأخلاق ، وسأشرح ذلك
وأبينه باباً باباً ، لتقف عليه إن شاء الله .

١٤ - باب منن الظرف

اعلم أن عماد الظرف عند الظرفاء ، وأهل المعرفة والأدباء : حفظ الجوار ،
والوفاء بالذمار ، والأنفة من العار . وطلب السلامة من الأوزار ؛ وإن
يكون الظريف ظريفاً حتى تجتمع فيه خصال أربع : الفصاحة والبلاغة ،
والعفة والنزاهة .

(١) الجيب : القلب والصدر ، يقال : ناصح الجيب ، أي صادق أمين

وسألت بعض الظرفاء عن الظرف : فقال : التوَدُّدُ إِلَى الْأَخْوَانِ ، وَكَفُّ
الَّذِي عَنِ الْجِيرَانِ .

وقال آخر : الظَّرْفُ ظَلْفٌ^(١) النَّفْسِ ، وَسَعَاءُ الْكَفِّ ، وَعَفَّةُ النَّفْرِجِ .
وأخبرني أحمد بن عبيد ، قال : قال الأصمعي ، وابن الأعرابي : لا يكون
الظَّرْفُ إِلَّا فِي اللِّسَانِ ، يُقَالُ : فُلَانٌ ظَرِيفٌ ، أَي هُوَ بَلِيغٌ جَيِّدُ الْمَنْطِقِ ، وَمِنْهُ
حَدِيثُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِذَا كَانَ الرَّحْمَنُ ظَرِيفًا لَمْ يَقْطَعْ ، أَي لِأَنَّهُ
يَكُونُ لَهُ لِسَانٌ فَيُحْتَمَجُ بِهِ فَيُدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ .

قال وروى عن محمد بن سيرين أنه قال : الظرف مشتق من النقطنة .
وقال غيره : الظرف حُسْنُ الْوَجْهِ وَالْخَيْثَةِ .

وقال بعض المشيخة : الظَّرِيفُ الَّذِي قَدْ تَأَدَّبَ وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْعُلُومِ فَصَارَ
وَعَاءً لَهَا ، فَهُوَ ظَرْفٌ .

وقال أحمد بن عبيد معناه : أَنَّهُ يَعْنِي أَدْبًا وَعِلْمًا ، كَمَا يَعْنِي ظَرْفُ الشَّيْءِ
مَا يَكُونُ فِيهِ ، وَبِذَلِكَ مَعْنَى : إِذَا كَانَ الْمَصَّ ظَرِيفًا لَمْ يَقْطَعْ ، إِذَا كَانَ وَعَايَا لِلْعِلْمِ
لَمْ يَسْرِقْ إِلَّا بِتَأْوِيلٍ ، كَمَا فَعَلَ الشَّعْبِيُّ وَقَدْ دَخَلَ بَيْتَ الْمَالِ فَأَخَذَ مِنْهُ دِرَاهِمًا ،
وَأَمَّا أَرَادَ بِهِ التَّأْوِيلَ لِمَا لَهُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ .

وسألت بعض متظرفات القصور عن الظرف ، فقالت : مَنْ كَانَ فَصِيحًا
عَفِيفًا ، كَانَ عِنْدَنَا مَتَكَاةً لَا ظَرِيفًا ، وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا عَاهِرًا ، كَانَ تَائِقِصًا فَاجِرًا .
وقال بعض الأدباء : الظرف ظَلَمْتُ النَّفْسَ ، وَرَقَّةُ الطَّايِعِ ، وَصَدْرُ
اللَّهْجَةِ ، وَكَتْمَانُ السَّرِّ .

وسألت بعض الظرفاء فقال : الظرف في أربع خصال : الحياء ، والكرم ،
والعفة والورع .

(١) ظَلَمْتُ نَفْسَهُ عَنِ الشَّيْءِ : كَفَّ عَنْهُ

وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه في هذا المعنى :

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفِهِ حتى يكونَ عن الحرامِ عفيفاً
فاذا تورّع عن محارِمِ رَبِّهِ فمنَّكَ يدعوهُ الأنامُ ظريفاً
ومثله لبعض المتأدبين :

إنَّ أَسْكَنَ طَامِحَ الْأَحْطَاظِ فَأَنِّي وَالَّذِي يَمُنُّكَ الْعِبَادَ عَفِيفاً
ليس ظرفُ الظريفِ بالنفسِ لكنَّ كلَّ ذِي عِفَّةٍ فَذَلِكَ ظَرِيفٌ
وخبرتُ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ وَجَدَ عَلِيَّ بَعْضَ عَمَالِهِ فَمَيَّدَهُ وَحَبَسَهُ
فِي دَارِهِ ، فَأَشْرَفَتْ عَلَيْهِ ابْنَةُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّأْيِيُّ بِالطَّرْفِ فِي وَفَى الطَّرْفِ الْخُتُوفِ^(١)
إِنَّ تُرْدَ وَصَلَاً فَقَدْ أُمُّ كَمَنْكَ الظُّلْمِيُّ الْأَلُوفِ
فأجابها الفتى فقال :

إِنَّ تَرَيْتَنِي زَائِيَةَ الْعَيْمِ بَيْنَ فَالْفَرْجِ عَفِيفُ
ليس إِلَّا النُّظْرُ الْفَا تَنْ وَالشَّعْرُ الظَّرِيفُ
فأجابته الجارية :

قَدْ أَرَدْنَاكَ عَلَى أَنْ تَعْتَنِقَ ظَهْمِيَا الْوَفَا
فَتَأْيِدَتْ فَلَا زِلْ تَ لِقَيْدِكَ حَائِفَا
فذاع الشعر . وبلغ عبد الملك ، فدعا به فزوجها إياها ، ودفعها إليه
واجتماز عبد الله بن عبد الرحمن ، الذي كان يُعرف بالقس لعبادته ،

(١) الختوف : جمع ختف ، وهو الموت . يقال : مات ختفاً أنه ، أو ختف فيه ،

أي مات غير قتل ولا ضرب ، بل على فراشه

بِسَلَامَةِ الْمَعْنِيَةِ . الَّتِي صَارَتْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَسَمِعَهَا وَهِيَ تَخْتَبِي ، فَوَقَفَ
يَسْتَمِعُ غَنَائِمَهَا ، فَأَدْخَلَهُ مَرَلَاهَا عَلَيْهَا ، فَوَقَفَتْ فِي قَلْبِهِ وَوَقَعَ بِقَلْبِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ
يَوْمًا ، وَقَدْ خَلَا بِمَجْلِسُهِمَا : أَنَا وَاللَّهِ أَحَبُّكَ ، فَقَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَحَبُّكَ ،
قَالَتْ ، فَأَنَا وَاللَّهِ أَشْتَهِي أَنْ أَضَعَ فَمِي عَلَى فَمِكَ ، وَأَلْصِقَ صَدْرِي بِصَدْرِكَ ،
وَأَضْمَكَ إِلَيَّ وَتَضَمَّنِي إِلَيْكَ ؛ قَالَ : وَأَنَا أَشْتَهِي ذَلِكَ ، قَالَتْ : فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ
ذَلِكَ : فَوَاللَّهِ إِنْ الْمَوْضِعَ لِحَالٍ وَمَا يَقْرَبُنَا أَحَدٌ ؛ فَقَالَ : وَيَحْبُكَ ، إِنْ سَمِعْتُ
اللَّهَ يَقُولُ : (الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) ، فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ
تَكُونَ خَلَّتِي لَكَ فِي الدُّنْيَا مَنْقُطَةً فِي الْآخِرَةِ ، ثُمَّ وَثَبَ فَأَنْصَرَفَ .

وَكَانَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَارِيَةٌ تَدْخُلُ وَتَخْرُجُ . وَكَانَ لَهُ
مَوْذُنٌ شَابٌ ، فَكَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ لَهَا : أَنَا وَاللَّهِ أَحَبُّكَ ، فَبِهَا طَالَ ذَلِكَ
عَلَيْهَا أَتَتْ عَلَيْهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَقَالَ لَهَا إِذَا قَالَ لَكَ ذَلِكَ : فَقُولِي : أَنَا
وَاللَّهِ أَحَبُّكَ فَهِيَ (١) ، فَأَعَادَ عَلَيْهَا الْفَتَى قَوْلَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَحَبُّكَ فَهِيَ ،
فَقَالَ : تَصْبِرِينَ وَنَصْبِرُ حَتَّى يَوْقِينَا مِنْ يَوْفِي (٢) الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ،
فَأَعْلَمْتُ عَلَيْهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَدَعَا بِهِ فَرَوَّجَهُ مِنْهَا . وَدَنَعَهَا إِلَيْهِ .

وَأَنْشَدَنِي عَبْدُ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ لِنَفْسِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

كَمْ قَدْ ظَفِرْتُ مِنْ أَهْوَى فِيمَنْعَنِي	مِنْهُ أَحْيَا ، وَخَوْفُ اللَّهِ وَالْحَذَرُ
وَكَمْ خَلَوْتُ مِنْ أَهْوَى فَيَقْنَعَنِي	مِنْهُ الْفِكَاهَةُ وَالتَّحْدِيثُ وَالنُّظْرُ
أَهْوَى الْمَالِخِ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالِسَهُمْ	وَلَيْسَ لِي فِي حَرَامٍ مِنْهُمْ وَطَرُ (٣)
كَذَلِكَ الْحُبُّ لَا إِتْيَانَ مَعْصِيَةٍ	لَا خَيْرَ فِي لَذَقٍ مِنْ بَعْدِهَا سَقَرُ (٤)

(١) مه : أميم فعل مبني على السكون بمعنى استكف

(٢) وفي الرجل حقه : أعطاه إياه تاما (٣) الوطر : الحاجة والبيعية

(٤) سقر : علم الجنة . والكلمة ممنوعة من الصرف

ومثل ذلك قول الآخر :

تَفَنَّى الْإِنْدَادَةَ تَمَّنْ نَالَ صَفْرَ مَهَا من الحرام ويبيح الأثم والعار
تَبَقَى عَوَاقِبَ سَوْرٍ مِنْ مَغَبَّتِهَا لا خير في لذته من بعدها النار

ومما استحسنته في العفة أيضا : ما أنشدهني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض

نساء العرب :

وَبِتْنَا خِلَافَ الْحَيِّ لِأَنَّنَا مِنْهُمْ ولا نحن بالأعداء مُخْتَلِطَانِ
وَبِتْنَا يَقِينًا سَاقِطَ الظِّلِّ وَالنَّدَى مِنَ اللَّيْلِ بُرْدًا يُنْتَقَى عَطْرَانِ
نَدُودٌ بِذِكْرِ اللَّهِ عَنَّا مِنَ الصَّبِيِّ إِذَا كَادَ قَلْبَانَا بِنَا يَرِدَانِ
وَنَصْدُرُ عَنْ رِيِّ الْعَفَافِ وَرَبِّمَا نَقِينَا غَلِيلَ النَّفْسِ بِالرَّشْفَانِ

وأشدهني حمد ابن يحيى بن ثعلب :

أَحْبَبُّكَ لِمَنْ رِيْبَةٍ كَانَ بَيْنَنَا وَلَا نَسَبِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَابِكِ
أَحْبَبُّكَ إِنْ خُبِّرْتُ أَنَّكَ فَارِكِ لِعَمْرِي أُنَى مُوَلِّعِ بِالْفَوَارِكِ
أَحِبُّ فَتَاةً أَنْ تُشَاغِبَ زَوْجَهَا وَإِنْ لَمْ أَنْزِلْ مِنْ وَصْلِهَا غَيْرَ ذَلِكَ

قال أبو الطيب : الفارك : المبعضة لزوجها ، يقال : قد فركت المرأة زوجها

تفسر مسكته إذا أبغضته ، وهي فارك ، والرجل مفروك .

ومثله قول الحسين بن مطير :

أَحْبَبُّكَ يَا سَلْمَى عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ وما خير حب لا تعف سمر آثره

ومنه أيضا قول الآخر :

أَتَأَذْنُونَ لِصَبِّ فِي زِيَارَتِكُمْ فعندكم شهوات السمع والبصر
لَا يَفْعَلُ السُّوءَ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفَّ الضَّمِيرُ وَلَكِنْ فَاسِقَ النَّظَرِ

وقال محمود الوراق :

إني أحبُّك حُبًّا لا لِمَاحِشَةٍ والحُبُّ ليس به في الله من بَاسٍ^(١)

وأُشِدُّني بَعْضُ الأَدْبَاءِ ، قال أنشدني أعرابي ببلاد نجد :

ويومٍ كما بهام الحباري قطعته بِمَقَمَةٍ والقوم فيهم تُحْرَفُ

إذا ما هم منا صد زى نفوسنا كما صدَّ من بعد التهمم يوسفُ

قال أبو الطيب قوله : كما بهام الحباري : يريد نهاية ما يكون من القصر .

وأُشِدُّني آخر :

ما الحبُّ إلا قُبَيْلٌ ونَمْرُ كَفٍّ وَعَضُدٌ

أو كُتُبٌ فيها رُفَى أنْفَذَ مِنْ نَفَثِ العُقدِ^(٢)

ما الحبُّ إلا هَمَكُنَا إن نِكِحَ الحبُّ فَسَدُ

مَنْ لم يكن ذا عِفَّةٍ فإِنَّمَا يَبغِي الوَلَدُ

ومن ذلك قول بثينة لجميل ، وقد قال لها : هل لك يا بثينة أن نحقق قول

الناس فينا ؟ فقالت له : مَهْ ، دَعَّ حَبِينَا مكانه ، إن الحب إذا نكح فسد .

ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان ، فقال لها : والله يا بثينة ما أرى

فيك شيئا بما كان يقول جميل ! قالت : يا أمير المؤمنين ، إنه كان يرتوئى إلى بعينين

ليستا في رأسك ، قال : وكيف صادفتيه في عفته ؟ قالت : كما وصف نفسه ،

حيث يقول :

لا والذي نَسَجَدُ الجِباةَ له مالى بما دون ثوبها خَبِيرٌ

ولا بفيها ولا هَمَمَتْ به ما كان إلا الحديثُ والنَّظَرُ

(٢) نفث فلانا : سحره

(١) البأس : الخرج

وقيل لأعرابي : هل زيتَ قط . قال معاذ الله إنما صا اثنتان : إما حرة
أنف لها من فسادها ، وإما أمة أنف لنفسى من فسادى إياها .

وروى عن ابن سهل بن سعد الشاعر قال : دخلتُ على جميل بن معسر
العُدري وهو عليل ، وإني لأرى آثار الموت على وجهه ، فقال : يا ابن سهل
أقول إن رجلا يلقي الله لم يسفك دما حراما ، ولم يشرب خمرًا ، ولم يأت بفاحشة ،
أترجو له الجنة ؟ قلت : أى والله ، فمن هو ؟ قال : إني لأرجو أن أكون
أنا ذلك الرجل ، قلت : بعد زيارتك بثينة وما تحدثت به عنك ؟ فقال : والله
إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ولا نالني شفاعة
محمد صلى الله عليه وسلم إن كنتُ حدثتُ نفسي فيها بريئة ^(١) قط ، قال :
فما انقضى يوده حتى مات .

وقال الأصمعي : كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق جالسَيْن بفناء
الكعبة ، فمرت بهما امرأة من ربيعة . وقيل من آل أبي سفيان . فاسعا عمر
بكتفٍ فسكتب فيهما :

ألمًا بذات الخال فاستطلعنا لنا على العهد باقٍ ودُّها أم تصرمًا ^(٢)
وقولا لها إن النوى أجنبيَّة بنا وبكم قد خفت أن تتتمما ^(٣)

فقال له ابن أبي عتيق : ما تريد إلى امرأة مسلبة محرمة تسكتب إليها بمثل
هذا ؟ فقال : أترى ما سيرت في الناس من الشعر ، ورب هذه البيئة ما قبل
منها وما دبر ما قوت امرأة قط ما لم تقبله ، ولا طالعت فرج حرام قط
وقيل لسكبر عزة : هل نلت من عزة شيئًا طول مدتك ؟ فقال : لا والله

(١) البرية : الشك والتهمة (٢) العهد : الوفاء . تصرم : تقطع وانقطع

(٣) النوى : البعد . أجنبيَّة : بعيدة شاقة . تتما : يصير هوأها تميميا

إلا أنه ربما كان يشتد في الأمر فأخذ يدها فأضعها على جبينى . فأجد لذلك راحة .

وقال أعرابي : وخلا بامرأة كان يتعشتمها : ما زال القمر يرىنيها فلما غاب أرتثيه . قيل : فما كان بينكما قال : أقصى ما أحل الله وأدنى ما حرم الله عز وجل ، إشارة في غير باس ، ودنو في غير مساس ، وأنشأ يقول :

وَأَرَبُّ لَذَّةٍ لَيْلَةٍ قَدْ نَلَيْتَهَا وَحَرَامِهَا بِجَلَالِهَا مَدْفُوعٍ
قال أعرابي من فزارة : عشقت جارية من الحى ، فمادتها سنين كثيرة .
والله ما حدثت نفسي بريبة قط ، سوى أن خلوت بها فرأيت بياض كقفها في
سواد الليل ، فوضعت كفي على كقفها ، فقالت : مه ، لا تفسيد ما صلح .
فأرفض^(١) جبينى عرقاً ولم أعد .

(واعلم) أن الظرف ليس بمستغنى عنه ، ولا هو مما يُحَلُّ منه ، ولا يُعَفَّفُ فيه صاحبه ، ولا يفند عليه طالبه ، بل هو أنبل ما استعمله العلماء ، وصبا إليه الأدباء ، وترينوا به عند أودائهم^(٢) ، وتحلوا به عند أخلائهم^(٣) وربما تكلفه قوم ليس من أهله فظرف ، وعاناه فلظف ، وأنه من المطبوعين أحسن منه من المتكافئين ، وللمتكلف علامات تظهر في حركاته ، وتبين في لحظاته ، لا يسترها بتصنعه ، ولا تتغيب بتستره ، وإن المطبوع على الظرف ليشهد له القلب عند معاينته بحلاوته ، وتسكر النفس عند لقائه إلى بحالته ، وتصيبو إلى محادثته ، وترتاح إلى مشاهدته ، وهو بين في شمائله^(٤) ظاهر في خلائقه^(٥)

(١) أرفض : سان ونرشش .

(٢) الأوداء : جمع الوديد وهو الحب

(٣) الأخلاء : جمع الخليل وهو الصديق المختص

(٤) الشمائل : جمع الشمال والشميلة . أى الطبع

(٥) الخلائق : جمع الخليفة وهي الطبيعة

بين في منطقته . غير مستقر عند حتمته ، دلائله واضحه في منيته وزيه ولفظه .
يُستدل عليه بظاهر حركة الملاحه دون اختبار باطن الحلاوة ؛ ألا ترى أن
من زيهم التفرز والنظافة والملاحه واللطافه و اظهار البرهه وبطيح الرأيه ،
فالتفوس اليهم نائمه^(١) ، والقلوب وامقه^(٢) ، والعيون رامقه^(٣) ، والأرواح
عاشقه ، وان من زيهم الوقار والخشوع ، والسكون والخضوع ، والتصنع
بالأخلاق الوضيه ، والشيم السنيه ، والمذاهب الجميه ، والهمم الجميله ، وما
يُستدل به على كمال أدبهم ، ويعرف به رجحان همهم : كثرة استعمالهم
الهوى ، وطول معاناتهم الجوى^(٤) ، وهو من أحسن مذاهبهم ، وأجل
مناقبهم ؛ ولستنا نقول إن الهوى ليس بفرض على ذوى العقل ، كما قال ذو التقصير
والجهل ، بل هو من أوكيد الفرض عليهم ، وأثبت الحججه للمتفوس الناظر
اليهم على حسن تركيب الطباع والفرائز ، وصفاء جواهر الهمم والنعايز^(٥)
إذ هو عند ذوى العلوم والأحكام ، من أجمل مذاهب الأدباء والكرام ،
وقال محمود الوراق في ذلك ؛ إذ كان الحب عنده كذلك :

ألم تعلم فداك أبى وأُمى بأن الحب من شيم الكرام
وليس يخلو أديب من هوى ؛ ولا يعرى من ضنى ؛ لأن الهوى كما وصفته
العلماء ، وكما قال فيه الحكماء ؛ إنه هو أول باب تفتق به الأذهان ، وينفسح
به الجنان ، وإد سورة^(٦) في القلب ، يحيا بها القلب ، وقد يشجع الجبان
ويسخى البخيل ، ويطلق لسان العى ، ويتوى حزم العاجز ؛ ليأنس به

(١) نائمه : مشتاقه (٢) وامقه : محبة

(٣) رمقه : أصال النظر إليه

(٤) الجوى : شدة الوجد من حزن أو غشقى

(٥) النعايز : جمع النحيزة أى النطبعة ، يقال : فلان كريم النحيزة

(٦) السورة : الحدة والشدة

الجليس ، و يتمتع به الأنيس ، ويدل له العزيز ، ويخضع له التجبر ، ويرزله كل محتجب ، وينقاد له كل ممتنع ، وهو أمير مطاع ، وقائد متبع ، وليس بأديب عندهم من خرج من حد الهوى ، وقد قال الأحمص بن محمد الأنصاري :
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكُن حَجْرًا من يابس الصخر جَلَمَدًا
هل العيش إلا ما تَلَدُّ وتشتهى وإن لآم فيه ذو الشنان وفنداً^(١)
واجتاز رجل بهجنون بنى عامر ، وهو يخوض سور الحوض ، فقال له :
ما بك يا فتى ؟ ولم يعرفه ، فأنشأ يقول :

بني اليأس أو داء الهيام أصابني فإيالك عنى لا يمكن بك ما يبى
قال أبو الطيب : الهيام : داء يأخذ الابل وتشرب الماء ولا تروى ،
ويقال للابل التي يصيبها ذلك : الهيم ، قال الله جل ثناؤه : « فَشَارِبُونَ شُرْبَ
الْهِيمِ » ، فعرفه ، فقال : أعاشق أنت ؟ قال : نعم ، وأنشأ يقول :
إذا أنت لم تعشق فتصيح هايمًا ولم تك معشوقًا فأنت حمار
وقال :

الحب أول ما يكون لئاجه تأتي به وتسوقه الأقدار
وروينا عن الهزنادي ، عن هشام ، عن ابن سيرين قال : كانوا لا يرون
بالعشق بأسًا في غير ربية .

وقيل لبعض البصريين : إن ابنك قد عشق ، فقال : وما بأس به ، إنه
إذا عشق : نظف ، وظرف ، ولطف .

وقيل لبعض العرب : متى يكون الفتى بليغًا ؟ قال : إذا وصف هوى حبه .

(١) الشنان : البغض مع عداوة وسوء خلق

وأنشدني بعض الأدباء :

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى

وما خير فيمن لا يحب وبه شق

وقال آخر :

وما ألفت إلا من العيشق منهجتي

وهل طاب عيش لا مري غير عاشق

وقال آخر :

وما خير في الدنيا إذا أنت لم تزر

حبيباً ولم يطرب إليك حبيب

وقال آخر :

وما سرني أني خلت من الهوى

ولا أن لي ما بين شرق إلى غرب

وأعلم أن أول علامات الهوى على ذى الأدب : تحول الجسم ، وطول

السقم^(١) ، واصفرار اللون ، وقلة النوم ، وخشوع النظر ، وادمان الفكر ،

وسرعة الدموع . واطهار الخشوع ، وكثرة الأنين ، واعلان الحنين ،

وانسكاب العبرات ، وتتابع الزفرات ؛ وإن يخفى المحب وإن تستتر ،

ولا ينكتم هواه وإن تصبر ، وإن يعنى ادعاء أنه قد قارن العشق والهوى ،

لأن علامات الهوى نائرة ، وآيات الادعاء ظاهرة . وقد قال

الأحوص الأنصاري :

ما عالج الناس مثل الحب من سقم

ولا يرى مثله عظماء ولا جسداً

ما يلبث الحب أن تبدو شواهدُه

من المحب وإن لم يُبْدِهِ أبداً

وقال آخر :

ما يعرف الحزن إلا كل من عشقاً

وليس من قال إنني عاشق صدقاً

للعاشقين تحول يعرفون به

من طول ما حالقوا الأحزان والأرقاً

(١) انسقم : المرض

وحدثت عن الزبير بن بكار ، قال : رأيت رجلا بناحية الشجر عليه أثر
ذلة وخضوع ، واستكانة وخشوع ، كان يسكثر التنفس ، ويخفي السكوت
ويبدي الأنين ، وحركات المحب لا تخفي في شمائله : ولا يسترها بتصاونه .
فألتفت في بعض أيامه وقد خلوت به عن حاله ، فكان جوابه ، وقد تحدثت
الدموع من عينيه :

أنا في أمرى رشاد بين غزو وجهك
بدنى يغزو عدوى والهوى يغزو فؤادى
وركت سكينه ابنة الحسين بن علي ذات ليلة في جواربها ، فمرت بعروة
ابن أذينة اليماني وهو في فناء قصر ابن عيينة ، فقالت لجواربها : من الشيخ ؟
فقالوا عروة ، فعدلت إليه ، فقالت : يا أبا عامر : أنت تزعم أنك لم تعشق
قط ، وأنت تقول :

قالت وأبشتمها وجدى فبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستبر
ألسنت تبصر من حولي ، فقلت لها : غطى هوائك وما ألقى على بصري ؟
كل من ترى حولي من جوارب أحرار إن كان خرج هذا الكلام من
قلب سليم قط .

فهذان قد كتبا هوائهما ، فنمت شواهد نجواهما ، لأن من اغتمس^(١) في بحر
الهوى ، نمت عليه شواهد الضنى^(٢)

فأما أهل الدعاوى الباطلة ، الذين ليست أجسامهم بناحلة ، ولا ألوانهم
بجائلة ، ولا عقولهم بذاهلة ، فهم عند ذوى الفراسة يكذبون ، وعند ذوى
الضرف لصحتهم يوبخون

وقد روي أن العباس بن الأحنف قال : بينا بالطواف إذا بثلاث

(٢) الضنى : المرض والهزال

(١) اغتمس الماء : غاض فيه

جوار أتراب^(١) فلما أبصرني قلن ، هذا الميَّاس ، وَدَنَتْ إِلَى إِحْدَاهُنِ ؛
فَقَالَتْ : يَا عَبَّاسُ أَنْتَ الْفَائِلُ :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْهَوَى وَعَذَابِهِ طَلَعَتْ عَلَيَّ بِلَيْسَةٍ مِنْ بَابِهِ ؟
قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَتْ كَذِبْتَ يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ ، لَوْ كُنْتَ كَمَا كُنْتَ كَمَا نَا ،
ثُمَّ كَشَفْتَ عَنِ أَشَاجِعِ^(٢) نَهْرَاءَ مِنَ اللَّحْمِ ، وَأَنْشَأْتَ تَقُولُ :

وَلَمَّا شَكُوتُ الْحُبِّ قَالَتْ كَذِبْتَنِي فَسَالَى أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَلَا حُبُّ حَتَّى يَلْصُقَ الْجِلْدُ بِالْحَشِي وَتَخْرُسُ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمُنَادِيَا^(٣)

وَدَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَ أَنْجَلُ^(٤) الْبَطْنِ ، كَثِيرُ
اللَّحْمِ وَالشَّحْمِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ : يَا اللَّهُ يَا عَمَّ عَشَقْتَ قَطُّ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا السَّاعَةَ عَاشِقٌ ! قَالَ : وَأَنْتَ عَلَى هَذِهِ الْجُمَّةِ ، وَالشَّحْمِ الْكَثِيرِ ؟
ثُمَّ أَدْنَى الْمَأْمُونُ يَقُولُ :

وَجْهَهُ الَّذِي يَعْشَقُ مَعْرُوفٌ لِأَنَّهُ أَصْفَرٌ مِنْجُوفٌ
أَيْسَ كَمَنْ أُمِّي لَهُ جُمَّةٌ صَاءَهُ لِلذَّبْحِ مَعْلُوفٌ
فَأَجَابَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ :

وَقَائِلٍ لَسْتُ بِالْمَجِيبِ وَلَوْ كُنْتُ مُجِيبًا لَذُبْتُ مِنْ زَمَنِ
فَقُلْتُ قَلْبِي مُكَاثِمٌ بَدَنِي حُبِّي فَالْحُبُّ فِيهِ مُخْتَزِنٌ
أَحَبُّ قَلْبِي وَمَا دَرَى بَدَنِي وَلَوْ دَرَى مَا أَقَامَ فِي السَّمَنِ

(١) الأتراب : جمع التراب ، وهو الصديق . أو من وندمه

(٢) الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بحصب ظهر الكف ، أو هي عروق

ظاهر الكف ، واحدها أشجع

(٣) الحشي : مادون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش .. الخ وجمع احشاء

(٤) الأنجل : الواسع الطويل العريض ، وجمع نجل ونجان

هذان أيضا قد ادعيا المحبة ففضلهما شاهدُ النظر ، ولم يجز ادعاهما على
ذی المعرفة والبصر . وقول ابراهيم : أحب قلبي وما درى بدني ، محال لا يعلق
القلب فيسلم الجسم ، ولكنّه لاستحيائه قد احتج بحجة ضعيفة ، وأنشدني
بعض المشيخة في مثل ذلك :

وقائلة ما بال جسمك سالماً وعهدي بأجسام المحبين تسببهم
فقلت نسا قلبي لجسمي لم يبيح بجي جسمي باطوى ليس يتسلم
فالعرب تدع بالضم ، وتدع بالسمن ، وتندب أهل النحول إلى الأدب
والمعرفة ، وأهل السمن إلى القدامة^(١) وقلة الفهم .

وللغلاسفة والأطباء في ذلك قول يثبت ما ادعت العرب ، وزعموا أن
من شلب عليه البلغم عظام جسمه ، وكثر شحمه ولحمه ، وقل فهمه ، وطال سباته ،
وانعقد اسنانه ، لغلبة البلغم على فمه ، واحتواء الرطوبة على أبه ، ومن كان أغلب
مزاجاته المرّة خف جسمه وقل لحمه ، وذاب شحمه ، وحسن ذهنه ، وصح
فهمه ، لأن النحول علامة المفرّسين ، ودلالة المتوسمين^(٢) لا يكاد أن تخطئ
فيه الفراسة ، ولا تكذب فيه العيافة ، لما أخبرتك من غلبة أحد المزاجين على
صاحبه ، وابتناء قراره في مركبه ، ورئسا أتجب السمن ، وخاب الهزال ،
ولا يكون ذلك إلا في الفرد الشاذ من الرجال .

ومن أمثال العرب في ذلك : البطنة تذهب الفطنة .

وروى أن جميل بن معمر العُمري صحبه رجل من مُذرة وكان بطينا كولا ،
فجعل يشكو اليه هوى ابنة عم له ، فأشأ جميل بقول :
وقد رايتني بن جعفر أن جعفرأ مُلح على قرص ويشكو هوى جميل
فلو كنت عذري الهوى لم تكن كذا بطينا وأنساك الهوى كثرة الأكل

(١) القدامة : الخن (٢) توسم النى : تفرسه ، وتعرفه

(٣) البطنة : الامتلاء المفرط من الأكل

وَمَنْ عَشِقَ عِنْدَهُمْ ، فَلَمْ يَنْجُلْ جَسْمَهُ ، فَلَمْ يَطْلُ سَقْمَهُ ، وَيَتَّبِعِينَ الْحَشْرُوعَ
 فِي حَرَكَتِهِ ، وَالذُّلَّ فِي نَفْسَتِهِ ، نَسْبُوهُ إِلَى فِسَادِ الطَّبْعِ ، وَنَقْصَانِ اللَّبِّ ؛ وَبُؤْدُ
 الْفَهْمِ ، وَمَوْتَ الْقَلْبِ ؛ وَمَنْ ادَّعَى الْحُبِّيَّةَ ، فَلَمْ يَنْجُلْ وَلَمْ يَسْهَرْ ، وَلَمْ يَخْشَعِ ،
 وَلَمْ يَنْدَلِّ وَلَمْ يَخْضَعِ ، وَلَمْ يَحْمَلْ نَفْسَهُ عَلَى الْأُمُورِ الْمَتَّعِبَةِ وَالشَّدَائِدِ الْفَضَائِعِ ،
 وَيُرْكَبُ فِيهَا الْمُرَاكِبَ الْوَعْرَةَ ، وَيَتَقَدَّمَ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْمَهْوُولَةِ ، وَالْأَهْوَالِ
 الْمَخْوُوفَةِ ، الَّتِي يَلَاقِي فِيهَا الْمَوْتَ ، وَيَعَايِنُ فِيهَا الْفُوتَ ، وَيَبَاشِرُ فِيهَا الْهَلَاكَ ،
 وَيُعْرَّرُ فِيهَا بِالْمُهْجَةِ ، وَيَصْبِرُ عَلَى حَتْفِهِ ، وَيَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ ، وَيُرِدُّ الْمَوَارِدَ الَّتِي
 يَلَاقِي فِيهَا الْمَوْتَ ، وَيَشْرَفُ مِنْهَا عَلَى مَهْوُولِ الْأَمْرِ الَّذِي فِيهِ تَلْفَهُ وَحَيْنُهُ ،
 وَحَتَّى يَعْصِي فِي هَوَاهِ الْأَقْرَابِ ، وَيَعَالِجُ فِيهِ الْعِجَائِبَ ، فَيَكُونُ كَمَا قَالَ الْعَرَجِيُّ :

كَمْ قَدْ عَصَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَتَّصِحٍ دَانِي الْقَرَابَةِ أَوْ وَعِيدِ أَعَادِي

وَتَشْوُفَةٍ أَرْمِي بِنَفْسِي عَرَضَهَا شَوْقًا إِلَيْكَ بِإِلَهَادِيهِ هَادِي^(١)

وَمَا قَالَ سُؤَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ :

كَمْ جَشِمْتُهَا دُونَ سَلْسِي مَهْمَهَا نَازِحَ انْعُورٍ إِذَا الْآلُ لَمَعَ^(٢)

وَكَذَلِكَ الشَّوْقُ مَا أَشْجَعَهُ يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَيَعْصِي مَنْ وَزَعَ^(٣)

فَلَيْسَ بِعَاشِقٍ عِنْدَهُمْ ، وَلَا يَثْبِتُ لَهُ اسْمُ الْهَوَى ، وَلَا يَلْحَقُ بِالظُّرْفَاءِ ،
 وَلَا يُعَدُّ فِي الْأَدْبَاءِ ؛ لِأَنَّ الْهَوَى عِنْدَهُمْ فِي النَّحْوْلِ وَالْأَذْهُولِ ، وَالضُّنَى وَالْعَنَاءِ ،
 وَالْأَرْقِ وَالْقَلْبَقِ ، وَالسَّهْرِ وَالْفِكْرِ ، وَالذُّلَّ وَالْخُضُوعِ ، وَادْمَانَ الْبِكَاءِ ،
 وَقَلَّةِ الْعِزَاءِ ، وَكَثْرَةِ الْأَيْنِ ، وَطَوْلِ الْحَيْنِ ؛ وَلَيْسَ بِعَاشِقٍ مَنْ خَرَجَ عَنِ

(١) التَّنَوُّفَةُ : الْبَرِيَّةُ لَا مَاءَ فِيهَا وَلَا أُنْسَ .

(٢) جَشِمَ الْأَمْرَ : تَنَكَّفَهُ عَلَى مَشَقَّةِ الْمَهْمَةِ ؛ الْمَقَازَةُ الْبَعِيدَةُ ، أَوْ الْبَلَدُ الْمَقْتَرُ ،
 النَّازِحُ : الْبَعِيدُ جِدًّا . انْعُورٌ : مَا انْحَدَرَ وَاطْمَأَنَّ مِنَ الْأَرْضِ . الْآلُ : السَّرَابُ وَهُوَ
 مَا يَشَاهَدُ فِي الشَّهَارِ مِنْ اشْتِدَادِ الْحَرِّ كَأَنَّهُ مَاءٌ .

(٣) وَزَعَهُ : كَفَّهُ وَمَنَعَهُ .

هذه الصفات ، وانتقل من هذه الحالات ، أو وُسِمَ^(١) بغير هذه العلامات ،
وعُرف بغير هذه الدلالات ، أنشدني بنديض الأديب :

علامةٌ من كان الهوى في فؤاده إذا ما لقي أحبابه يتجبراً
ويصفر لون الوجه بعداً حراره فإن حركوه للكلام تشوراً^(٢)
أنشدني أبو الحسن بن الرومي :

أرى ماءً وبني عطشٍ شديدٍ ولكن لا سبيل إلى الورود^(٣)

أما يكفيك أنك تملكيني وأن الخلق كلهم عبيدي

وأنت لو قطعت يدي ورجلي لقلت من الهوى أحسنت زيدي

وحدثت عن ابن مخارق عن أبيه قال : كنا عند المأمون يوماً ، فقام
فدخل إلى حُرْمه ، وخرج وعيناه تذر فان ، فقال لي : يا مخارق تغن لي
بهذين البيتين :

سلامٌ على من لم يُطقْ عند بيته سلاماً فأومى بالبنان المخضب^(٤)

فما استطعت إلا بالبكاء جوابه وذلك جهْدُ المستهام المعذب

حفظتُهما وتغنيتُ بهما ، فجعل يبكي ، ويتعذب في بكائه ويزفر ، ثم قال
لنا : أتدرون ما قصتي ؟ قلت : أمير المؤمنين أعلم ، وإن شاء أعلمنا ! قال :
إنني دخلتُ إلى بعض المقاصير ، فرأيت جارية لي كنت أجد بها وجداً^(٥)
شديداً ، وهي للهوت ، فسلمت عليهما ، فلم تطق رد السلام ، فأشارت بأصبعها ،
فغلبتني العبرة^(٦) ، وأرهقتني الزفرة^(٧) ، فخرجت من عندها ، فحضرني هذان

(١) وُسِمَ : كواه وجعل له علامة يعرف بها

(٢) تشور : أوما (٣) ورد الماء : صار إليه وبلغه .

(٤) البين : الفرقة . (٥) الوجد : الحجة .

(٦) العبرة : الدمعة . أو الحزن بلا بكاء .

(٧) الزفرة : التنفس مع مد النفس .

البيتان من باب قصرها إلى باب مجلسي ، ثم أمر برفع الشراب ، فما رأيتُ يوماً أكبر منه .

وأنشدتُ للمعتصم في بعض جنواريه :

أيا مُنْقِذَ العَرَقِ أَجْرَنِي مِنَ النِّيِّ بها نَهَأَتْ رَوْحِي سَقَاماً وَعَلَّتْ^(١)
لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى لَوْ أَنِي سَأَلْتُهَا قَذَى العَيْنِ مِنْ سَاقِي التُّرَابِ لَضُنْتُ^(٢)
وَأَنشَدْتُ المِتْوَكِلَ فِي جَارِيَةِ لَهُ :

أَمَّا زُحْمُنَا فَتَغَضِبُ ثُمَّ تَرْضَى وَكُلُّ فَعَالِهَا حَرْنٌ جَمِيلٌ
فَإِن تَغَضِبُ فَأَحْسَنُ ذَاتِ دَلٍّ وَإِن تَرْضَى فَلَيْسَ لَهَا عَدِيلٌ

حدثني أبو العباس بن الفضل الرُبَيعِيُّ قال : حدثني علي بن الجهم قال :
حُمُّ المِتْوَكِلِ يَوْمًا ، وَكَانَ ذَلِكَ بِعَقْبِ شَرِّ وَقَعٍ يَنْسُهُ وَبَيْنَ قَبِيحَةٍ ، فَرَمَاهَا
بِمَخْدَةٍ فَغَضِبَتْ وَاحْتَجَجَتْ ، فَحُمُّ بِعَقْبِ ذَلِكَ ، وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَإِذَا الفَتْحُ
قَائِمٌ فِي يَدِهِ قَارُورَةٌ فِيهَا المَاءُ ، وَيَحْيَى بْنُ مَاسُوِيَةَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا ، فَقَالَ : لَيْسَ
أَرَى إِلَّا مَا أَحَبُّ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْشِدْكَ أَيَّانَا ؟ فَقَالَ لِي :
أَنْشِدْ ، فَأَنْشَدْتُهُ :

تَمَكَّرَ حَالِ عَالَتِي الطَّيِّبُ فَقَالَ : أَرَى بِحَمَمِكَ مَا يُرِيبُ
جَسَدِي العَرَقُ مِنْكَ فَدَلَّ عِنْدِي عَلَى دَائِمٍ لَهُ شَأْنٌ عَجِيبُ
فَمَا هَذَا الَّذِي بِكَ هَاتِ قُلِّي فَكَانَ جَوَابَهُ مِنِّي النَّحِيبُ
لِحَسَمِي بِالْحَيِّبِ بُلِي سَقَاماً وَقَلْبِي يَا طَيِّبُ هُوَ السَّكَيْبُ
فَرَّكَ رَأْسَهُ وَدَنَا إِلَيَّ وَقَالَ : الحُبُّ لَيْسَ لَهُ طَيِّبُ

(١) نَهَل : شرب أول الشرب . علة : سقاه سقيا بعد سق .

(٢) القذى : ما يقع في العين من تربة ونحوها . سقى التراب : تاذرى وتبدد .

فأعجبني نظرُ فنه عليُّ فقلت : بلى إذا رضى الحبيبُ
فقال : هو الشفاءُ فلا توانُ فقلت : أجلٌ ولكن لا تجيبُ
ألا هل مسعدٌ يبكي لشجوى فإنني هاهنا أبداً غريبُ

فضحك ، ودعا بالشراب وشرب ، وشربنا معه ، ووجه إلى قبيحة :

فوقع الصلح بينهما ، وخرجت عندها رقعة بخط فضل الشاعرة :

لأصبرنَّ على ما بي من المصنن حتى أموتَ ولا يشعُرُ بي النَّاسُ
ولا يُقالُ شكاً من كان يعشقه إنَّ الشكاةَ إنَّ يهوى هي اليأسُ
ولا أبوح بسرِّ كنتُ أسكتُه عند الجليس إذا ما دارتِ الكأسُ

وأما من عشق من الشعراء ، فما يحصرهم عددٌ ولا يحصيهم أحد .

وقد عشق أكثر العرب ، بل كلهم قد عشق ، فمن المذكورين منهم المشهرين بالصبوة والغزل ، فقيس مجنون بنى عامر عاشق ليلي ، وقيس بن ذريح عشق لبنى ، وتوبة بن الحبير عشق ليلي الأخيالية ، وكثير عشق عزة ، وجميل بن معمر عشق بثينة ، والمؤمل عشق الذلفاء ، ومُرُقش عشق أسماء ، ومُرُقش الأصغر عشق فاطمة بنت المنذر ، وعروة بن حزام عشق عفرأ ، وعمر بن عجلان عشق هند ، وعلي بن أديم عشق منلة ، والمهدب عشق لذة ، وذو الرمة عشق مية ، وقابوس عشق منية ، والمخبل السعدي عشق الميلاء ، وحاتم طي عشق ماوية ، ووضاح الين عشق أم البنين ، والغمر بن ضرار عشق جميل ، والنمر بن تولب عشق حمزة ، وبدر عشق نهم : وشبيل عشق فالون ، وبشر عشق هند ، وعمر وعشق دعد ، وعمر بن أبي ربيعة عشق الثريا ، والأحوص عشق سلامة ، وأسعد بن عمرو عشق ليلي بنت صيفي ، ونصيب عشق زينب ، وسحيم عبد بنى الحداس عشق عميرة ،

وعبيد الله بن قيس عشق كثيرة ، وأبو العتاهية عشق عُنْبَةَ ، والعباس بن الأحنف عشق فوز ، وأبو الشَّيْص عشق أَمَامَةَ .

فمؤلاً ، قليل من كثير ممن عشق . وإنما اقتصرنا على ذكر بعضهم دون بعض ، ليقلَّ به الخطاب ، ويحسن به الكتاب ، ولكلِّ واحد منهم سبب في حبه ، وحديث في عشقه ، يطول شرحه ، ويكثر وصفه .

ونحن مُفردون لأهل العشق كتاباً نذكر فيه أخبار المتيمين . ومُلح المتعشقين ، وأشعار المتغزلين ، مع جملة من صفات الهوى في كتاب المقتضى إن شاء الله تعالى .

وقد شُهر أيضاً بالصِّبوة والغزل جماعة من شعراء العرب ، منهم أبو كثير الهذلي ، وأبو صخر الهذلي ، وأبو دَهْبَل الجهمي ، وريسان العذري ، والصِّمَّة بن عبد الله القشيري ، وابن أذينة ، وابن الدُّمينة ، وابن الطَّشيرة ، وابن ميادة ، والحسين بن مُجِير ، إلى آخرين لا يحصيهم العدد . ولا يبلغهم الأمد ؛ وقد ضُرب في عُرْوَة بعشقه المثل ، لأنه كان أطولهم صبوة ، وأكثرهم في العشق كثرة .

أنشدني أحمد بن يحيى ، لأبي وَجْزَة السعدي^(١) :
وفي عُرْوَة العُذري ، إن مُتُّ أسوةً وعمرُو بن بَجْلان الذي فَنَنَتِ هِنْدُ^(٢)
وبي مثل ما ماتا به غير أني إلى أَجَلٍ لم يَأْتِي وقتَه بَعْدُ
هَلِ الحُبُّ إِلَّا عِبْرَةٌ بَعْدَ زَفْرَةٍ وَحَرٌّ عَلَى الأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ
وفِيضُ دَموعِ العَيْنِ بِالدَّلِيلِ كَلِمًا بَدَأَ عَلِمَ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو^(٣)

(١) يروي هذا الشعر لقيس بن ذريح .

(٢) يروي : وعمرُو بن بَجْلان الذي قَتَلَتْ هِنْدُ

ويقال : إنه طلق زوجته هندا وندم فأت أسفا عليها .

(٣) يروي : وفيض دموع تستهل إذا بدا لنا علم من أرضكم لم يكن يبدو

وقال كثير :

وأصبحتُ مما أحدث الدهرُ خاشعاً
وعروة لم يلق الذي قد لقيته

وقال جرير :

هل أنت شاقية قلباً يهيم بكم
لم يلق عروة من عرفاء ما وجدنا

وقال أيضا :

بالعنبرية والنحيت أوانس
هل لا نهيتك إذ قتلن مرقتنا

وقال الأحوص الأنصاري :

لا شك أن الذي بي سوف يقتلني
أحببتها فوثغت الناس كملهم

لو قاس عروة والنهدى وجدها

وقال أيضا :

إذا جئت قالوا قد أتى وتها مسوا
فعروة سن الحب قبلي إذ شقي

وقال جميل بن معمر :

وما وجدت وجدى بها أم وأجد
ولا وجد العذرى عروة إذ قضى

على أن من قدمأت صادف راحة
وما لفوادي من رواح ولا رشدي^(٣)

(١) اختلجه : خدعه بلطف الكلام . العظام : اللوم . (٢) ونغ : ماء خلقه .

(٣) الرواح : وجدان السرور الحادث من اليقين . الرشدي : الهداية والاستقامة .

وقال مروان بن أبي حفصة :

أردين عروة والمرقش قبله

ولقد تركن أبا ذؤيب هاتماً

وتركن لابن أبي ربيعة منطلقاً

وأشدني عمرو بن قنار لنفسه :

إن الأولى ماتوا على دين الهوى

قيس وعمرو والمرقش قبلهم

ندبوا الطول لأهلها لأنهم

ولبعض المتأذين :

يا عدوئي قد هويت فكفنا

مات قيس وعروة وجميل

وقال جميل بن ميمر :

قدمت قبلي أخوانها وصاحبه

وكلمهم كان في عشق منيته

إن لم تيلني بمعروف تجود به

وقد أحسنت والله امرأة من خضعم إذ تقول :

فأقسم أنني قد وجدت بحجوش

فأنا إلا مثلها غير أنني

وأحسن الذي يقول :

عجبت لعروة العذرى أضحى

وعروة مات مؤناً مستريحاً

وأخا بني شهيد تركن قتيلاً

ولقد قتلن كثيراً وجميلاً

فبين أصبح سائراً محمولاً

وجدوا المنية منسلاً معسولاً

كانوا لتنزيل الهوى تأويلاً

عشقوا مغانى أربع وطولاً

إتى بالهوى المميت رضىت

وأراني بهوتهم سأموت

مرقش واشتقى من عروة الكمد

وقد وجدت بها فوق الذي وجدوا

أو يدفع الله عنى الواحد الصمد

كما وجدت عفراءً بابن حزام

معلقةً نفسى ليوم حكام

أحاديثاً لقومٍ بعد قوم

وكيف بهيت في كل يوم

وبلغنا أن منهم من عشق ضرورة في شام ، وخيالا في منام ، وكفاه في
حائط ، ومثالا في ثوب ؛ والعشق ألوان وأنواع ، وضروب وفنون ، وأمره
غريب ، وقال بعض الشعراء :

أبيت سكاقي للكواكب عاشقٌ فأكثر همي أن تزول الكواكب
عجبت لما يلقى من العشق أهله وفيما يلاقى العاشقون بحجاب

وبلغ العشق من عروة بن حزام أن أفردته ببلائه ، وعذبه بدائه ، وآنسه
بانفراده ، وشرده عن بلاده .

وحكى عن ابن أبي عتيق قال : بينا أنا أسير في أرض بني عذرة ، إذا أنا
ببيت حرير ، فدنوت منه ، فاذا بجوز تمرّض شاباً ، وقد نهكته العلة ،
وبانت عليه الدلة ، فدلتها عن خبره ؛ فقالت : هذا عروة بن حزام ، فدنوت
منه ، فسمعته يقول :

من كان من أمهاتي با كياً ليد فاليوم إنى أرانى اليوم مقبوضاً
تسمعيه فإني غير سامعه اذا علوت رقاب القوم معروضاً

فقلت : أنت عروة بن حزام ؟ قال : نعم ، أنا الذي أقول :

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد إن هما شفياني
فقالا : نعم تشقى من الداء كله ، وقاما مع العواد يبتدراكن
فا تركا من سلوق يعلمانها ولا شربة إلا بها شفياني
فقالا : شفاك الله ، والله مالنا بما تحملت منك الصلوع يدان
فلهفي على عفرأء لهفأ كأنه على النحر والأحشاء حد سينان
ففرأء أخطى الناس عندي مودة وعفرأء عني المعرض المتوآني

ثم خفق خفقة ، فتوهمت أنها غشبية ، فتتخيت عنه ، ودنت العجوز منه ،
فما برحت حتى سمعت الصيحة ، فاذا هو قد فارق الدنيا .

ويبلغ العشق أيضا من مجنون بني عامر أن أخرجه إلى الوسواس
والهيمتان^(١) ، وذهاب العقل وكثرة الهذيان ، وهبوط الأودية وصعود
الجبال ، والوطء على العوسج وحرارة الرمال ، وتزيق الثياب ، واللعب
بالتراب ، والرمي بالأحجار ، والتفرد بالصحاري ، والاستيعاش من
الناس والاستئناس بالوحش ، حتى كان لا يعقل عقلا ، فاذا ذكرت ليلى
تاب إليه عقله ، وأفاق من غشيته ، وتجلت عنه غمرته^(٢) ، وحدثهم عنها أصح
الرجال عقلا ، وأخلصهم ذهنا ، لا ينكرون من حديثه شيئا ، فاذا قطع ذكرها
رجع إلى وسواسه وهذيانه ، وتماديه في ذهاب عقله .

وقد حكى عنه في أول ابتداء وسواسه أنه قيل لأبيه : لو أخرجت قيسا
أيام الموسم ، وأمرته بأن يتعلق بأستار الكعبة ، ويقول : اللهم أرخني من
حب ليلى ، لعل الله كان يريحه من ذلك ، ففعل ، فلما طاف بالبيت أمره
فتعلق بأستار الكعبة ، وقال : قل اللهم أرخني من حب ليلى ، فقال : اللهم
زدني ليلي حبا إلى حبا وأرني وجهها في خير وعافية ، فضر به أبوه ،
فأنشأ يقول :

ذَكَرْتُكَ وَالْحَجِيجُ لَهُ ضَجِيجٌ بِكَكَّةٍ وَالْقُلُوبُ لَهَا وَجِيبٌ^(٣)
فَقَلْتُ وَنَحْنُ فِي بَلَدٍ حَرَامٍ بِهِ اللَّهُ أَخْلَصَتْ الْقُلُوبُ
أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنُ نَمَّا عَمَلْتُ فَقَدْ تَظَاهَرَتْ الذُّنُوبُ

(١) هام على وجهه هيمانا : ذهب لا يدرى أين يتوجه .

(٢) غمرة الشيء : شدته .

(٣) وجب القلب : رجف وخفق .

وأما من هوى ليلى وعزى
وكيف وعندها قلبى رنين
وزيارتها فإنى لا أتوب
أتوب اليك منها أو أنيب
وقال أيضاً :

دعا المحرمون الله يستغفرونه
وقلت لرب الناس أول سألتى
بمكة شعناكى ثمحى ذنوبها
لنفسى ليلى ثم أنت حبيبها
فإن أعط ليلى فى حياتى لا يثب
إلى الله عيب ذنوبها
وقال أيضاً :

فلو أن ماى بالحصى فلق الحصى
ولو أنى أستغفر الله كلمنا
وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ذكرتك لم يكتب على ذنوب

وبات فى بعض ليالى حجه تحت شجرة ، فاتته بنوح حمامة ، فأنشأ يقول :

لقد هتفت فى جنح ليل حمامة
فقلت اعتذاراً عند ذاك وإتى
على فنى تدعو وإتى لناكم^(١)
لقسلى فيما قد رأيت الألام
أزعم أنى عاشق ذو صبابة
كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً
وسمع هاتفاً من الليل وهو ينادى : يا ليلى . نخر مغشياً عليه ، ثم أفاق
وهو يقول :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من موى
دعا باسم ليلى أسخن الله عينه
فهبج أحزان الفؤاد وما يدرى
وليلى بأرض عنه نازحة قفر^(٢)
عرضت على قلبى العزاء فقال لى :
من الآن فاجزع لا أعزك من صبر

(١) الفتن : النفس المستقيم . (٢) أسخن عينه وبعبته : أزل به ما يبكيه .

إذا بان من تهوى وأسلمك النهوى فمترقة من تهوى أحر من البهوى
وقال أيضا :

فَلَيْتَ مِنْ دَاعٍ دَعَا وَلَوْ أَنَّهُ صَدَى بَيْنَ أَحْجَارٍ لظَلَّ يُجِيبُهَا
وقد أحسن إذ حكم على صدى في رسمه بإجابة لدعوتها ، والمبادرة الى تليتها : وهكذا فلتسكن غلبة العشق ، وصدق الهوى ، ومثل ذلك قوله أيضا :

لمست ثيابي إن قدرت ثيابها ولم ينهني عن مسهن حرامها
ولو شدتني حين تحضر ميعتي جلا سكرات الموت عنى كلامها
ومثل ذلك قول الآخر :

ولو كلمتنا بين زمزم والصفاء وبين حطيم البيت أصبى كلامها^(٢)
ولو مكثت بعد التطاع ساعة ولمكثت والموت يجرى ظلامه
ومثله قول جميل بن معمر :

حلفت يمينا يا بئينة صادقاً ولقد شقيت نفسي بكم وعانيت^(٤)
فإن كنت فيها كاذباً لعيت حلفت لها بالبدن تسمى نحوورها
ولو أن جلدًا غير جلدك مسني وباشرتي دون الشعار شريت^(٥)

(١) بان عنه : انقطع عنه وفارقه . النهوى : البعد .

(٢) حطيم البيت : حطيم مكة ، وهو ما بين الركن والباب ، وقيل : هو الحجر المخرج منها ، سمي به لأن البيت رفع وترك هو محطوما ، وقيل لأن العرب كانت تطرح فيه ما طافت به من الثياب فبقي حتى حطم بطول الزمان ، فيكون فعلا بمعنى فاعل .

(٣) جلى الأمر عنه : كشفه عنه .

(٤) البدن (بضم النون وسكونها) : جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تنحر بمكة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها .

(٥) الشعار : ما يمس الجسد من اللباس . شرى الرجل : غضب .

ولو أن دأب منك يدنو جنازتي وكنت على أيدي الرجال حبيبت
ومثله قول الأعمى :

عندي بها في الحى قد سربلت مصفرا، مثل المهرة الضامر
لو أسندت ميتسا إلى نحرها عاش ولم يُنقل إلى قابر
حتى يقول الناس تما رأوا يا عجبنا نليت الناصر
قد حجّم الثدى على نحرها في مشرق ذي بهجة زاهر
ومثله قول الجنون أيضا :

ولو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصا أصم فتادتي أجبت المناديا
وأشهد عند الله أنني أحبها فهذا لها عندي فما عندها ليا

قال : وسرق هذا المعنى جميل بن عبد الله بن معمر ، فقال :

ألا ليتني أعمى أصم تقودني بثينة لا يخفي على كلامها
فهؤلاء قد زعموا أن كلام النساء يحلو العمى ، ويسمع الصم ، ويحكي
الميت ، ويدفع الموات ، وينشر القبور من قبل أوان النشور .

وقد قال بعض الأعراب : إن من كلام النساء ، ما يقوم مقام الماء ،
فيروي من الظماء .

وقال آخر : حلاوة نغم النساء في الآذان ، ألد من موقع الماء العذب
من العطشان .

وقال القحطامي في مثل ذلك :

وفي الجدور غمامات برقن لنا حتى تصيدننا من كل مصطاد
قتلتنا بحديث ليس يعسبه من يتقين ولا مكروهه بادي

وهنَّ يَبْدُنُ من قولِ بَصِيْبٍ بهِ
مواقع الماء من دى الغلة الصّادى ^(١)
وعمر بن أبي ربيعة يقول في سَكِينَةَ بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما :
أَسْكِينُ ما ماءُ الفُرَاتِ وبردُهُ
منى علي ظمأً وحبُّ شراب
بأحبِّ منك وإن نأيتِ وقلَّ ما
ترعى النساءُ أمانةَ الغُيَّابِ
ولبعض المتأدبين في مثله :

والله ما شربةٌ من ماء غاديةٍ
إذا ظممتُ وكرَّب الموتُ يعشاني
ألدُّ من شربةٍ من فيك أسمعها
تلك الشفاءُ لقلبِ الهائمِ العاني

وروى أن عمر بن أبي ربيعة قال : أتتني امرأتان في أيام غزلي ، فجعلت
أحدهما تُسرِّ إلى سرًّا ، والأخرى تعصّني ، فاشعرتُ ببعضه هذه من لذة
سرار هذه .

ودخل كُثَيِّبٌ علي عبد الملك بن مروان ، فقال : يا كُثَيِّبُ حدِّتني ببعض
أخبار جميل ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، لقيتُ جميلاً ذات يوم ، فقال :
هل لك في المسير معي نحو بَيْتِنَةَ ؟ قلت : نعم ، فسأيرته ، حتَّى دنا من
موضعها ، فقال : تصير اليها فتعلمها ، كاني ، فضيبت فأعلمتها ، فأقبلت في نسوة
من الحى ، فلما رأينه انصرفن عنها ، وتنجيت عنهما ، فلم يزلنا من أول الليل
إلى أن رفقهما الصبح قائمَيْن في أقدامها ، فلما عزمنا على الافتراق قالت :
أدن مني يا جميل ، فدنا منها ، فأسرت إليه سرًّا ، فخرت مغشياً عليه ، فما أيقظه
الأحرُّ الشمس ، فأفاق وأنشأ يقول :

فما ماءُ مَزْنٍ من جبالٍ مُنيقةٍ
ولا ما أكننت في معادنِ النَّحْلِ

(١) الغلة : العطش الشديد ، صدى : عطش شديد .

بأشبهى من القول الذي قلت بعدما
تمسكن في حيز ومناقى الرجل^(١)
وقال جرير أيضا :

ولقد رميتك يوم رحن بأنين
ويبتلي شقف الفؤاد كأنه
يقتل من خلال السور سواجي^(٢)
عسل يحدن به بغير مزاج
وقال الفرزدق :

إذا هن ساقطن الحديث كأنه
ترهن من فرط الحياء كأنها
جنى النحل أو أبقار كرم تقطف^(٣)
مراض لال أو هوالك زف
وليس يمكن أن يكون ذلك عندهم كذلك .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم - من وجوه شتى بأحاديث
صححت عن الثقات ، ونقلت عن الرواة - : إن حبك للشئ يعمي ويصم .
وليس بعجب ما قال المجنون وأشباهه من غلبة العشق عليهم ، وقد قال
غيره أعظم مما قاله وأقطع وأجل ، ولقد رأينا وسمعنا وخبرنا أن منهم من
قتل نفسه غرقا وذبحا وخنقا ، كل ذلك أسفا وحسرة وتلهفا .

فن ذلك ما حكى عن شيخ حضر مجلس العتي ، فأخبرهم أنه حضر مجلسا
فيه قينة وقتي ، وكان الفتى ، يهوى القينة ، وكانت القينة تهوى ابنة الشيخ ،
وابنة الشيخ تهوى الفتى ، فغنت القينة :

(١) الحيزوم : الصدر ، وقيل : وسطه . الرجل : ما يجعل على ظهر البعير كالسرج
(٢) الخال : المنفرج بين الشدين . اسواجي : جمع ساجية ، وعين ساجية : فاترة
النظر ، أي ساكنة لينة .
(٣) ساقطة الحديث : تكلم الواحد وسكت الآخر بالتناوب . أبقار كرم : عني
الكرم البكر الذي لم يحمل قبل ذلك .

علامةٌ ذُلُّ الهوى على العاشقين البُكا

ولا سبباً عاشق إذا لم يجِدْ مُشْتَكِي

فقال لها الفتى . أحسنتِ والله يا ستي . أتأذنين لي أن أموت ؟ قالت : متُ
راشداً ، فوضع رأسه على الوسادة ، وغمض عينيه ، فخر كناه ، فوجدناه ميتاً ؛
قال الشيخ : نثرنا متعجبين من ذلك ، وصرتُ إلى منزلي ، فأعلمتهم ما كان
من قصة الفتى ، ونظرتُ إلي ابنتي وقد حاضرت ، فدخلتُ بجلسالي ،
فدخلتُ وراءها ، فاذا هي متوسدة على مثال ما كان عليه الفتى : فخركتها
فاذا هي ميتة ، فعدونا بجزازتها ، وغدوا بجزازة الفتى ، فاذا بجزازة ثالثة ،
فسألنا عنها ، فاذا هي جزازة القينة ، وبلغها موت ابنتي ، فصنعت مثل ذلك
فماتت ، فدفننا ثلاثة بموت واحد في موضع واحد ؛ وهذا من عجيب ما سُمع
به في هذا الامر .

ومن ذلك ما أخبرني أبو العيْناة قال : حدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال :
ذُكِرْتُ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ لِتَأْدِيبِ وَلَدِهِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيَّ اسْتَبَشَعَ مِنْظِرِي ،
وَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرْهَمٍ وَصَرَفَنِي ، فَخَرَجْتُ فَلَقَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ ، وَهُوَ
يُرِيدُ الْإِنْجَادَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ ، فَعَرَضَ عَلَيَّ الْإِنْجَادَ مَعَهُ ، وَقَرَّبْتُ
حَرَاقَتَهُ^(١) ، وَدَعَا بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، وَنَصَبَ سِتَارَتَهُ ، وَأَمَرَ بِالْغَنَاءِ ، فَانْدَفَعْتُ
عَوَّادَةً لَهُ تَتَعَنَّى :

كَلَّ يَوْمَ قَطِيعَةً وَعَتَابُ يَنْقُضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِضَابُ

لَيْتَ شَعْرِي أَنَا خُصِمْتُ بِهَذَا دُونَ ذَا الْخَلْقِ أَمْ كَذَا الْأَحْبَابِ ؟

(١) الحرقاة : السفينة فيها مراى نيران يرمى بها العدو .

ثم سكنت ، وأمر طنبورية فنثت :
وَأَرْحَمْنَا لِلعَاشِقِينَ مَا إِن أَرَى لِمِمْ مَعِينَا
كَمْ يُهَجَّرُونَ وَيُظَلُّونَ ن وَيَقْطَعُونَ فِيصْبِرُونَ
وَتَرَاهُمْ مِمَّا بِهِمْ بَيْنَ الْبَرِيَّةِ خَاشِعِينَ
يَتَجَلَّدُونَ وَيُظْمَرُونَ ن تَجَلَّدُوا لِلشَّامِتِينَ

قالت لها العوادة : فيصنعون ماذا؟ قالت : يصنعون هكذا ، وضربت بيدها على الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقمة قر ، فزجت بنفسها إلى الماء ، قال : وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال ، وبيده مذبة ، فلما رآها وما صنعت ألقاها من يده ، وأتى إلى حيث رمت بنفسها ، فنظر إليها وهي تهور بين الماء فأنشأ يقول :

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتَنِي بَعْدَ الْقَضَا لَوْ تَعَلَّمِينَا
وَزَجَّ نَفْسَهُ فِي أَثْرَهَا ، فَأَدَارَ الْمَلَّاحَ الْحِرَاقَةَ فَإِذَا بِهِمَا مَعْتَنِقِينَ ، ثُمَّ غَاصَا وَلَمْ يَرَبَا ، فَهَالِ ذَلِكَ مُحَمَّدًا وَاسْتَفْظَاهُ . وَقَالَ لِلجَّاحِظِ : يَا عَمْرُو لَتَجِدَنَّيَ بِمُحَدِّثٍ يَسْكُنُ عَنَى فَعَمَلِ هَذِينَ ، وَإِلَّا لَأَلْحَقْتِكِ بِهِمَا ! قَالَ الْجَاحِظُ : فَحَضَرَنِي خَبْرُ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَقَدْ قَعَدَ لِلبُظَالِمِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ الْقِصَصُ فَحَمَرَتْ بِهِ قِصَّةٌ فِيهَا : إِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَامِهِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى فَلَانَةَ ، يَعْنِي جَارِيَةً مِنْ جَوَارِيهِ ، حَتَّى تَغْنِينِي ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ فَعَلَّ ، فَانْتَظَرَ مِنْ ذَلِكَ سَلِيمَانَ وَأَمَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ فَيَأْتِيهِ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ اتَّبَعَ الرَّسُولَ بِرَسُولٍ آخَرَ فَأَمَرَ أَنْ يَدْخُلَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ ، فَأَدْخَلَ ، فَلَمَّا مَثَلَ الرَّجُلُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُ : مَا الَّذِي حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : الثَّقَةُ بِحَمَلِكِ ، وَالْإِنْسَاكَ عَلَى عَفْوِكَ ، فَأَمَرَهُ بِالْقَعُودِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ ، ثُمَّ أَمَرَ فَأَخْرَجَتْ الْجَارِيَةَ وَمَعَهَا عَوْدُهَا ثُمَّ قَالَ لَهُ : اخْتَرِ ، قَالَ لَهُ : قَلَّ لَهَا تَغْنِيٌّ بِقَوْلِ قَيْسِ بْنِ الْمَلَوَّحِ :

تَلَقَى رَوْحِي رَوْحَهَا قَبْلَ خَلْقِهَا وَمِنْ بَعْدِ مَا كُنَّا نَطْفَأُ فِي الْمَهْدِ^(١)
فِعَاشِ كَمَا بَعَثْنَا فَأَصْبَحَ نَامِيًا وَلَيْسَ وَإِنْ مُتْنَا نَقْضِيبِ الْعَهْدِ^(٢)
وَلَسَكَنَهُ بَاقِي عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَسَائِرُنَا فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ
يَكَادُ فَضِيضُ الْمَاءِ يَخْدِشُ جِلْدَهَا إِذَا اغْتَسَلَتْ بِالْمَاءِ مِنْ رِقَّةِ الْجِلْدِ^(٣)
وَأِنِّي لِمَشْتَاقٌ إِلَى رِيحِ جَيْبِهَا كَمَا اشْتَاقُ إِذْ رَيْسٌ إِلَى جَنَّةِ الْحُلْدِ
فَغَنَّتْهُ ، فَقَالَ سَلِيمَانُ : قُل ، قَالَ : تَأْمُرُنِي بِرَطْلِ ، فَأَمْرٌ لَهُ بِرَطْلِ فَشَرِبَهُ ،
ثُمَّ قَالَ : تَغْنَى بِقَوْلِ جَمِيلِ :

عَلِقْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدًا فَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمَى حُبُّهَا وَيَزِيدُ
وَأَفْنَيْتُ عَمْرِي فِي انْتِظَارِ نَوَاهَا وَأَبْلَيْتُ فِيهَا الدَّهْرَ وَهُوَ جَرِيدُ
فَلَا أَنَا مَرْدُودٌ بِهَا جِئْتُ طَالِبًا وَلَا حُبُّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بَدِينَةَ قَاتِلِي مِنْ الْحَبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
ثُمَّ قَالَ : تَغْنَى بِقَوْلِ قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ :

لَقَدْ كُنْتُ حَسْبَ النَّفْسِ لُودَامٌ وَدَنَا وَلَكُنَّا الدُّنْيَا مَتَاعٌ غُرُورِ
وَكُنَّا جَمِيعًا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ النَّوَى بِأَنْعَمِ حَالِي غَبَّ طَلِي وَسُرُورِ
فَمَا بَرِحَ انْوِاشُونَ حَتَّى بَدَتْ لَنَا بَطُونُ الْهَوَى مَقْلُوبَةً لِظُهُورِ

فَغَنَّتْ ، فَقَالَ لَهُ : قُل ، قَالَ : تَأْمُرُنِي بِرَطْلِ ، فَمَا اسْتَمْتَهُ حَتَّى وَثَبَ إِلَى
أَعْلَى قَبَةِ سَلِيمَانَ ، إِثْمَ زَجَّ بِنَفْسِهِ عَلَى دِمَاغِهِ فَهَاتَ ؛ فَقَالَ سَلِيمَانُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَتُرَاهُ تَوْهَمَ الْجَاهِلِ أَنْسَى أَخْرَجَ إِلَيْهِ جَارِيَتِي وَأَرَدَّهَا إِلَيَّ وَمَلِكِي؟

(٢) النطاف : جمع النطفة : ماء الرجل أو المرأة .

(١) انقضيب : انقطع .

(٣) الفضيض : ما أثير من الماء عند صبه .

خذوا بيدها فانطلقوا بها الى أهله . إن كان له أهل ، والا فبيعوها وتصدقوا
بها عنه ؛ فلما انطلقوا بها نظرت الى حفرة في دار سليمان ، قد أُعدت للبطر ،
فجذبت نفسها وأنشأت تقول :

مَنْ مَاتَ عَشِقًا فَلَيْمَتْ هَكَذَا لَا خَيْرَ فِي الْعَشِقِ بِلا مَوْتِ
وَزَجَّتْ بِنَفْسِهَا فِي الْحَفْرَةِ عَلَى دِمَاغِهَا فَهَاتَتْ ؛ فُسِّرَى عَنْ مُحَمَّد ، وَأَحْسَنُ
صَلَةَ الْجَا حِظ .

١٥ - باب من مات من شدة الفقر

ونضعضعت أعضاؤه من شدة الوجد

حكى لنا عن اسحاق بن ابراهيم ، عن الهيثم بن عدي ، عن هشام بن حسان
قال : حدثنا رجل من بني تميم قال : خرجت في طلب ناقة لي ، فوردت على
ماء من مياه طيء ، فاذا بعسكرين أحدهما قريب من الآخر ، وإذا في أحد
العسكرين شابٌ مذئفٌ قد نهكته العيلة ، فهو كالشن البالي ، فدنوت
لأعرف خبره ، فسمعت وهو يقول :

أَلَا مَا لِلْمَالِيحَةِ لَا تَعُودُ أُنْجَلُ بِالْمَالِيحَةِ أُمُّ مَسْدُودِ
مَرَضْتُ فَعَادَنِي أَهْلِي جَمِيعًا فَمَا لَكَ لَا تَرَى فِيمَنْ يَعُودُ
فَقَدْتُكَ بَيْنَهُمْ فَتَلَفْتُ شَوْقًا وَفَقَدْتُ الْإِلْفَ يَا أُمِّي شَدِيدُ
فَلَوْ كُنْتُ السَّقِيمَةَ كُنْتُ أَسْعَى إِلَيْكَ وَلَمْ يُتَبَهَّنِي الْوَعِيدُ^(١)

قال فسمعت كلامه ، فبادرت نحوه ، وبدرتها النساء فتعكفن بها ، فأحس
بها ، فوئب مبادرا نحوها ، فخبسه الرجال ، فجعلت تجذب نفسها من النساء ،
ويجذب نفسه من الرجال ، حتى التقيت فاعتنقا وبكيا ، ثم شهقوا نفرا ميتين ،

(١) تبته عن الشيء : كفه عنه وزجره .

نخرج شيخ من بعض الأخبية ، فوقف عليهما ، فاسترجع ، ثم قال : رحمتكما الله ،
أما والله لقد كنت لم أجمع بينكما في حياتكما لأجمعن بينكما بعد موتكما ، فأمر
بهما فكفنا في كفن واحد ، ودفنا في قبر واحد ، فسألت عنهما ، فقال :
هذه بنتي وهذا ابن أخي ، بلغ بهما الحب ما ترى .

ومن ذلك أيضا ما حكى عن اسحاق الزافقي قال : كنت في مجلس بالرقعة
في عدة من الظرفاء ، وجماعة من القيان ، ومعنا فتى كاهياً من رأيت من الفتيان ،
وعليه أثر ذلة الهوى ، يُدبم الأنين والبكاء ، فتخنت إحداهن :

إِنِّي لِأُبْغِضُ كُلَّ مُصْطَبِرٍ عَنِ الْفَسْهِ فِي الْوَصْلِ وَالْمَجْرِ

الصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي مَوَاطِنِهِ مَا لِلْفَتَى الْمَحْزُونِ وَالصَّبْرِ

فتنظر اليها الفتى وتبادرت عبراته ، ثم وثب على قدميه ووضع يده على
رأسه وقال :

غدا يكبر الباكون منا ومنكم وتزداد داري من دياركم بعداً

ثم رمى بنفسه فسقط مجداً لا من قامته ، فوثبنا اليه فحملناه ميتاً .

ومن ذلك ما حكى عن جميل بن معمر العذري أنه دخل على عبد الملك بن
مروان ، فقال له : يا جميل حدثني ببعض أحاديث عذرة ، فانه يبلغني أنهم
أصحاب أدب وغزل ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إن آل بئينة انتجعوا الحى ،
وقطعوا بلداً آخر ، فخرجت أريدهم ، فغلطت الطريق ، وجئني الليل ، ولاحت
لى نار ، فقصدتها حتى دنت ، ووردت على راعٍ في أصل جبل قد أجا غنمه
الى كهف في الجبل ، فسألت فرد على السلام ، وقال : أحسبك قد ضللت
الطريق ، قلت : قد كان ذلك فأرشدني ، قال : بل انزل حتى تريح ظهرك وتبيت
ليلتك ، فاذا أصبحت وقفك على الطريق ، فنزلت ، فترحب بي وأكرمني ،
وعمد الى شاة فذبحها ، وأجج ناراً وجعل يشوى ويلقي بين يدي ، ويحدثني

في خلال ذلك ، ثم قام بازار كان معه فقطع به جانب الخباء ، وهدى لي بجانبها ، وترك بجانبها خاليًا ، فلما كان في الليل سمعته يبكي ويشكو الى شخص كان معه ، فأرقت له دموعي ، فلما أصبحت طلبت الأذن فأبى ، وقال : الضيافة ثلاث ، فأقتُ عنده ، وسألته عن اسمه ونسبته وحاله ، فانتسب لي ، فاذا هو من بني عذرة وأشرافهم ، فقلت : يا هذا وما الذي أحلك هذا الموضع ؟ فأخبرني أنه يهوى ابنة عم له وتهواه ، وأنه خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجها منه لقلته ذات يده ، وأنه زوجه رجلًا من بني كلاب ، فخرج بها عن الحى فأسكنها في موضعه ذلك ، وأنه تنكر ورضى أن يكون راعياً له لتأنيه ابنة عمه ، فتراه ويراهها ، وجعل يشكو إلى صبايته بها وشدة عشقه لها ؛ حتى إذا جئنا الليل وحان وقت مجيئها جعل يتقلب ويقوم ويقعد كالمتوقع لها ، فأبطأت عن الوقت وغلبه الشوق ، فوثب قائماً وأنشأ يقول :

ما بال مئة لا تأتي لِعَادِهَا	أهاجها طرب أم صدها شغل
لكن قلبي لا يلبيه غيرهم	حتى الممات ولا لي غيرهم أمل
لو تعلمين الذي بي من فراقكم	لما اعتلمت ولا طابت لك العليل
روحي فداؤك قد هيئت لي سقمًا	تكاد من حرِّ والأعضاء تنفصل
لو أن عاديه مني على جبل	لزال وانهد من أركانه الجبل

ثم قال : يا أخا بني عذرة ، مكانك حتى أعود إليك ، فإنني أتوهم أن أمرا عرض لابنة عمي ؛ ثم مضى فغاب عن بصرى ، فلم يلبث أن أقبل وعلى يديه شيء محمول ، وقد علا شقيقه ونحيبه ؛ فقال : يا أخا بني عذرة ، هذه بنت عمي أرادت أن تأتيني فاعترضها السبع فأكلها ، ثم وضعها عن يده ، وقال : علي رسلك حتى أعود إليك ، ومضى فأبطأ حتى يئست من رجوعه ،

ثم أقبل ورأس الأسد على يده ، فوضعه وجعل ينسكت على أسنانه ،
وهو يقول :

ألا أيها الميثُ المخيلُ بنفسه هُبلت لقد جرت يدك لنا حزناً^(١)
وغادرتني فرداً وقد كنت ألقاً وصيرت بطن الأرض ثم لنا سيجناً

ثم قال : يا أبا بني عذرة ، إنك ستراني بين يديك ميتاً ، فإذا أنا مت ،
فاعمد إلى وإلى بنت عمي فادرجنا في كفن واحد ، واحفر لنا جدنا واحداً
وادفنا فيه ، واكتب على قبري هذين البيتين :

كُنَّا على ظهرِها والعيشُ في مهلٍ والشَّمْلُ يجمعُنا والدارُ والوطنُ
ففرق الدهرُ بالتشقيتِ ألفتنا فصار يجمعنا في بطنها الكفنُ

ورد الغنم على صاحبها ، وأعلمه بقصتنا ، ثم عمده إلى خناق فطرحه في
عنقه ، فناشدته الله ألا يفعل ، فأبى ، وجعل يخنق نفسه حتى سقط بين يدي
ميتاً ، فلما أصبحت كفنته وابنة عمه كما أمرني ، ودفنتهما في قبر واحد ،
وكتبت البيتين على قبرهما ، ورددت الغنم على زوجها وأعلمته بقصته ،
فجعل يأكل كفيه أسفاً ألا يكون جمع بينهما في حياتهما ؛ فهذا وما أشبهه
كثير جداً .

وروى عن محمد بن جعفر بن الزبير قال : كنا عند عروة بن الزبير ،
وعنده رجل من بني عذرة ، فقال له عروة : يا عذري بلغني أن فيكم رقةً
وغزلاً ، فأخبرني ببعض ذلك ، قال : لقد خلفت في الحى ثمانين مريضاً
دنفنا عشقاً ما بهم غير الحب قد خامر قلوبهم .

(١) هبلت : فقدت ، هلكت .

١٦ - باب من وصف الحب

وما فيه من شدة المرارة والسكر

واعلم أن الحب - مع ما فيه من المرارة والسكر ، وطول الحشرات
والسكر - مستعذب عند أربابه . مستحسن عند أصحابه ، حلو لا تعدله

حلاوة ولا تعدله مرارة ، قال السكيت بن زيد :

الحب فيه حلاوة ومرارة سائل بذلك من تطاعم أودق
ما ذاق بؤس معيشة ونعيمها فيما مضى أحدا إذا لم يعشق
وقال آخر :

يا أيها الذئب المعذب بالهوى إني بأحوال الهوى لعليم
الحب صاحبه يبيت مسهدا ويطير عنه فؤاده ويهيم
الحب داء قد تضمن في الحشا بين الجوانح والضلوع دقيم
الحب لا يخفى وإن أخفيته إن البكاء على المحب نوم
الحب فيه حلاوة ومرارة والحب فيه شقاوة ونعيم
الحب أهون ما يكون مبرح^(١) والحب أصغر ما يكون عظيم
أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب :

سألني عن الحب يا من ليس يعرفه ما أطيب الحب لولا أنه نكد^(٢)
طعمان حلو ومر ليس يعدله في حلق ذائقه مر ولا شهد

وأنشدني إبراهيم بن محمد الواسطي لنفسه :

سألني عن الحب فأني به أعلم ذي وطير على نعل

(١) برح به الأمر : أتعبه وآذاه أذى شديدا . (٢) النكد : الشديد العسر

طعمانٍ مُضِدَّانٍ ، فَسْتَعْدَبُ
ولبعض المتأدبين أيضاً في مثله :
سَلَّيْنِي عَنِ الْحُبِّ يَا مَنْ لَيْسَ بِعَلَمُهُ
أنا الذي بالهوى ما زلتُ مشتهراً
الحبُّ أَوْاهُ عَدْبٌ مَدَاقَتُهُ
كَمْ تَيَّمَّ الْحُبُّ أَقْوَامًا وَذَلَّهْمُ
أَنشَدَنِي ابْنُ أَبِي الرَّغَدِ :

مَنْ كَانَ لَمْ يَذْرُ مَا حَبٌّ وَصَفَتْ لَهُ
الحبُّ أَوْاهُ عَدْبٌ وَآخِرُهُ
إِنْ كَانَ فِي غَفْلَةٍ أَوْ كَانَ لَمْ يَجِدِ
مثل الحزازة بين القلب والسكبد^(٢)

أَنشَدَنِي الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدِ الْبَحْتَرِيِّ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ .

أَخْلَايَ بِنِي شَجْوٍ وَلَيْسَ بِكُمْ شَجْوٌ
أَذَابَ الْهُوَى جَسْمِي وَلِحْمِي وَقَوْتِي
وَكُلُّ أَمْرِي مِمَّا بِصَاحِبِهِ خَلَوُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ النَّضْوُ^(٣)
رَأَيْتَ الْهُوَى جَمْرَ الْغَضَى ، غَيْرَ أَنَّهُ
وَمَا مِنْ مَحَبٍّ نَالَ مِمَّنْ يَحِبُّهُ
عَلَى كُلِّ حَالٍ عِنْدَ صَاحِبِهِ خَلَوُ
هُوَ صَادِقًا إِلَّا سَيَدُ خَلَهُ زَهُوُ
قَالَ وَأَنشَدَنِي ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا :

الْحُبُّ يَتْرُكُ مَنْ أَحَبَّ مَدَلَهَا
الْحُبُّ أَهْوَاهُ تَقِيمِلُ قَادِحُ
حَيْرَانَ أَوْ يَقْضَى عَلَيْهِ فَيُسْرِعُ^(٤)
يُهْوَى الْجَلِيدَ مِنَ الرَّجَالِ فَيَضْرَعُ^(٥)

(١) أشرى : أُنشد .

(٢) الحزازة : داء يظهر في الجسد فينتشر ويتسع ، وهو القوباء .

(٣) النضو : المهزول . (٤) دلته : حيره وأدهشه .

(٥) الجليد : ذو القوة والصر والصلابة .

١٧ — باب ما في مصرفة الهوى

وما كان اسمه في البادية أو لا

واعلم أن الهوى عندهم هو الهوان الصراح ، والبلاء المتأخ ، لأنه يهين
الكريم ، ويذل العزيز ، ويدلّهُ العاقل ، ويحطّ منزلة الشريف .
وسئلت أعرابية عن الهوى ، فقالت : الهوى هو الهوان ، وإنما غلط
باسمه ، واشتقّ من طبعه ، ولن يعرف ما أقول ، إلا من أبكثه المنازل
والطلول ، وأنشأت تقول :

ليت الهوى لذوى الهوى لم يخلق بل ليت قلبي بالهوى لم يعلق
إنّ الذي علق الهوى بنمواده كمنوطٍ دون النساء معاقٍ
لا يستطيع نزوله لشقاؤه لكن إليه كلُّ همٍّ يرتقى
إن الهوى هو الهوان بعينه ما ذاق طعمه الذلُّ من لم يعشق
وأنشئت غيرها أيضا :

إن الهوان هو الهوى نقص اسمه فاذا هويت لقد لقيت هوأنا
وإذا هويت لقد تعبدك الهوى فاخضع لحبك كأننا من كأننا
أنشدنا أبو عبد الله الواسطي لنفسه :

لم يدر ما يؤس الحياة ولينها إلا الذين من الهوى بمكان
كم من عزيزٍ قسد ألم به الهوى فأقرّ بعد كرامة بهوان
ليس الهوى إلا الهوان ونونه نُقصت كفعل الزور والبهتان
لين الحياة إذا نظرت وبؤسها بين الوصال وغصة الهجران
ما العشق عندي باختيار وإنما ذلك البلاء يتاح للإنسان

قال وأنشدني أبو العيينة :

وما كَيْسٌ في الناس يَحْمَدُ رأْيَهُ فَيُوجَدُ إلا وهو في الحبَّ أَحَقُّ (١)
وما من فتى ما ذاق بمؤسَّ معيشَةٍ من الدهر إلا ذاقها حين يعشَقُ

١٨ - باب ما سئل عنه أهل مصر

من تمام خلات العشق

قال الأصمعي لأبي وائل الأضاخي : ما تقول في العشق ؟ فقال : إن لم يكن عَصَارَةً من الشجر ، فهو ضربٌ من الجنون ، وأنشأ يقول :
بقلبي شيءٌ لست أعرف وصفه على أنه ما كان فهو شديدٌ
تمرُّ به الأيام تسحب ذيلها فقبلي به الأيام وهو جديده
لعمري إنَّ بذلك ما وجب لهم الدعاء ، فصار مفترضاً على الأدباء ، كالفرض اللازم ، والحق الواجب ، الجميل الخطب ، وفادح الأمر .

أخبرني أحمد بن عبيد قال : أخبرني الأصمعي قال : رأيت أبا السائب المخزومي متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم ارحم العاشقين ، واعطف عليهم قلوب المعشوقين ، بالرفقة والرحمة يا أرحم الراحمين ؛ فقلت : يا أبا السائب ، أفي هذا المقام تقول هذا المقال ؟ فقال : اليك عني ، الدعاء لهم أفضل من حجة بعمره ، ثم أنشأ يقول :

يا هجرٌ كفَّ عن الهوى ودع الهوى للعاشقين يصب يا هجر
ماذا تريد من الذين جفونهم قرحى وحشو صدورهم بجر (٢)

(١) الكيس : الظريف ، الفطن .

(٢) القرحة : الجراحة المتقدمة التي اجتمع فيها الفيج .

وسوابق العبرات فوق خدودهم مَهَلًا تلوح كأنها القطر^(١)
 صرعى على جسر الهوى لشقايمهم بنفوسهم يتلاعب الدهر
 قال : وخبرت عن الأصمعي أيضا أنه قال : رأيت جارية وهي تقول :
 اللهم مالك يوم القضاء ، وخالق الأرض والسماء ، ارحم أهل الهوى
 واسنقذهم من عظيم البلا ، واعطف عليهم قلوب أودائهم بالصفاء ، فانك
 سميع النجوى ، قريب لمن دعا ، ثم أنشأت تقول :

يا رب إنك ذو من ومغفرة بيت بعافية منك المحبينا
 الذاكرين الهوى من بعدما سهرُوا حتى يظلوا على الأيدي مكبينا
 فقلت : يا هذه أتغنين وأنت في الطواف ؟ فقالت : إليك عني ، لا يرهبك
 الحب ؛ فقلت لها : وما الحب ؟ وأنا به أعرف منها ، فقالت : جل أن يخفي ،
 ودق عن أن يرى ، له كمن ككمن النار في الحجر ، إن قدحته أورك ،
 وإن تركته تواري ؛ قال : فتبعتها حتى عرفت منزلها ؛ فلما كان من الغد جاء
 مطر شديد ، فررت بيابها وهي قاعدة مع أتراب لها زهر^(٢) يقلن لها : لقد
 أضرت بنا المطر ، ولولا ذلك لخرجنا إلى الطواف ، فأنشأت تقول :

قالوا أضرت بنا السحاب بقطره لما رأوه لعبرتي يحكي
 لا تعجبوا مما ترون فإنما هذا السحاب لرحمتي يبكي
 وزعم قوم أنه لا ذنب على أهل الهوى ولا وزر ، وأن خطاياهم
 تمحص عنهم بطول بلائهم ، وكثرة زفرائهم ، وما لقوا من الشقاء بأودائهم
 وأخبرني أحمد بن يحيى ، عن عبد الله بن شبيب ، عن رجل ذكره ، قال :

(١) الهطل : المنظر الضعيف الدائم . القطر : المطر .

(٢) زهر : مشرقات اللون أو الوجه .

كنت عند مالك بن أنس ، فأتاه شابٌ فقال : إن قد قلت أبيتاً ذكرك
فيها فاسمعها ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال لي : أحب أن تفعل ، قال :
هات ، فقال :

سَلَوَاهُ لِكَ الْمَقِيَّ عَنِ اللَّهْوِ وَالصَّبِيَّ وَحُبُّ الْحِسَانِ الْمَغْنِيحَاتِ الْفَوَارِكِ
يَجْبُرُكُمْ أُنَى مُصِيبٍ وَإِنَّمَا أُسَلِّيْ هُمُومَ النَّفْسِ عَنِ بِنْدِكَ
فَهَلْ فِي مَحَبِّ يَكْتُمُ الْحُبَّ وَالْهَوَى أَثَامٌ وَهَلْ فِي ضَمَّةِ الْمُتَهَالِكِ ؟
فَسَرَى^(١) عَنِ مَالِكٍ وَقَالَ : لَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَكَانَ ظَنُّ أَنَّهُ هِجَاهٌ .

أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب ، عن عبد الله بن شبيب ، عن شيخ من عاملة ،
قال : مرَّ ابنُ مَرْجَانَةَ الشَّاعِرِ بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فَقَالَ : هَذَا ابْنُ مَرْجَانَةَ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : هَذَا الَّذِي يَقُولُ :

سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنِ الْمُسَيَّبِ مَفْتِيَّ الْ مَدِينَةَ هَلْ فِي حُبِّ دَهْمَاءَ مِنْ وَزْرِ؟^(٢)
فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ إِنَّمَا تَلَامُ عَلَى مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْأَمْرِ
وَاللَّهُ مَا سَأَلَنِي إِنْسَانٌ عَنْ شَيْءٍ مِنْ هَذَا ، وَلَوْ سَأَلَنِي لِأَجِبْتَ .

قال : وسئل شريك بن عبد الله القاضي عن العشاق ، فقال : أشدهم حباً
أعظمهم أجراً .

وَأَنْشَدَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمُسْلِمُ :
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي ، وَإِنِّي لَسَائِلٌ بِمَكَّةَ أَهْلَ الْعِلْمِ : هَلْ فِي الْهَوَى وَزْرٌ؟
وَهَلْ فِي اكْتِنَحَالِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ رِيَّةٌ إِذَا مَا التَّقَى الْإِلْفَانِ ، لَا بَلُّ بِهِ أَجْرٌ
وَأَنْشَدَنِي إِبْرَاهِيمُ الْأَزْدِيُّ لِنَفْسِهِ :

(١) سرى عنه : زال عنه الغضب أو الهم .

(٢) دهماء : اشتد سوادها حتى ذهب البياض . الوزر : الائم .

ما العشق في الأحرار مستنكرٌ وما على العاشق من وزر
قال وأنشدني الجناش :

إذا قبل الإنسان إنسان يشتهي ثنياه لم يأثمُ وكانت له أجرًا
فإن زاد زاد الله في حسناته ماثيل يمجو الله عنه بها وزرًا
وقال سائب راوية كثير : حضرت مع كثير عند ابن أبي عتيق ، فأنشدنا
أبيات ابن قيس الرقييات التي يقول فيها :

خبروني : هل على رجلٍ عاشقٍ في قبلة حرج ؟
فقال كثير : لا إن شاء الله ، ونهض
وأنشدني علي بن العباس بن الرومي :

أيها العاشقُ المعذبُ اضربِ نخطباتُ ذي الهوى مغفورةً
زفرةً في الهوى أحطُّ لذنبٍ من غزاةٍ وحجةٍ مبرورة^(١)
وقال المؤمل ، وأحسن والله في قوله :

صِفْ للأحبة ما لقيت من سهرٍ إن الأحبة لا يدرون ما السهرُ
حَسْبُ المحبِّين في الدنيا عذابهمُ والله لا عذبتمهم بعد ما سقرُ
وقال الأصمعي : رأيت جارية بالطواف وهي تقول :

لن يقبل الله من معشوقة عملاً يوماً وعاشقها خيرٌ من مهجورٍ
وليس بأجرها في قتل عاشقها لكن عاشقها لا شك مأجورٌ
فقلت : يا جارية ، أفي هذا المقام ، أما حياءٌ فيردعك ! فأنشأت تقول :

بيضٌ أو أنيس ما هممن بريةً كظباة مكة صيدهن حرامٌ
يحبسن من بين الكلام زوانياً ويصدهن عن الحنا الإسلام^(٢)

(١) المبرور من الأفعال : ما لا شبهة فيه ولا كذب .

(٢) الحنا : الفحش .

وقد قيل أيضا : إن قتيل الهوى لا قود له ^(١) ، وإن دماء أهل الهوى تبطل وتهدر
ومن ذلك ما حكى عن ابن عباس أنه أتى بثأب محمود قد صار كالشن ^(٢)
البالي ، فقيل له : اسنشف الله لهذا المريض يا ابن عم رسول الله ،
فقال له ابن عباس : ما علمت يا فتى ؟ فلم يحجر إليه جوابا ، ثم رفع رأسه ،
وقال بلسان فصيح طليق :

به لوعة لو تشسكى الصمُّ مثلها تفطرت الصمُّ الصلابُ وخرت
ولو قسم الله لذي بي من الهوى على كل نفس حظها ما أبلت
ثم خفت خفتة ، ثم فتح عينيه وهو يقول :

بنا من جوى الحب المبرح لوعة تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة ما ترى على ما به عود هناك صليب ^(٣)

فقال ابن عباس : بمن الرجل ؟ فقال : من بنى عذرة ، ثم شق شهقة
فمات ، فقال ابن عباس لجلسائه : هل رأيتم وجهها أليق ، ولسانا أذلق من
هذا ؟ هذا والله قتيل الهوى ، لا قود له ولا دية ، وإلى أرغب في العافية
بمأزى .

وأشده أحمد بن يحيى ثعلب :

إذا هن ساقطان الحديث لذي الهوى سقوط حصي المرجان من كف ناظم
رمين فأصمى القلوب فما ترى دماساء إلا جوى في الحيازيم ^(٤)
فأى دم لو تعلين جنيتيه على الحر جاني غير مشله غير سالم

(١) القود : القصاص . (٢) الشن : القرية الخلق .

(٣) الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

(٤) أصحى الصيد : رماه فقتله مكانه .

أما أنه لو كان غيرك أرقلت إليه النفا بالمرهفات الصوارم^(١)

ولكن وبيت الله ما ظل مسلماً كثر الثنايا وإضحكات المعاصم^(٢)

وأشدني عبد الله الواسطي لنفسه

قضى الله في القتلى قصاص دماهم ولكن دماء العاشقين جبار^(٣)

تصل دماء العاشقين وثأرها لدى الحدق المرضى وذلك ثار

قال الأحوص بن محمد الأنصاري

ما تذكر الدهر لي سعدى وإن بعدت إلا ترقرق ماء العين فاطردا

يا للرجال لمقتول بلا ترة لا يأخذون له عقلاً ولا قوداً^(٤)

وحدثني العزى أبو علي ، عن الزبير بن بكار ، عن محمد بن عبد الله بن

مسلم بن جندب عن أبيه قال : خرجت مع أبي سفيان ، فلقينا نسوة ينظرن

العقيق ، فبين امرأة حسناء العين ، فقال أبي :

ألا يا عباد الله هذا أخوكم قتيلاً فهل فيكم به اليوم ثائر ؟

خذوا يدي إن مت كل خريدة مريضة طرف العين والجفن ساحر^(٥)

قال : فالتفتت إلى امرأة ، فقالت : يا بني احتسب^(٦) أباك واغتمم نهيبيك^(٧)

(١) أرقل : أسرع .

(٢) حل الدم : هدر ، أو لم يثار له .

(٣) جبار : الهدر ، يقال : ذهب دمه جباراً : أي لم يؤخذ بثأره .

(٤) الترة : الثأر . العقل : الهدية .

(٥) الخريدة : من النساء : البكر التي لم تمس فط ، وقيل : هي الحية الطويلة

السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستمرة قد جاوزت الاعصار ولم تعس .

(٦) احتسبه : فقده كبيراً .

(٧) تناهت الإبل الأرض : أخذت بقوائمها منها أخسداً كثيراً ، والمراد : انتهمز

سرعة سابقك وفر .

فان قَتيلنا لا يُودَى^(١) ، وأسيرنا لا يُقَدَى^(٢)

وأُشِدنى أحمد بن يحيى ، جرير بن الحظفي :

هَلْ فِي الْغَوَانِي لِمَنْ قَتَلَنْ مِنْ قَوَدٍ أَوْ مِنْ دِيَاتٍ لِقَتْلَى الْأَعْيُنِ الْحَوَرِ
تَبِيتَ لِيْلِكَ فِي وَجْدٍ تُخَامِرُهُ كَأَنَّ فِي الْقَلْبِ أَطْرَافَ الْمَسَامِيرِ
مَا كُنْتُ أَوْلَ مَحْزُونٍ أَضْرُّ بِهِ بَرِّحُ الْهَوَى وَعَذَابٌ غَيْرُ تَفْسِيرِ

وقال أيضا :

إِذَا كَحَخَانَ عِيُونَنَا غَيْرَ مَقْرَفَةٍ رِيَّاشُنْ نَبَلًا لِأَصْحَابِ الصَّيِّ صَيْدًا^(٣)
مَا بَالُ قَتْلَاكَ لَا تُخَشِّينَ طَائِلَهُمْ لَمْ تَضْمَنِ دِيَةَ مَنْهُمْ وَلَا قَوَدًا

وقال عمر بن لجأ :

شَرَّاءَتْ كِي تَكِيدُكَ أُمُّ غَمْرٍ وَ وَكَيْفَ قَتَلْتَنِي يَا أُمَّ هَمْرٍ وَ
وَكَيْدُكَ بِالْتَبْرِحِ مَا تَكِيدُ وَلَا قَوَدٌ عَلَيْكَ وَلَا حُسُودٌ

وقال أعرابي ، وما أساء :

أَقَاتَلْتِي يَا لِلرَّجَالِ حَبِيبَةً إِنِّي بِلَا جُرْمٍ لَدَيْهَا وَلَا ذَحْلٍ
فَقِيمَ دِمَاءِ الْعَاشِقِينَ مُضَاعَةً بِلَا قَوَدٍ عِنْدَ الْحِسَانِ وَلَا عَقْلِ

وأحسن والله المؤمل حينئذ يقول :

إِنِّي قُتِلْتُ بِلَا جُرْمٍ وَقَاتَلْتِي يَا قَوْمَ جَارِيَةٍ فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ^(٤)

(١) ودى القاتل القتل : أعطى دية .

(٢) فدى الرجل من الأسر : استغفذه بمان أو سواه .

(٣) المقرفة : المتمة . ريش السهم : لُزِقَ عَلَيْهِ الرِّيش .

(٤) حور العين : اشتداد بياض بياضها وسواد سوادها .

لَمَّا رَمَتْ مُنْجَى قَالَتْ لِجَارَتِهَا إِنِّي قَتَلْتُ قَتِيلًا مَالَهُ خَطَرٌ
قَتَلْتُ شَاعِرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ مَضَرَ فَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرْضَى بِذَا مَضَرَ
شَكَوْتُ مَا بِي إِلَى هَذَا فَمَا اسْتَرَأْتُ يَا قَلْبَهَا أَحَدِيْدٌ أَنْتَ أُمُّ حَجَرٍ
إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةٌ بِالْحُبِّ فَانْطَلِقِي إِلَى الْقُبُورِ فَمِمَّنْ حَلَّهَا عَيْرٌ

وقد قيل أيضا : إن قبيل الهوى شهيدٌ على ذلك أجمع ، فالله يعلم للأدباء
وأهل العلم والظرف لموجود الأخبار ومسنَد الآثار

حدثنا قاسم الزبيدي ، بإسناد ذكره عن ابن عباس ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : من تعشَّق فغفَّ فهو شهيد

وقال بشر بن برد العقيلي :

قُرْبُ دَارِ الْحَبِيبِ قَرَّةٌ عَيْنٍ وَكَأَنَّ الْبِعَادَ فِي الْقَلْبِ تُكْلُ
إِنَّ مَوْتَ الَّذِي يَمُوتُ مِنْ الْحُبِّ مَبٌّ عَفِيفًا لَهُ عَلَى النَّاسِ فَضْلُ
والبعض المتأدبين :

لَيْتَنِي مِتُّ وَالْهَوَى دَاءٌ قَلْبِي إِنْ مَيَّتَ الْهَوَى لَمَيَّتْ شَهِيدُ

ولقد أحسن جميل حيث يقول

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّنُ لَيْلَةَ بُوَادِي الْقَرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ
يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرَهُنَّ أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وَكُلُّ قَتِيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ
وَهَلْ حُكْمِي حَيْثُ يَقُولُ :

ولقد كنا روينا عن سعيد بن المسيب
عن سعيد بن مسعدة عن سعيد بن مسعدة

قال من مات نجبا ملة أجسر الشهادة
واعلم بأنّ العشق يحسن بأهل العفة والوفاء، ويقبح بأهل النهي
والخنك، مع أن الهوى قد فسد وقل الوفاء، وكثرت الخيانة والغدر،
واستعمل الناس في العشق شيئا ليس من سنة الظرف ولا من أخلاق
الظرفاء، وذلك أن أحدهم متى ظفر بحبيبه، وأصاب الغفلة من رقيبته،
لم يعفّ دون طلب المعنى، فهذا فساد الحب، ودمار العشق، وبطلان
الهوى، وتكدير الصفاء.

أنشدني عبد الحميد الملقب :

قد فسد الحب وهان الهوى وصار من يعشق مستعجلا
يريد أن ينكح أحبابه من قبل أن يسهر أو ينحلا
ولأحمد بن أبي قنن في مثل ذلك :

أنا لا أبدا بغدر أبدا فاذا ما غدرت لم أترك^(١)
واجدا منها بديلا مثل ما وجدت مني بديلا لا تشك
أتراني أقعد الليل لها ساهرا أطلب وصلا قد هلك
وهي فيما تشهى لاهية مت إن دار بهذين فلك
كان للناس وفاء مرة فانهضى وانحلت اليوم التلك
وحدثني أبو العيناء قال : حدثني الجاحظ قال : كتب بعض الظرفاء

إلى ملك سجارية أبي جعفر :

يا ملك قد صرت إلى خطة
يلومني الناس على حبكم

(١) أترك : أهمل ، أغفل .

فكُنْتِ بِهِ :

إِنَّ تَكُنِ النَّلْمَةُ مَاجَتْ بِكُمْ فَصَكْنِ النَّلْمَةَ بِالصَّوْمِ (١)

ليس بك الشوق ولو كنتما تدور من هذا على الكوم (٢)

واعلم أن العشق لا يكون مع الفسق ، ومتى مزج العشق الفسق ضعفت قواه ، وانقصمت (٣) عراه (٤) وهم لا يريدون غير الرفق (٥) ، ويسمونه صامير الحب ، وزعموا أن أسباب الحب لا تتصل إلا به ، ولا يزال مُنَحَلًّا حتى يشدها ذلك ، وينشدون :

العشق داءٌ دَوِيٌّ لَا دَوَاءَ لَهُ إِلَّا الصِّنَاقُ وَإِفْدَاءُ السَّرِيرَاتِ

وليس يندطيب العيش من أحيد إِلَّا بِعَضِّكَ أَوْ رَشْفِ الثَّنِيَّاتِ

وَوَضْعِكَ الصَّدْرِ فَوْقَ الصَّدْرِ بِجَمْعِهِ ضَمًّا إِلَيْكَ عَلَى ظَهْرِ الْحَشِيَّاتِ

وينشدون أيضا في مثل ذلك :

رَأَيْتَ الْحَبَّ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ سِوَى وَضْعِ الْبَطُونِ عَلَى الْبَطُونِ

وَالصَّاقِ الثَّنَائِيَّ بِالثَّنَائِيَّ وَأَخَذِ بِالْمَنَاكِبِ وَالْقُرُونِ

وقد ناظرتُ بعضهم مرَّةً من المِرْوَرِ ، فاحتج بخبر ابن عباس ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فاحتجوا بظاهر الخبر ، ولم يفحصوا عن التأويل ، وهذا خلاف ما يفعل أهل النظر والأدب ، وغير هذا جاء عن العرب .

وقد باغنى عن الأصمعي أنه قال : قلت لأعرابي مرَّةً : ما العشق فيكم ؟

(١) غم غمة : كان منقادا للشهوة .
 (٢) الكوم : الفرج .
 (٣) انقصم : أنكسر .
 (٤) العري : جمع عروة : ما يوثق به .
 (٥) الرفق : التكلّم بالفحش .

قال: النظرة بعد النظر ، وإن كانت القبلة بعد القبلة ، فهو الوصول إلى الجنة !
فقلت : ليس العشق عندنا كذلك ؛ قال : فما هو عندكم ؟ قلت : تفرق بين
رجليها وتحمل نفسك عليهما !! فقال : بأبي أنت ، لست بعاشق ، إنما أنت
طالب ولد .

١٩ — باب ما جاء فيمن تعففت في محبة

ورعى عقود عهود مودته

وما وجدنا أحدا من العرب يفعل ذلك ، ولا صمد نحوه ، وقد كان
الواحد منهم يعشق من أول دهره إلى آخره ، لا يحسول فسقا ، ولا يقرب
رفقا ، ولم يكن لهم مراد إلا في النظر ، ولا حظ في غير الاجتماع والمؤانسة ،
والحديث والشعر ، كما قال الفرزدق :

وجدتُ الحبَّ لا يشفيه إلا لِقَاءُ يَمْتَلُ الْعَمَلُ النَّهَالَ
أَحِبُّ مِنَ النِّسَاءِ وَهِنَّ شَيْ حَدِيثَ النَّزْرِ وَالْحَدَقَ الْكِلَالَا
مَوَاقِعَ لِلْحَرَامِ وَكُلَّ نَحْسٍ وَتُبْدِلُ مَا يَكُونُ لَهَا حَلَالَا

وكان الواحد منهم إذا تعلق خلة لم يفارقها حتى الممات ، ولم يشغل
قلبه بغيرها ، ولم يهتم بالسلو عنها ، وقصر طرفه عن سواها ، وكذلك هي
أيضا ، كانت له بتلك المنزلة ، فأَيُّها هلك صاحبه ، قتل الآخر نفسه
في أثره ، أو عاش حافظا لودّه ، قائما بعهدده ، لا ينسى ذكره ، ولا يصل غيره ؛
فاستحسن الناس المملك والاستبدال ، والغدر والانتقال ، وسار أشدهم ظرفا ،
وأحسنهم إلفا ، يعشق السنين الكثيرة ، والدهور الطويلة ، ويتوهم بفعله
أنه عاشق ، فإذا فقد حبيبته يوما واحدا استبدل به سواه ، وينشدون في ذلك :

إِفْخَرُ بِأَخِيرٍ مَنْ بَايَتْ بِحُبِّهِ لَا خَيْرَ فِي حُبِّ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
أَتَشْكُ فِي أَنَّ النَّبِيَّ تَمَسَّدَا سَادَ الْبَرِيَّةِ وَهُوَ آخِرُ مُرْسَلِ
وَأَنَا أBRأ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ شَعْرِ ظَرِيفٍ ، أَوْ مِنْ فِعْلِ حَصِيفٍ ،
وَلَكِنْ قَدْ أَحْسَنَ أَبُو تَمَّامٍ الظَّائِي حَيْثُ يَقُولُ :

الْبَيْنُ جَرَعْنِي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ وَالْبَيْنُ أَتَكَلَّنِي وَإِنْ لَمْ أَتَكَلِّ (١)
مَا حَسَرْتِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي إِثْمًا حَسَرَاتُ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَفْعَلْ (٢)
نَقَلَ فَوَإِذْكَ حَيْثُ شِئْتُ مِنَ الْهُوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
كَمْ مَنَزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنَزِلِ
عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ التَّنْقَلُ مِنْ حَبِيبٍ أَوَّلٍ إِلَى حَبِيبٍ ثَانٍ بِحَسَنِ ، وَإِنَّمَا الْحُبُّ
مَا أَقَامَ عَلَيْهِ الْقَلْبُ ، فَلَمْ يَجِدِ التَّنْقُلُ مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ ، كَمَا قَالَ جَرِيرٌ :

أَخَالِدُ قَدْ هَوَيْتُكَ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيْبَتِي الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ
هُوَى بِتِهَامَةٍ وَهُوَى بِنَجْدٍ فَتُبْلِيَّتِي التَّهَامُ وَالنُّجُودُ (٣)
وَلَا كَقَوْلِهِ أَيْضًا :

أَحِبُّ ثَرَى نَجْدٍ وَبِالْعَوْرِ حَاجَةٌ فَغَارَ الْهُوَى يَا عَبْدَ قَيْسٍ وَأَنْجَدًا
وَلَا كَقَوْلِ الْآخَرِ :

إِنِّي سَأُبْرِي الْحُبَّ فِيمَا أُبْدِي لِي شَجْنَاكَ شَجْنٌ يَنْجِدُ (٤)
وَشَجْنٌ لِي بِبِلَادِ الْهِنْدِ

(١) البين : الفراق . جرعتني : ستماني . بلما . الحنظل : نبات مر . أتكلني : أفقدني .

(٢) كنت : قرمت . أقضى : أموت .

(٣) تهامة : بلاد جنوبي الحجاز . نجد : قسم من بلاد العرب مرتفع أعلاه تهامة واليمن وأسفله العراف والشام .

(٤) الشجن : الهم ، الحزن .

ولا كقول الآخر :

هوى بالغور لي وهوى بمنجدٍ فما أدري أأنجد أم أغور^(١)
 بكل حاجة وهوى مُقيمٍ بقلبك قد تضمته الضميرُ
 بشرقي المراقِ بباب عمرو وبالغورين زينب والقصور
 هذا والله من الفاظ الشعر أسمى جداً ، وقد كذب هؤلاء وأدعوا
 وجداً ، وهل يجتمع وجدان في موضع ؟ ولكن قد أحسن جميل ،
 حيث يقول :

وَقَلْتُ لِنِسْوَانٍ تَعْرِضُنْ دُونَهَا إِيكَانَ إِيَّيَّ غَيْرِ كُنْ أُرِيدُ
 وحيث قال أيضاً :

وكم من بديلٍ قد وجدنا وطرفه فتأبى على النفس تلك الطرائفُ
 فهذا هو الصادق الهوى ، الخالص الوفاء ، لا جرير وصاحبه ، ولا
 الذي يقول :

أرَى ذَا فَأَهْوَاهُ وَأَبْصَرَ غَيْرَهُ فَأَتْرَكَ ذَا نَمِ اسْتَبَدَّ بِنَا عِشْقَا
 مَانُونَ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ أَحِبِّهِمْ وَمَا فِي فُؤَادِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَمِينِي
 ففتح الله هذا اللفظ لفظاً ، ولا أعطى قابله خطأ ، فليس من شعر وامي^(٢)
 بل هو من فعل مما ذق^(٣) ، ولا والله ما التنقل من شأن الأدباء ، ولا الاستبدال
 من فعل الظرفاء ، وإنما الهوى ما حسن سريره ، وهيبات أن ذوق الوداد
 الخالص ، والصفاء الدائم ، والحب اللازم ، وذوو الحفاظ ، ورعاة العمود ،
 والمتمسكون بالوفاء ، والراغبون في صحیح الإخاء إليك ، فقد تنقضت وثائق

(١) الغور : ما انحدر واطمان من الأرض . والنجد : ما أشرف من الأرض وارتفع .
 (٢) الوامق : المحب .
 (٣) المماذق : من كان وده غير خالص .

الحب ، وانقصت عرى الهوى ، وتقطعت أسباب العشق ، وتكدر صافي المرودة ، والناس كما قال الشاعر :

قَلَّ الثَّقَاتُ فَمَا أُذْرَى بَيْنَ أَثْقٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ إِلَّا الزُّورُ وَالْمَلَقُ
وإن الغدر في النساء طبع ، والمطل منهن غريزة ؛ وهو في النساء أكثر منه في الرجال ، فقد أنشدني بعض الأدباء :

وَكُنَّا جَعَلْنَا اللَّهَ شَاهِدَ بَيْنِنَا وفي الله بين المسلمين شهيد^(١)
فَحَسِبْتَ بَعْدَ اللَّهِ لَوْ تَعْلَمِينَهُ وفيك من ليست له نهود^(٢)
واعلم أنهم لا عهد لهم ، ولا وفاء لحبهم ، ولا دوام لودهن ؛ وإن أقبح ما روى عن غدرهن ، ما حدثني ابن أبي خيثمة ، عن شيوخه : أن عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل كانت عند ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ فأحبها حباً شديداً شغلته عن تجارتها ، فأمره أبو بكر فطلقها ، ثم اطلع^(٣) عليه وهو يقول :

فَلَمْ أَرَ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تَطْلُقُ
لَهَا خُلُقٌ سَهْلٌ وَحَسَنٌ وَمَنْصُوبٌ وَخَلَقٌ سَوِيٌّ مَا يُعَابُ وَمَنْجَاقٌ
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ يَا تَخْنِي النَّفُوسُ مَعْلَقٌ
أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلَّقٌ

فرق عليه أبو بكر ، وأمره فراجعها ، فقال لما رجعت إليه :

أَعَاتِكَ قَدْ طَلَّقْتِ مِنْ غَيْرِ بَعْضَةٍ وَرُجِعْتِ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ
كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَايِرٌ وَرَائِحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَايِنٌ^(٤)

(٢) خاس بالوعد ؛ نسكت وغدر .

(٤) يابته : هاجره .

(١) البين : الصداقة .

(٣) اطلع عليه : أتاه فجأة .

وما زال قلبي للتمزق بائن فقلبي لما قد قرب الله ساكن
 لينمك أنى لم أجد منك سخطة وأنت قد جئت عليك انمحاسن
 وأنت ممن زين الله أمرها وليس لما قسد زين الله شأن
 فلم تزل عنده حتى قتل يوم الطائف ، رمى بسهم فمات ، فجزعت عليه
 جزعا شديدا ، وقالت ترثيه :

أآليت لا تنفك عيني حزينه عليك ولا ينفك جلدي أغبر
 فإله عينا من رأى مثله قتي أشد وأحى في الهياج وأصبر
 إذا شرعت فيه الأسنه خاضها إلى الموت حتى يترك الرمح أشقر
 ثم خطبها عمر بن الخطاب فزوجها ، فأولم عليها ودعا أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم ، قال : فقال له علي بن أبي طالب : إيذن لي لأدخل
 رأسي إلى عائكة أكلمها ، قل : افعل : فأدخل رأسه اليها فقال ، يا عديه
 نفسها ، أهكذا كان قولك :

أآليت لا تنفك عيني سخيته عليك ولا ينفك جلدي أغبر
 فبكت ، فقال له عمر : ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن ، فغفر الله لك ، إنهن
 يفعلن هذا ، قال : أردت أن أعلمها أنها لا عهد لهن : فبكت عنده حتى
 قتل عنها ، قتله أبو لؤلؤة ، فقالت ترثيه :

عين جودي بديرة ونحيب لآتملى على الأمير النجيب
 فجعتني المنون بالفارس المة لم يوم الهياج والتأنيب
 عصمة الله والمعين على الده رغيبات الملموف والمكروب
 قل لأهل البأساء والضرموتوا قد سقتنه المنون أم الرقوب

ثم تزوجها الزبير بن العوام ، فشكشت عنده حتى قتل عنها ، منصرفا من
الجل بوادي السباع ، قتله ابن جرّموز ، فرثته . وفيه تقول :

عَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِقَارِسٍ يَوْمَهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدٍ^(١)
يَا عَمْرُو لَوْ نَبِهْتَهُ لَوْجَسَدَتُهُ لَا طَائِثًا زَغَبَ الْجِنَانِ وَلَا أَيْدٍ
تَسَكَّنَكَ أَهْكَ إِنْ قَتَلْتَ لَمُسَلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عَقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

نخطبها علي بن أبي طالب ، فبعثت إليه : إني لأضنُّ بك عن القتل ، وإنا
استحييت فامتعت ، وقد تزوجت باثنين من بعد قولها :

أَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكَّ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِلْدِي أَغْبِرًا

قال : وحدثني أبو الفضل الربيعي ، قال : حدثني أبو ربيعة العامري الكوفي ،
قال : حدثني علي بن عمرو الأنصاري قال : دخلت المدلّة البكرية زوجة المغيرة
ابن أبي ضمام البكري ، وكان يحبها حبًّا شديدًا ، علي المغيرة بن أبي عقيل ،
تخاصم في بعض أمورهما ، فلما خرجت المدلّة ، قال : أنت الذي يقول فيك المعذل :

قُلْ لِلْمُدَلَّةِ طَالِذَا اتَّعَدِيدُ فِدَعِ النَّعْلُ وَالْمِطَالُ قَلِيلًا

ويزيدها حلّى النساء ملاحه ويزيد ذلك بعضهن خبولًا ؟

قالت : نعم ، قال : فلم تزوجت بعده ، أف لكن ؟ قالت : أتتصيف ،

ما كنتُ بديًا ، وما كنتُ بنيا !! فضحك منها وأمرها بالانصراف .

وروي أن امرأة من نساء العرب تزوجت رجلا من خثعم ، فوجد كل
واحد منهما بصاحبه وجدا شديدا ، وأنهما تحالفا ألا يتزوج أحدهما بعد
صاحبه ، فمات قبلها ، فتزوجت ، فلامها بعض أهلها ، وقالوا : أين ما كنت

(١) البهمة : الشجاع . عرد : هرب .

تُجَدِّينَ بِهِ ؟ فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :

وَقَدْ كَانَ حُجِّي ذَاكَ حَبِيْبًا مَبْرُوحًا وَحُجِّي إِذَا ، إِذْ مَاتَ ذَاكَ ، شَدِيدًا
وَكَانَ هَوَايَ عِنْدَ ذَاكَ سَبَابَةً وَحُجِّي لَذَا حُجُولِ السِّيَاقِ مَزِيدًا
فَلَمَّا مَضَى عَادَتِ لِهَذَا مَوَدَّتِي كَذَاكَ الطُّهْرَى بَعْدَ الذَّهَابِ يُعُوْدُ

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ حَسَّانَ : لَمَّا اخْتَضَرَ حَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ جَالِسَةً عِنْدَ رَأْسِهِ تَبْكِي ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَتْ : عَلِيٌّ فِرَاقَكَ ابْنَ عَمِّ ، قَالَ : مَا صَنَعْتَ ؟ فَبَيَّنَّا لَكَ أَنَّ تَسْكُحِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَثْمَانَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَجْتَرِئُ عَلَى خُطْبَتِهَا غَيْرَهُ ، قَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ؛ وَهَلْكَ وَلَهُ مِنْهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ وَابْرَاهِيمُ ابْنُ حَسَنِ ، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا دَعَتْ مَوْلَاةً لَهَا يُقَالُ لَهَا زَيْرٌ ، فَقَالَتْ : يَا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَقَوْلِي لَهُ : أَعْرَضْنَا بِعِلَّتِكَ الشَّهِيَاءَ بِرِحَالَتِهَا ، فَإِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَسِيرَ إِلَى بَعْضِ أَمْوَالِ وَلَدِي بِالْعَالِيَةِ ، فَأَتَيْتُهُ فَقَالَ يَا زَيْرُ إِنْ لَوْ كَانَ لِي إِلَى مَوْلَاتِكَ سَبِيلٌ ؟ أَرَحِنُوا لَهَا الْبَغْلَةَ ، فَلَمَّا جَاءَتْ قَالَتْ : هَلْ لَقَيْتَهُ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، قَالَتْ : فَمَا قَالَتْ لَكَ ؟ قَالَتْ : قَالَ : لَوْ كَانَ لِي إِلَى مَوْلَاتِكَ سَبِيلٌ ؟ قَالَتْ : وَيْلَكَ ، وَأَيْنَ الْمَذْهَبِ عَنْهُ ! فَرَجَعْتُ زَيْرٌ فَدْخَلْتُ عَلَيْهِ وَأَعْلَيْتُهُ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا بِخُطْبَتِهَا فَتَزَوَّجْتَهُ ، وَوَلَدَتْ لَهُ الْهَيْثَمُ وَمُحَمَّدٌ وَرُقِيَّةٌ وَكَانَ لَهَا مِنَ الْحَسَنِ ثَلَاثَةٌ وَمِنْ عَبْدِ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ .

وَرُوِيَ عَنْ سَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ أَنَّهُ قَالَ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ : لَمْ تَنْهَ امْرَأَةً قَطُّ عَنْ رَجُلٍ إِلَّا تَزَوَّجْتَهُ .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي ضَبَّةٍ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مَنَاطِرِيْفًا شَرِيْفًا اخْتَضَرَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَبُنَى لَهُ يُسَمَّى مَعْمَرٌ يَدْبُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَبَكَى ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ يَا هَذِهِ :

إني لأشبه أن أموت فتشككي ويقذف في أيدي المراضيع معمر
 قالت ستور بعده ووليدة وأشغلهم عنه نخور ووجمر (١)

قالت : ما كنت فاعلة ، قال الشيخ : فوالله ما انتقضت عنها عديتها حتى تزوجت بشاب من الحبي ، ورأيت معمرًا كما وصف قال : وأنشدني بعض الشعراء :

إن من غره النساء بشيء بعد هندي لجاهل مغرور
 كل أنسى وإن بدا لك منها غاية الحب حبيها خيتعور (٢)

وإن الوفاء فيهن عزيز غير موجود ، ووالله لئن كان كذلك ، وعرفن بذلك ، ففي الرجال من هو أكثر منهن غدرا ، وأسرع منهن خترا ، وأسرع منهن تنقلا ، وأقبح منهن تبديلا

خبرت عن الأصمعي قال : كان رجل من الأعراب يظهر الوجد لامرأته ، والحب لها ، وكانت تظهر له مثل ذلك ، فتعاهدا ألا يتزوج منهما الباقي بعد صاحبه ، فاخترمت (٣) المرأة قبله ، فخطب الرجل امرأة من يومه ذلك ، فقيل له : آتخطب بعد يمينك وعهدك ؟ فقال :

خطبت كإلو كنت قدمت قبلها
 إذا شاب بعلى كان بعلى مكانه
 اسكانت بلا شك لأول مخاطب
 ولا بد من آت وآخر ذاهب

(١) المجرم : ما يوضع فيه النار المتنفذة .
 (٢) خيتعور : كل شيء يتلون ولا يدوم على حال ، والختيعور : الغادر ، وقيل المذنب ، سمي بذلك لأنه لا عهد له ولا وفاء ، وامرأة خيتعور : لا يدوم ودها : مشبه بذلك ؛ ويروي البيت :

كل أنسى وإن بدا لك منها
 والغاية : النهاية . والآية : العلامة .
 (٣) اخترمت : ماتت .

وخبرت أن بعض رعاة اليهود كانت له جنارية ، فسكان يظهر الميل إليها ،
والاستهتار بحبها ، وكان يقول لها : إذا أفضت الخلاقة إليه أن يفضلها على
نساءه ، ويقدمها في البرّ والكرامة عليهن ، فلما بلغ من ذلك أمه ، جفاها
وأطرحها وقلاها^(١) ، فكتبت إليه :

أَيْنَ ذَلِكَ الْوَدُّ وَالْقَبُولُ وَأَيْنَ مَا كُنْتَ لَنَا تَقُولُ ؟

فكتب إليها :

قَدْ قَالَ فِي أَشْعَارِهِ لَيْيِدُ يَا حَبِذَا الطَّارِفُ وَالتَّلِيدُ

فعلبت أنه لا حاجة له فيها

فهذا في القبح يتجاوز غدر النساء ، ويعلو على كثير من جنایات الإماء ،
وإنهن والله — على ما فيهن من الغدر والخيانة والشر — لربما عشقن فاشتهرن ،
ووفين فأحسن

وإن من حسن ما بلغ من وفائهن : ما صنعتها ابنة الفرافصة مع عثمان بن
عفان رضي الله عنه ، وكان من قصتها أن سعيد بن العاص تزوج هند ابنة
الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحرث بن حصن بن ضمضم بن
عدي بن جناب السكبية ، فبلغ ذلك عثمان بن عفان ، فكتب إلى سعيد :
أما بعد ، فقد بلغني أنك تزوجت امرأة من كلب ، فآكتب الي بنسبها وجمالها ؛
فكتب اليه سعيد : أما بعد ، أما نسبها فهي ابنة الفرافصة بن الأحوص ،
وأما جمالها فيبيضاء منيدة ، والسلام ؛ فكتب إليه عثمان : إن كانت لها أخت
فزوجنيها ، فبعث سعيد إلى أبيها فخطب إليه إحدى بناته على عثمان ، فقال
الفرافصة لابن له يدعى ضببا ، وكان قد أسلم وأبوه نصراني : يا بني زوج

(١) أطرحها : أبعدها . قلاها : أبغضها .

عثمان بن عفان أنك ، فزوجه ؛ فلما أراد سلبها ، قال لما أبوها : أي بنية ، إنك متقدمين على نساء قريش ، وذي أقدر على الغيب منك ، فاحفظني عنى الثنتين ، فكمل لي و تطيبى بالماء ، حتى تكون ريحك كريح الشباب المطهرين ؛ فلما حلت شق عليها العربة ، واشتاقت إلى أهلها ، فقالت :

ألس ترى يا ضبُّ بالله أنسى مصاحبة نحو المدينة أركبا
إذا قطعوا خرقةً تخبُّ ركابها كما زعزعت ريح يراعاً مقصباً
لقد كان في أبناء حصن بن ضمضم لك الويل ما يُغني الحياء المصطباً^(١)

فلما قدمت على عثمان بن عفان ، فعد على سرير ، وألقى لها سريراً حياها ، فجلست عليه ، ورفع الممامة عن رأسه فبدا الصلع ، فقال : يا ابنة الفرافصة لا يهولتك ما ترين من الصلع ، فإن من ورائه ما تحبين ، قالت : إني لمن نسوة أحب بعولتهن إليهن الكهول البيض السادة ، فقال : إماماً أن تقومين إلى ، وإماماً أن أقوم إليك ، فقالت : ما تجشمت من كراهة جنبات السماء أبعدهم ما بيني وبينك ، ثم قامت إليه جلست إلى جانبه ، فمسح رأسها ، ودعا بالبركة . وقال : اطرحي عنك خمارك ، فطرحته ، ثم قال : اخلعي درعك نخلعتة ، ثم قال : حلِّي ازارك ، فقالت : ذاك إليك ، فخله ، فكانت من أحظى نساءه عنده ؛ فلما كان يوم الدار أهوى رجل إلى عثمان بالسيف ، فألقت نفسها عليه ، فضرب بعجزتها ، وكانت من أعظم النساء عجيزة ، فقالت : أشهد أنك فاسق ، لم تأت غضباً لله ولا لرسوله ؛ فأهوى إليها بالسيف ليضربها ، فأنقته بيدها فقطع أصبعين من أصابعها ، فلما قتل عثمان ، قالت فيه تراثه :

ألا إن خير الناس بعد نبيه قليل أنتجوني الذي جاء من مصر

(١) طنب البيت : شيده بالأطناب ، والأطناب جمع طنب ، وهو جبل طويل يشد به برانق البيت .

ومالي لا ابكي وتبكي قرأني وقد هبت عذرا فضول أبي شمر
فبعث معاوية بعد ذلك يخطبها ، فزعت لثيابها العليا ، وقالت : أدات
عروس هذا . فهذا الله حسن من وفاء النساء
وقد تقدم ذكر جماعة من أهل الوفاء اللاتي قتلن أنفسهن أثر
متعشقين ، أغنى عن كثير من أخبارهن

وقد روى أيضا عن أبي حردد الأسلمي قال : نشأ فينا غلام يقال له
عبد الله بن علفمة ، نعلق جاريتا منا يقال لهما حبيشة ، لم تكن من فخذة^(١)
وكان يتحدث إليها كثيرا . فخرج ذات يوم من عندها فنظر إلى ظبية على
راية . فالتفت إلى أمه وهو يقول :

يا أمي خبريني ، غير كاذبة وما يريد مسؤل الخبر بالكذب
حبيش أحسن ، أم ظبي براية لا بل حبيشة من ظبي ومن ذهب

ثم انصرف من عندها مرة أخرى ، فأصابته السماء ، فأنشأ يقول :
وما أدري إذا أبصرت يوما أصوب القطر أحسن أم حبيش^(٢)
حبيشة والذي خلق الهدايا على أن ليس عند حبيش عيش

فلما سمع بذلك قومه ، قالوا له : هذا غلام يتيم لا مال عنده ، وآل تلك
يرغبون عنكم ، فانظري له بعض نساء قومه ، لعله يسأل عنها ، فزوجته جاريتة
ذات جمال وكمال ، وزينتها بأحسن زينة ، وأقامتها بين يديه ، فلما نظر إليها
قال : مرعى ولا كالسعدان . فذهبت كلمته مشلا ، والسعدان نبت يرعاه ابل
الملوك : فعلموا أنه لا ينصرف عن هواها ، فتواعدوا حبيشة ، وقالوا : إذا جاء
فأعرضي عنه وتجهمي^(٣) بالكلام رجاء أن ينصرف بعض الانصراف ، فلما

(١) الفخذ : حي الرجل . (٢) الصوب ، والقطر : المطر

(٣) تجهمه : استقبله بوجه عبوس

وأها لم تستطع أن تعمل ما أوتيت به ، غير أنها جعلت تنظر إليه وتبكي ، فعلم بقصتها ، فانصرف وهو يقول :

وما كان حبي عن نوال بدلته فليس بسليبه التجمم والمجتر
سوى أن داني منك داء مودّة قد يما ولم يزوج كما مزج الخمر
وما أنس مالأشياء لا أنس دمعها ونظرها حتى يغيبني القبر

ثم مكثا على حالهما وطول وجدهما إلى أن وافتهما خيل خالد بن الوليد يوم الغميصاء ، فأخذوا فيمن أخذ من الأسرى ، فأوثقوا رباطا ، وهذا حديث مشتهر قد رواه محمد بن حميد الخراساني عن سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحاق ، وحكاه المدائني عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة الثقفي ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن أبي حنرد الأسلمي ، عن أبيه قال : كنت يوم الغميصاء ، وهو يوم بني جذيمة ، في خيل خالد بن الوليد المخزومي ، حين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتل وأسر ، فقال لي قتي منهم ، وقد جمعت يداه إلى عنقه ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا قتي ، هل أنت آخذ بزمام ناقتي فقائدي إلى هؤلاء النسوة فأقضي اليهن حاجة ، ثم ترى بعد ذلك ما بدالك ؟ قلت : يسير ما سألت ، فألحقته بهن ، فوقف عليهن فقال : اسلمي حبيش على نقاد العيش .

قالت : وأنت فاسلم سميت سقاك ربّي الغيث ، ثم قالت : وأنت فحييت عنثرا وسبعما وترأ وثمانيا تترى ^(١) فقال القتي :
أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفتكم بالخوائق
ألم يك حقا أن ينول عاشق يكلف إدلاج أسرى والودائق ^(٢)

(١) تترى : أصلها وترى ، ومعناها بجي . الواحد بعد الآخر .

(٢) أدلج : سار من أول الليل أو في آخره . السرى : السير ليلا . الودائق : جمع الوديقة : شدة الحر .

فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قَلْتُ إِذْ نَحَنُّ جَبْرَةَ
أَيْبِي بُوْدَّ قَبْلَ أَنْ يَشْحَطَ النَّوَى
أَيْبِي بُوْدَّ قَبْلَ أَنْ يَشْحَطَ النَّوَى
فِي نِيَّ مَا ضَبَّيْتُ سِرَّ أَمَانَةٍ
وَلَا رَاقَ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاقٍ
عَنِ الْوُدِّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ التَّوَامِقُ^(١)

ثم بكى وبكت ، ثم أنشأ يقول :

فَإِنْ يَفْتَلُونِي يَا حَبِيشُ فَلَمْ يَدْعُ
وَأَنْتِ الَّتِي أَنْجَلْتِ جِلْدِي عَلَى دَمِي
هُوَ الْكَلِمَةُ مِنْ سِرِّي غَلَّةِ الصُّدْرِ
وَعِظَامِي وَأَسْبَلْتَ الدَّمْعَ عَلَى النَّحْرِ
ثم انصرفت به فضربت عنقه . فنظرت إليه فأقبلت حتى أكببت عليه .

وقد فعلت مثل ذلك عفراء بنت عمال بعروق بن حزام لما بلغها موته ،
استأذنت من زوجها في زيارة قبره ، فخرجت في نسوة لها حتى وردت قبره ،
فلما رآته من بعيد صرخت ثم دنت فرمت بنفسها عن راحلتها . ثم جعلت
تبكي وتشمق إلى أن نحد صوتها ، فدنا منها فوجدوها ميتة ، فدقت إلى جانبها .
وروى الأصمعي أيضا قال : خرجت أريد بعض أحياء العرب ففتنتني
الليل^(٢) ، وبنت في جبان ، وتوسدت قبرا . فسمعت في الليل من القبر
قائلا يقول :

أَنْعَمَ اللَّهُ بِالْخَيْالَيْنِ عَيْنَا
وَحَشَّةَ مَا لَقِيتُ مِنْ خَلَلِ الْقَبْرِ
وَبِمَسْرَاكِ يَأْسُوعَادُ إِلَيْنَا
رِ عَسَى أَنْ أُرَاكَ أَوْ أَنْ تَرَيْنَا
فأرقت له ليلتي ، فلما أصبحت دخلت الحي ، فاذا بجنازة قد أُقبل بها ،

(١) الصفائق والموافق : الحوادث .

(٢) شحط المكان : بعد .

(٣) توافق الرجلان : تحابا .

(٤) جن الليل : أضلم .

فَسَأَلْتُ عَنْهَا قَبِيلٌ : هَذِهِ سَمَاءٌ كَانَتْ تُحِبُّ ابْنَ عَمِّهَا . وَإِنَّهُمَا تَعَاقِدَا عَلَى
الْوَفَاءِ ، فَمَلَكَ قَبِيلَهَا ، فَلَمْ تَرَلْ تَبْكِي عَلَيْهِ ، فَبَا هِيَ قَدْ لَحِقَتْ بِهِ ، فَتَجَبَّعْتَهُمْ حَتَّى
رَفَعْتُ إِلَى جَانِبِ الْقَبْرِ الَّذِي بِنْتُ عَمِّهِ . وَإِذَا هُوَ قَبْرُ ابْنِ عَمِّهَا ، فَخَبَّرْتَهُمْ
بِمَا سَمِعْتُمْ وَأَنْصَرَفْتُمْ .

وَرَوَى أَنَّ مَالِكَ بْنَ عَمْرِو النَّسَائِيَّ تَزَوَّجَ ابْنَةَ عَمِّهِ لِلنَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ
الْأَنْصَارِيَّ ، فَأَحْبَبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَكَانَ شَجَاعًا بَطَلًا مَقْدَامًا ،
فَعَهَدَتْ إِلَيْهِ أَلَّا يَبَاشِرَ حَرْبًا ، ثُمَّ أَنَّهُ عَدَا فَلَقِيَ الْبَدُوَّ فَطَعَنَ ، فَقَالَ وَهُوَ
يَجُودُ بِنَفْسِهِ :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي عَنْ غَزَالِ تَرْكِيئِهِ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ مَبْتَنِي كَيْفَ يَصْنَعُ
أَيَلْبَسُ أَثْوَابَ الْحِدَادِ تَفْجَعًا عَلَى مَالِكِ أُمِّ فِيهِ لَلْبَعْلِ مَطْمَعٌ^(١)
فَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْمَوْخَرُ بَعْدَهُ لَمَا بَرَحْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ تَقْطَعُ
فَلَمَّا أَنَا هَا خَبِرَهُ اسْتَمْسَكَ لِسَانَهَا حَوْلًا ، فَقَالَ رَهْطَهَا وَعَشِيرَتَهَا : أَلَوْ
زَوَّجْتُمُوهَا غَيْرَهُ ، لَعَلَّهَا تَسَلَى وَتُفِيقُ ؟ فَزَوَّجُوهَا رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمَلُوكِ ،
فَسَاقَ إِلَيْهَا هَدِيَّةً عَظِيمَةً الْقَدْرِ ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ بِنَائِهِ بِهَا أَخَذَتْ بَعْضَادَتِي
الْبَابَ^(٢) ، ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

يَقُولُ رَجَالٌ : زَوَّجُوهَا لَعَلَّهَا تَفِيقٌ وَتَرْضَى بَعْدَهُ بِحَلِيلِ
فَأَضْمَرْتُ فِي النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهُ رَجَاءُهَا وَالصَّدْقُ أَفْضَلُ قَبِيلِ
أَبْعَدُ ابْنَ عَمْرِو سَيِّدِ الْقَوْمِ مَالِكِ أَزَفُ إِلَى زَوْجِ بَعْضَبِ كَلِيلِ^(٣)

(١) تَفْجَعُ : تَوْجَعُ .

(٢) عَضَادَتَا الْبَابِ : خَشْبَتَاهُ مِنْ جَانِبَيْهِ .

(٣) الْعَضْبُ : السِّيفُ ، الْكَلِيلُ : الَّذِي لَا يَقْطَعُ .

وخبرني أصحابه أن مالكا
وخبرني أصحابه أن مالكا
وخبرني أصحابه أن مالكا
وخبرني أصحابه أن مالكا
فما كان يبشرني خليسي بخلة
فقال لها بعلمها : ارجعي الى أهلك ، ولك كل ما سقت إليك ، مثلك
فليتزوج الرجال .

ومن حسن وفاهن أيضا ، ما رواه الهيثم بن عيسى ، فإنه كان في
بني عامر بن صعصعة امرأة توفى عنها زوجها . ولها ابن عم ، فصارا إلى
بعض شيوخهم ، فقالا له : فلانة جارية شابة ، والقالة^(١) إلى مثلها سريعة ،
فوجه إليها فتمتخضر ، وأعرض عليها أيضا أموى إليها ، حتى يتزوجها ، فوجه
الشيخ إليها فأتته ، فعرض عليها مقالتهما ، فأطرقت مليا تنكت الأرض حتى
حفرت فيها حفيرة وملاها من دموعها ، وكان زوجها دفن بمقبرة تدعى
بحوضي ، فالتفت إلى ابني عمها وأنشأت تقول :

فإن تسألاني عن هواي فإنه
وإن تسألاني عن هواي فإنه
وليتني لأستحييه والموت دوننا
أهابك إجلا لا وإن كنت في الثرى
رهين بحوضي أيها الفتيان
رهين له بالحب يا رجلا
كما كنت أستحييه حين يراني
لوجهك يوما أن يسؤك مكاني

(١) العلات : اخالات والشؤون المختلفة .

(٢) الشفرة : حد السيف .

(٣) القالة : ما يتدعه الناس كذبا .

وقامت فانصرفت ، فقال : قد رأيتها وسمعتها ، فانصرفا وقد يتسا ، ثم
لقيامها يوما في المقابر وعليها مصبغات^(١) وحلي وحلل ، فقال أحدهما
لصاحبه : ما ترى في أذى زى خرجت ، والله ما أراها إلا متعرضة^(٢) للرجال ،
هلم فلننظر ما تصنع ، فقمربا منها ، فأنت القبر فالتمزمته ، ثم أنشأت تقول :
يا صاحب القبر يا هن كان يؤنسني وكان يحسن في الدنيا مؤانتي
أزور قبرك في حلي وفي حلال كما أنتي لست من أهل المصيبات
أبيت ما كنت من قربي تحب وما قد كان يلميك في ألوان لذاتي
ومن يراني يرى عبري مفاجئة طويلة الحزن في زوار أهوات
ثم شهمت فانت .

ومثل هذا وأشباهه من الوفاء قليل في النساء ، وهو من وفائهن عجيب ،
والغدر عليهن أغلب ، إذ على ذلك طبع خلقهن ، وعليه جعلت بنيتهن ،
وسأصف لك جملة من مكرهن ، لتقف به على غدرهن إن شاء الله ولا قوة إلا بالله

آخر الجزء الأول من كتاب الموشى

من أجزاء أبي الطيب بن الوشاء

والحمد لله كثيرا وصلواته على محمد نبيه وآله وسلامه

وحسبي الله ونعم الوكيل

(يتلوه الجزء الثاني من كتاب الموشى)

(١) مصبغات : أنواب ملونة .

(٢) تعرض للشئ : تصدى له وظن به .

الجزء الثاني

من كتاب الموشى

تأليف

أبي الطيب محمد بن اسحق بن يحيى الوشما

رحمة الله عليه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، الحمد لله رب العالمين ، وسلام على عباده الذين اصطفى

(أما بعد) فإنه قد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب أشياء من عُيون فنون الأدب ، يرغب فيها ذوو الحِجَى ، وينتهي اليها ذوو النُهَى ، وقد مضى من الجدِّ عدة أبواب ، فيها تمنع لذوى الألباب ، ولا بد من خلطها بشيء من الهزل ، إذ في ذلك ترويح لقلوب ذوى العقل ، وآخر ما ذكرنا في الجزء الأول ذكر الوَفِيَّات من النساء ، وأنا أتبعه في هذا الجزء بباب ذكر ذوات الغدر من الاماء ، ثم أصِلُهُ بما يتصل ، وأفضله من حيث يتفصل ، إن شاء الله وبه القوَّة .

٢٠ - باب صفة نساء الفجاء

ونفوذ حيلتهن في الفتيان

إعلم أنه لم يُبتل أحد من أهل المروءات والأدب ، وأهل النظرف والأرب ، ولا امتحن سراة^(١) الفتيان ببليّة ، هي أعظم من هوى القيان^(٢) ، لأن حيلهن حب كذوب ، وعشقتن عشق مشوب^(٣) ، وهواهن منسوب إلى الملل ، ليس بثابت ولا متصل ، وإِنما هو لطمع وعرض^(٤) ، وهن سرّيعات الغرض ، يُستدلّ على ذلك بأفعالهن الرديّة ، وأخلاقهن السيئة ، وأنهنّ لن

(١) السراة : جمع السرى : صاحب الشرف والمروءة والسخاء

(٢) القيان : جمع القينة : الأمة ، المغنية ، الماشطة

(٣) المشوب : المحلوط

(٤) العرض : المتاع ، العطاء

يقصدون إلا أهل النشَب^(١) ، ويصدقون^(٢) عن ذوى الحسب ، وأن محبتهم تظهر
ما ظهرت علامات اليسار والمال ، وتنتقل عند الأفلاس والاقبال ، وليس
إظهارهم للمهجة مما ينعقد عليه ممن ذوى الآداب . ولا بما يتخضع به لمن
ذوى الآداب ، وكل ذلك ممن غرور ، وخداع وزور ، ولا مرجع له
والمحصول ، وإنما أمر من عند ذوى الجهالة مجبول ، وما رأيت لكثير من
الادباء الذين سلكوا سبيل التشبيب بالنساء ، رغبة في تعشق الاماء ، وقد
أنشدنى بعض الظرفاء :

ليس عِشْقُ الاماءِ من شَكْلِ مِثْلِي إِنَّمَا يَعِشُقُ الاماءِ العَيْيِدُ
صَلُّ إِذَا مَا وَصَلَتْ حُرَّةَ قَوْمٍ قَدْ حَمَاهَا آبَاؤُهَا وَالجُدُودُ
ومن أدلّ الأشياء على خبث سرائر الاماء ، أن الواحدة ممن إذارأت
في مجلس قى له غنى وكثرة مال ، ويسار وحسن حال ، مالت إليه لتخذه ،
وأقبلت عليه لتصرعه ، ومنحته نظرها ، وأبدته بصرها ، وغمرته بطرفها ،
وأشارت إليه بكفها ، وغنت على كاساته ، ومالت إلى مرضاته ، وشربت من
فضلة كأسه ، وأومأت إلى تقييل رأسه ، حتى تواقع المسكين في حياها ،
وترهقه باحتياها ، وتماق قلبه بحبها ، وتضمعه في قربها ، وتحويه بأطفء لملقها ،
وتستبيه^(٣) ببيع تقنعها ، وبالمكر والخداع ، وتطلبها للاجتماع ، وتباكيها
لفرقته ، وتحازنها عند روحته ، ثم ترسل إليه بالرسول ، وتعاديه بالختل^(٤)
وتخبره عن سمها ، وتنبئه عن فكرها ، وتشكو إليه القلق ، وتخبره بالارق ،

(١) النشَب : الفقار

(٢) صدق عن الشيء : ارتد وانصرف

(٣) تستبيه : تأسره

(٤) الختل : الخداع

وتبعت إليه بخافتها ، وفضلته من شعرها ، وقلامه من ظفرها ، وشظية من
مضربها ، وقطعة من مسواكها ، ولبان قد جعلته عوضاً من قبلتها ، ونضغة
لتخبره عن نكبتها ، وكتاب قد نقشه بظرفها ، وطيبته بكفها ، وسحته بوتر
من عودها ، ونقطة عليه قطرات من دمعها ، وختمته بغالية قد عدل بالعنبر
مئتها ، واستمسك تحت الخاتم عجنها . وطبعت عليه بقص قد نقشت عليه
بعض مداعبتها ، وتمثلت عليه ببعض مجامتها ^(١) ، وضمنت الكتاب شكوى
شوق مريض ، وصفة شوق مريض ، تسأله المواقاة على حبها ، والإعانة على
سكرها ، وأن يبعث يطلب زيارتها ، لتقر بالنظر إليه عينها ، ويتفرج ^(٢) عنها
حزنها ، فيطمع الغمر ^(٣) في قربها ، ولا يشك في الكلام في إخلاص حبها ،
فيميل إليها بوده ، وتصفيه بمكنون حبه ، حتى إذا حوت عقله ، وصارت
شغله ، واستمالت لبه ، وسلبت قلبه ، واستمكن من قلبه . ووثقت بصحيح
حبه ، وعلمت أنه غريق في بحر البلية ، أخذت في طلب الهدايا السرية ،
وتشبت الثياب العذرية ، والأزر النيسابورية ، والأشفاق الانجائية ،
والأردنية الرشيدية ، والعمائم الشوسية ، والتكك الأبريسمية ، والخفاف
الرنائية ، والنعال الكنباتية ، والحلق المحشوية ، والعصائب المرصعة ،
والدستينجات المفصلة ، وخواتيم الياقوت المئمنة ، وتمازيت من غير سقم ،
وشكت من غير ألم ، وفصدت من غير علة وداء ، وتعالجت من غير حاجة
منها إلى الدواء ، لتجيبها هدايا ذوى الوجد ، في المرض والفسد ، من القمص

(١) بمن : مزح وقل حيا .

(٢) تفرج الغم : تكشف

(٣) الغمر : من لم يجرب الأمور ، الجاهل

المُعْتَبِرَة ، وَالغَلَائِلُ الْمَمْسُوكَة ، وَالْأَزْدِيَّةُ الْمَرْشُوشَةُ ، وَاللَّخَائِخُ الْمَعْجُونَةُ ،
وَمَخَاتِقُ السَّكَافُورِ الْمَنْظُومَةُ ، وَمَرَاوِسُ الْقَرَنَفُلِ الْمَجْمُورَةُ ، وَالْمَدَائِكُ الْأَذْفَرُ ،
وَالعَنْبِرُ الْأَشْهَبُ وَالْعُودُ الْهِنْدِيُّ وَالنَّدَى الْخَزَائِنِيُّ ، وَالْمَاوَزِدُ الْجُورِيُّ ،
وَالْحَمْلَانُ الْحَوَائِيَّةُ ، وَالْجَسَدَاءُ الرُّضْعُ ، وَالْبَطُّ الصِّينِيُّ ؛ وَالْفَرَارِيحُ
السَّكْسُكْرِيَّةُ ، وَالِدَجَاجُ الْفَائِقُ ، وَالْفَرَاحُ الْمَسْمُومَةُ ، وَالنَّبَاتِيحُ الْمَنْضُودَةُ بِأَنْوَاعِ
الرِّيَاحِينَ . وَالْفَاكِمَةُ يَتَّبِعُهَا صَنُوفٌ مِنَ الشَّرَابِ ، مِنَ الْمَعْسَلِ وَاللُّدْشَابِ ،
وَالْمَطْبُوحِ وَالْمَشْمُسِ ، وَنَيْدِ السُّكَّرِ ، وَالْقَشْمِشِ . ثُمَّ الدُّنَانِيرُ الْجُدَدُ الشَّهْرِيَّةُ ،
وَالدِّرَاهِمُ الْمَسِيْفَةُ الدَّارِيَّةُ . فِي خَرَائِطِ الدِّيْبَاجِ الْإِبْرِيْسمِيَّةِ ، وَمِنَادِيلِ
الْوَشْيِ الْأَنْجَمِيَّةِ ؛ فَلَا تَزَالُ فِي هُدَايَا مَتَوَاتِرَةٍ ، وَأَلطَافٍ مُتَابِعَةٍ ،
وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ الْعِيدَانِ الْعَرَعَرُ الْمَوْزُونَةُ ، وَالْمُضَارِبُ الْمَدْهُونَةُ ،
وَالْأَوْتَارُ الصِّينِيَّةُ ؛ حَتَّى إِذَا نَفَدَ الْبَسَارُ ، وَذَهَبَ الْإِكْثَارُ ، وَأَتَلَفَ الْمَالُ ،
وَجَاءَ الْإِقْلَالُ ، وَأَحْسَتُ بِالْأَفْلَاسِ ، وَتَفَرَّعَ الْإِكْيَاسُ ، أَطْهَرَتِ الْمَلَلُ ،
وَأَعْلَنَتِ الْهَدَلُ ، وَتَبَرَّمتْ بِكَلَامِهِ ، وَضَجَرَتْ بِسَلَامِهِ ، وَطَلَبَتْ عَلَيْهِ الْعِلَلُ ،
وَتَفَقَّدَتْ مِنْهُ الزَّلَّلُ . وَتَتَبَّعتْ عَلَيْهِ سَقَطَاتِهِ ، وَتَيَمَّمَتْ عَمْرَاتِهِ ، وَأَخَذَتْ فِي
الْجَفَاءِ وَالْعِتَابِ ، وَالْقَلْبُ وَالْإِبْعَادُ ، وَصَرَفَتْ عَنْهَا هَوَاهُ ، وَمَالَتْ إِلَى سِوَاهُ ،
وَنَفَرَتْ بَعْدَ الْقُرْبِ ، وَأَبْغَضَتْهُ بَعْدَ الْحُبِّ ، فحِينَئِذٍ يَدْرِكُ الْمَغْرُورَ النَّدَمُ ،
وَالْحَقِيقَةُ الْأَسْفُ . حِينَ لَا تُفْنِي عَنْهُ الْحِيلَةُ ، وَلَا يُجِدِي عَلَيْهِ اللَّهْفُ ، وَيَقَعُ
بَيْنَ لَيْتَ وَلَوْ وَهِيْمَاتِ ، وَلَاتِ حِينَ مَنَاصِ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى اسْتِنَافِ
مَا سَلَفَ مِنَ الْأَيَّامِ ، بَعْدَ الْإِشْرَافِ عَلَى وَرُودِ حِبَاضِ الْحَمَامِ .

وقد أنشدني بعض الأدباء لبعض المحدثين :

صَحَّوتُ فَأَبْصَرْتُ الْغُرَايَةَ مِنْ رُشْدِي وَأَيَقَنْتُ أَنِّي كُنْتُ جُرْتُ عَنِ الْقَصْدِ

فَمَا هُوَ مِنْهَا فِي سَعِيدٍ وَلَا سَعِيدٍ
 وَتَرَفِدُكَ عِشْقًا مَا غَنَيْتَ أُنْحَارِفِدِ (١)
 غَنِيًّا حَبْتَهُ بِالتَّحْيِيَّةِ وَالْوَدِّ (٢)
 وَقَالَتْ لَهُ مَاذَا تُرِيدُ أَنَا أَفِيْدِي
 فَقَدْ حَزَنْتَ قَلْبِي وَاشْتَمَلْتَ عَلَيَّ وَوَدِّي
 سُرُورًا يَرَى أَنَّ الْمَقَالَ عَلَيَّ جِدًّا
 لِفِرْقَتَيْهِ حَتَّى يَقُومَ عَلَيَّ وَعَسَدِ
 تُسَائِلُهُ مَا كَانَ حَالُكَ مِنْ بَعْدِي
 رَعَيْتَ نَجْمَ اللَّيْلِ كَفَيْتَ عَلَيَّ خَدِّي
 سُرُورًا بِتَعْجِيلِ الزِّيَارَةِ مِنْ بَدِي
 حَبْتَهُ بِتَعْجِيلِ الْحَجْرِ عَلَيَّ عَسَدِ
 يَدِيهِ وَأَبْدَتْ فَرَحًا قَلَّ مَا تُجِدِي
 لَيْحَزُنُنِي أَنْ تَصْنَعِي هَكَذَا عِنْدِي
 أَوْ هَلْ أَنْ يَبْتَاعَنِي سَيِّدِي وَحَدِي
 وَأَمِنْ مِنْ سُومِ الْبُفْرِثِقِ وَالْبُهْدِ (٣)
 سَقِيمٍ فُؤَادٍ مَا يُعِيدُ وَلَا يُبِيدِي
 وَلَكِنْ لِنَسْكَافِ الْهُدِيَّةِ فِي الْفَصْدِ

فَلَا يَعْشَقَنَّ مَنْ كَانَ يَعْشَقُ قَيْنَةً
 تَوَدُّكَ مَا دَامَتْ هَدَايَاكَ جَمَّةً
 إِذَا مَا رَأَتْ فِي مَجْلَسٍ مَنْ تَخَالَهُ
 وَعَنَّتْ عَلَيَّ أَقْدَاحَهُ كُلَّ مَا اشْتَهَى
 وَتُوْمِي إِلَيْهِ إِشْرَابِ الرَّطْلِ وَاسْتَقْنِي
 فَيَمْتَلِي الْمَغْرُورُ عِنْدَ مَقَالِهَا
 فَإِنْ جَاءَ وَقْتُ الْإِنْصِرَافِ تَحَاذَنْتُ
 وَيَعْتَدُو إِلَيْهِ فِي الْفِرَاشِ رَسُولَهَا
 وَيَالَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ بَتُّ فَإِنِّي
 فَلَا يَجِدُ الْمَغْرُورُ مِنْ دَفْعِ جَذْرِهَا
 وَتُسْرِعُ فِي إِتْيَانِهِ لِيَطْنَهَا
 فَإِنْ هِيَ جَاءَتْ عَاتَقْتَهُ وَقَبَلْتُ
 وَتَخْدُمُهُ عَمْدًا فَإِنْ قَالَ إِنَّهُ
 تَقُولُ لَهُ ذَا الْبَيْتِ بَيْتِي وَإِنَّمَا
 فَتُصْبِحُ عَيْنِي بِالْوِصَالِ قَرِيرَةً
 فَذَاكَ دَأْبُهَا حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْهُوَى
 فَتَنْصُدُ لِأَمِنْ حَاجَةٍ لِقَصَادِهَا

(١) أَرَفَدَهُ : أَعْطَاهُ ، وَالرَّفْدُ : الْعَطَاءُ وَالْمَعُونَةُ .

(٢) حَبَاهُ بِكَذَا : أَعْطَاهُ إِيَّاهُ .

(٣) السُّومُ : الدُّلَى .

فمن بين خلخال يصاغ وخاتم
ومن ثوب خز بعد وثي وماتم
وبالك من مسك ذكي وغير
فذا فعلها حتى إذا عاد مفليسا
فقولوا لمن يهوى القيان تفهموا
وأشدني بعض المحدثين لنفسه :

يا صاح إن القيان للغمير إذ
يهوين هذا ويشتكين لذا
حتى إذا ما اقتنصن ذا حقيق
نفضنه واستلخن جملته
وصار كالأس في غضارته
فأولنه المسح ثم قلن له
وأشدني بعض الكتاب لفضل الشاعرة :

يا حسن الوجه سىء الأدب
ياؤيك إن القيان كالشرك الـ
شبت وأنت الغلام باللعب
منصوب بين الغرور والعطب^(٤)

(١) الغمر : من لم يجرب الأمور . الغر : الشاب الذي لا خبرة له .

(٢) الفتق : التائق والتنعيم .

(٣) المسح : الكساء من شعر ، أو ما يلبس من نسيج الشعر على اليدين تمسحا وقهرا
للجسد أبيض : القطن ، أو جوار النخل أي شحمه الأبيض . ويقال : أبيض بفتن أي
شديد البياض .

(٤) ويك : كلمة مركبة من وي وكاف الخطاب وتقال للرجل . ويكنى بها عن الويل .
تقول : ويك استمع قولى ، والأصل ويك .

لا يَتَّصِدِينَ لِلْفَسِيرِ وَلَا
يَلْهَظُونَ عَذَا وَذَا وَذَا وَذَا
يَدِينَا تَشْكِي إِلَيْكَ إِذْ خَرَجْتَ
مِنْ زَفَرَاتِ الشُّكُوفِ إِلَى الصَّلَابِ

وَأَنشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ غَزَالٍ لِنَفْسِهِ :

إِذَا تَعَرَّضْتَ لِلْقِيَامِ
وَاعْزِمِ عَلَى فَلَسَةِ أَسَافَا
كَمْ مِنْ ثُرَاتٍ وَمِنْ تَلِيدِ
أَتَلَفَهُ مُتَلَفٌ عَلَيْهِمْ
مَا زَالَ يَصْبُو إِلَى خَلُوبِ
إِتَّخَذَتْهُ عَشِيقَ مَالٍ
حَتَّى إِذَا اخْتَلَتْ ثُمَّ حَسَّتْ
عَنْتَهُ صَوْتًا لَهَا عَتِيدًا
قَدْ نَفَدَ السُّكَيْسُ فَاسِلُ عَنِّي
وَأَنشَدَنِي أَيْضًا :

وَمُسْمِعَةٍ عَنَّتْ فِلْتُ بِهِجَتِي
فَقَالَتْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَقِ بِوَدَّتِي
فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا وَانْقَبِضْتُ كَأَنَّمَا
فَقَالَتْ وَقَدْ أَحْبَبْتُمَا لَتَغَرَّنِي
إِلَيْهَا لِأَلْهَوِ وَالْمُعْزَاحِ بَسِيطُ
وَصَافِي كَمَا صَافِي الْخَلِيطِ خَلِيطُ
عَلَّتْنِي لَيْدِيهَا نَعْسَةٌ وَغَطِيطُ
وَرَقَّةٌ فَهَمِي بِالْقِيَامِ مُحِيطُ

(١) الجذر : عدد مئزر وب في نفسه ، فالعشرة جذر المائة ، لأنك إذا ضربت عشرة في عشرة حصل مائة .

(٢) الخلوب : التي تتدح بالطريف الكلام .

(٤) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) هاواه : داراه

أراك نشيطاً للسمع تحية
 فقلت تراني ويك أعشق قينة
 إذا خرجت من مجلس وتبدلت
 وإن ذكرها قالت ومن كان حائك
 لعمرك ما تهوين إلا دراهما
 وإني ورب البيت، والله راحم
 بعيني لينح قبل ينفض ريشه
 هو أنا هوى يزوي عن المرء نعمة
 فيعشقنا من في يديه بضاعة
 وقال أيضا في قصيدة له :

حتى إذا ولت الدارهم غنة
 أسل عني فلت أصلح للضي
 عندها يأكل المفرط كفي
 وأنشد للحكمي في مثل ذلك :

قولا لمن يعشقه قينة
 فقد ثوى في كفها نيسة
 توأصل العاشق حتى إذا
 ولت بغدر وقرون القى

ولست إلى غير السماع نشيط
 لها كل يوم صاحب وربيط
 سواء بديلاً أولون نبيط^(١)
 وآخر منكود المعاش يخيط
 ومن درنها حزم على سايط
 أفكر فيه هل هواه قميط^(٢)
 وقيل يراه الناس وهو سقيط
 ويترك رب القوم وهو حطيظ
 سقيف إذا بان الرجا وشريط
 وقد أرمعت على الإقطاع
 ولا يحسن الهوى بالجياح
 ويأوي إلى أحسن البقاع
 يستف حزنا قبل إقلاسه
 مسرعة في قاع أضراكه
 ما أخذ العشق بأنفاسه
 تهز بالكشع على رأسه

(١) النبيط : جمع نبط : قوم من العجم كانوا ينزلون بين العرافين . ثم استعمل في
 أخلاط الناس وعوامهم ، ومنه يقال : كلمة نبطية أي عامية .
 (٢) القميظ : التام الكامل

ومن أحسن ما قيل في ذلك قول الشاعر :

مَا لِلْأَحْيَةِ فِي التَّنَشِيعِ عَارٌ فَأَخْشِيعُ وَإِنْ حَاقُوا عَلَيْكَ وَجَارُوا
 سَقِيماً وَرَعِيماً لِلَّذِينَ تَحْتَمَاوَا وَنَاوَا وَمَا شُدَّتْ لَهُمْ أَكْوَارُ^(١)
 لَسَكَنَهُمْ غَدَرُوا بِعَهْدِكَ فِي الْهُوَى وَأَخُو الْقَطِيعَةِ جَائِرٌ غَدَارُ
 مَا إِنْ يُبَالُوا إِنْ جَهَرُوا وَعَرَجُوا نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَوْ طَنُوا أَوْ سَارُوا
 لَا بَلْ أَشَدُّمَا عَلَيْكَ مُصِيبَةٌ أَنْ يَفْعَلُوا بِكَ أَذْهَمُ حُضَارُ
 لَا تَعْتَبِينَ عَلَى الْقِيَانِ وَلَا عَلَى زَهْوِ الْقِيَانِ فَانْهِنِّي تَجَارُ
 قَدَمٌ لَهَا مَلَاهِيَا وَهَضَارِيَا وَمَلَاوِيَا يَحْطِي بِهَا الزُّوَارُ
 إِنْ كُنْتَ صَاحِبَ لُطْفٍ وَهَدِيَةٍ فَلَاكَ الْهُوَى مِنْهُنَّ وَالْإِشَارُ
 أَوْ كُنْتَ صَاحِبَ كَيْفٍ أَنْتَ وَمَرْحَبَا فَارْحَلْ فَمِيشُكَ عِنْدَهُنَّ بَوَارُ
 مَا بَدَأَ مِنْ شَيْءٍ وَإِلَّا لَمْ يَكُنْ لَكَ شَمٌّ إِقْبَالٌ وَلَا إِذْبَارُ
 لَوْ كُنْتَ يُوسُفَ فِي الْجَمَالِ فَإِنَّهُ مَا مَثَلَهُ فِي حُسْنِهِ دِيَارُ
 ثُمَّ امْتَنَعْتَ مِنَ الْهَدِيَةِ أَنْ تَكْرُوا مِنْكَ الَّذِي لَا يُنْكَرُ الْأَحْرَارُ
 عِنْدِي مِنَ الْقِيَمَاتِ خَيْرٌ بَيْنَ وَمِنَ الْهَدِيَةِ مَنْ سَدَّ آثَارُ
 زَارَ ابْنُ أَحْمَرَ ذَاتَ يَوْمٍ قَيْنَةً فِي فِتْيَانَةٍ لَهُمْ نَدَى وَوَقَارُ
 حَتَّى إِذَا غَنَّتْهُمْ وَسَقَمَتْهُمْ وَتَجَاوَبَتْ فِي كَفِّهَا الْأَوْتَارُ
 قَالَتْ لِأَوْلِيهِمْ أَمَا لَكَ ضَمِيمَةٌ فَأَجَابَهَا إِنِّي فَتَى سِمْسَارُ
 قَالَتْ فَأَهْدِي لَنَا إِزَارًا مُعَلَّمًا فَأَبُو فُلَاتٍ مَا عَلَيْهِ إِزَارُ

(١) سقيا فلان : دعاء له ، والتقدير : سقاه الله سقيا . رعيا : اسم من داعي بمعنى

حفظ . أكوار : جمع كور : رجل البعير .

ثم انتدنت لسؤال آخر منهم
قالت فليس يهمننا ما زرتمنا
وإذا ابن أحرر قد أعد جوابها
ثم انتدنت لسؤال فأنجأها
فاذا هممت بحفر قبرك فابعثي
فقل لجلجت خجلاً وطاطت رأسها
وكذا القيان ولا أقول جماعة
ولابن أحرر أيضا :

عذبي ذو الجلال بالنار
ولا تغشقت قبنة أبدا
كم من غني تركن ذا عدم
سلبن منه الفؤاد بالنظر الـ
وبالتشاجي أتلفن مهجته
حتى إذا مضت دراهمه
ناؤانه المسح ثم قلن له
فلا تغرنك قبنة أبدا
فليس في العدر عندهن إذا

(١) القسط : عود يتداوى به . الأظفار : أقطع تشبه الأظفار عطرة الرائحة .

(٢) القسطار : الناقد العارف .

(٣) التشاجي : الحزن .

وأحسن ابن الجهم حيث يقول :

فأطلق يدا في بيته بتفضل	وعدت عن الهوى وما شئت فافعل
أشربيد وانهم بطرف ولا تخف	رقيباً إذا ما كنت غير مبخل
وقول عن المصباح والحق وذمه	فإن نحمد المصباح فاذن وقبل
وسل غير تنوع وقل غير منسكت	وتم غير مذعور وقم غير معجل
لك البيت ما دامت هداياك جمة	وكنت ملياً بالشراب المعسل
نصان لك الأبصار عن كل نظرة	ويصفي إليكم بالحديث المقلقل

واعلم أنه لا وفاة لمن، ولا حفاظ عندهن، ولا يدمن على ود، ولا يفين لعاشق بعهد، وهو امن مشرك، وخبين مقتسم، وقد أنشدني بعض الأدباء :

استخبراً زينب عن قولها	في رجس يعبد ربين
أذاك منه حسن جائز	أم ليس يرخصي الله دينين
حديك يا زينب من هجنته	يسترزق الدهر على اثنين ^(١)
فلا تريدي جمع هذا وذا	فالغمد لا يجمع سيفين ^(٢)
وأنشدي الأمر إلى واحد	ولا تكوني ذات بعدين
لا تخمّل المنبر ردفاً ولا	يصلح ملكاً بين اثنين ^(٣)
وعادة السوء إذا استحكمت	على امرئ شر من الدين
لست وإن كان الهوى غالب	أقنع بالشين على الشين

(١) اخجنته من الكلام : العيب والقبح ، أو ما يعيبه الانسان

(٢) الغمد : جفن السيف

(٣) الردف : التابع ، أو الراكب خلف الراكب

يُحَلِّبُ غَيْرِي وَأَكُونُ الَّذِي يَرْضَى مِنَ الْعَنْزِ بِقَرْنَيْنِ

وأحسن أبو ذؤيب حيث يقول :

تريدين كيما تجمعي وخالدا وهل يجمع السيفان ويحرك في غمد

وكنت كرفراق السراب إذا جرى بقوم موقد بات المطى بهم تخدي (١)

وقال آخر :

ألا يا عاشق القينات جهلا أردت بأن تكون أبا البهول

أترضى للهوى من ليس يرضى علي ضيق الهوى ألقى خليل

وليس هوى القيان محمود عندي ، ولا عند ذوى الأدب ، وأهل النهى

والأرب ، ولا لا كثيرهم ميل إليه ، ولا حرص عليه ، وإن كان قد أنشدني

صديق لي قوله فيهن :

زعموا خلة القيان غرور كل زعم من المقالة زور

قسما للقيان بالعمد أوفى من جوار تضمهن الخدور

إنما زخرف المفاليس هذا حين قلت صحاحهم والكسور

أهل هذا الزمان أطرى من الآس وكل ثمرة مسطور

واحتج في ذلك بأن هوى القيان - على ما فيهن من العيوب -

أشرع إلى النفوس ، وأوقع في القلوب ، وأغلق بالآرواح ، وأخلق

للنجاح ، وهن أقرب أملا ، وأقل عللا ، والظفر بمن أسرع من الظفر

بربات الخدور ، والمحتجبات وراء الستور ، وأنهن مزورات ، وأولئك

معدومات .

(١) الرقن : ما يتلأأ . أحدى اخدا : مشى قليلا قليلا .

وزعم من طالب القيمة الجَدُّ لِمَوْلَاهَا من عشيقها ، وكثرة مؤنتها عليه ،
وظلمها لما لديه ، ومساقتها الهدايا واللفظ ، والبر والتخف ، إنما هو من
رغبتها في هواه ، وميلها إلى رضاه ، ولأنها تؤثره على العالمين . وتشبهى قربه
دون سائر المحبين . لأنه إذا وافي جدوداً من عند عشيقها ، مع تتابع الطافة ،
وكثرة بره وإسلامه ، ورغب المولى في صفائه ، وطمع في استصفائه ، فأخلاها
معه الأيام الكثيرة ، والليالي المتتابعة .

فهذه جملة من القيان لمن عشق ، ورغبة فيمن وسق ، وليس ذلك عندنا
كذلك ، وإنما هي حيلة ممن احتجَّ هن بالوفاء ، وهن معروفات بالندر
والجفاء ، ولو كان ذلك كما زعموا لم تتغير له عند اختلاله ، ولا قلته عند
إفلاله ، بل كان يكون منها عند ذلك الاسفاف على هواه ، والمواساة في نفسها
في الحياة ، ولكن هو كما قال المؤمل بن أميل :

والغانيات كذلك هن غوانرٌ أبداً حبال وصالحن تجذم^(١)
يخذهن بالنظر الفتي ويعدهن نيلاً ودون عداهن الأنجم^(٢)
وكما قال بشار بن برد :

فوالله ما أدري وكلُّ مصيبة بأى مكيدات النساء أكادُ
غُرورٌ مواعيدٍ كأنَّ جداءها جداءاً بارقاتٍ منهنَّ جمادُ^(٣)

ومع ذلك فلا تفاق للشيوخ عندهن ، ولا لذوى القبيح والعدم مطمع
لديهن . على أنهنَّ يحتملن القبيح والشيب مع اليسار ، ويكرهنهما مع الفقر
والإقتار ، فإذا اجتمع القبيح والشيب مع الافلاس في أى إنسان كان من
الناس ، فليس عندهنَّ مطلب ، ولا لديهنَّ سبب ، ولذلك قال العطوي :

(١) جذمه : قطعه بسرعة فانقطع

(٢) الجداء : النفع والعطاء . والجدا : المطر العام . المزن : السحاب أو ذوالماء منه .

تاهت نيل بحسبها وجمافيا
 شيوخ وإنلاس ودهج طامير
 فأجبتها : الإفليس بأسمه الذي
 قالت : فقبح الوجه فيه جيلة
 يا صدقها ما كان أوضح سخبي
 وقال بعض الأعراب :

طويلات أعناق سباط أكتفها
 تآزرن زملا وارندين بحلة
 وتصرف ودي نحوهن صباة
 ومثل ذلك ما روى عن نصيب أنه قال : لقيتني بالطواف امرأة دحداحة^(١)

مزاحة ، فقالت : أنت نصيب ؟ فقلت : نعم ، قالت : ألسنت القائل :
 إذا البيض لا يأتين في الحب رقة
 وإذا هن يندين الكرم بوده
 قالت : لا أراك تكتب إلا درهمك ، فأعضض ببظر أمك ، من أين

تمشط إحدانا إذن ؟

وأشدني بعض الأدباء :

(١) السباط : الرخصة اللينة . المآكم : جمع المأكاة : خنة على رأس الورك . وهي العجيزة ،
 وهما إثنان أو لختان ، وقيل المآكان والمآكتان : اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين .
 وقيل : هما بخصتان مشرفتان على الحرفقتين وهما رؤوس أعاني الودكين عن يمين وشمال ،
 وقيل : هما ختان وصلتا بين العجز والمنتين .

(٢) دحداحة : قصيرة

وإذا قلت لها جودي إن
 أنت صراف فأنتيك له
 قلت ما تهوين إلا مؤسرا
 فأجابتنى بصوت مسمع
 أيها الناس ألا أخبركم
 ليس للحب مع الفقير عمل

ولقد أحسن أبو الشيبان حيث يقول :

حسرت المشيب قناعه عن رأسه
 فرمته بالصد والإعراض
 فتان لا تصبو الفساء إليهما
 حتى المشيب وحلة الانتفاض
 فوعودهن إذا وعدتك باطل
 وبروقهن كواذب الأيماض

وروى عمر بن شبة ، عن موسى بن اسماعيل المنقري قال : كان المخبل
 السعدي يعشق امرأة من قومه ، فأتلف عليها كل ما يملكه ، حتى صار يبيع
 البعر^(٢) فاتاها يوما فزبرته^(٣) وطرده ، فانصرف وأنشأ يقول :

إذا قل مال المرء قل صديقه
 وأومت إليه بالغيوب الأصابع
 وقال الأصمعي : عشق رجل امرأة ، وأظهرت له مثل ذلك ، فبعثت إليه
 يوما تسهديه مالا ، فتعذر عليه ، ووجهه بنصف ما طلبت ، فغضبت
 وهجرته ، فكتب إليها :

يا أيها الغضبان أن سامني
 ما مثله ثقب لي على المؤسري
 فجدت بالنصف له كاملاً
 فقال ليس الحب للمقتري

(١) براه : هزله وأضعفه .

(٢) البعر : جميع ذات الخنف والظلف ، وأحده بعره .

(٣) زبرته : رمته بالحجارة .

هَبْنِي غَرِيمًا لَكَ يَا مُنْبِيَّ مَا يَقْبَلُ النِّصْفُ مِنَ الْمَسِيرِ
فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

إِنْ كُنْتَ فِي حَالِكَ ذَا عُسْرَةٍ فَدَعْ طِلَابَ الشَّادِنِ الْأَحْوَرِ^(١)
مَا إِنْ مِنْحَنَاكَ الَّذِي نِلْتَهُ دُونَ ذَوِي الْبَهْجَةِ مِنْ مَعْشَرِ
إِلَّا لِيَتَقَضَى حَاجَتِي كُلَّهَا فِي حَالِ ذِي الْعُسْرَةِ وَالْيُسْرِ
وقال الأخطال يصف نفورهنَّ عن المشيب ، وغدرهنَّ بالكحول
وانشيب :

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهْنَ فَإِنَّهُ نَسَبٌ يَزِيدُكَ عِنْدَهُنَّ خَبَالًا
وَإِذَا وَعَدْنَاكَ نَائِلًا أَخْلَفَنَاهُ وَوَجَدْتَنَا عِنْدَ عِدَائِهِنَّ مَطَالًا
وقال القطامي أيضا :

وَإِذَا دَعَوْنَاكَ عَمَّهْنَ فَلَا يُجِبُ فُهْنًاكَ لَا يَجِدُ الصَّفَاءُ مَكَانًا
وَإِذَا رَأَيْنَا مِنْ الشَّبَابِ لِدُونَةِ فِعْسَى حَبِيبًا لَكَ أَنْ تَسْكُونَ مِتَانًا^(٢)
وقال جرير :

رَأَتْ مَرَّ السَّمِينِ أَخَذَنِي مِي كَمَا أَخَذَ السَّرَارُ مِنَ الْهَلَالِ^(٣)
فَقَالَتْ فِيمَ أَنْتَ مِنَ التَّصَابِي مَتَى عَهْدُ التَّشَوُّقِ وَالذَّلَالِ^(٤)
فَمَا تَرْجُو وَلَيْسَ هُوَ الْغَوَانِي لِأَصْحَابِ التَّنَحُّعِ وَالسُّعَالِ
وقال أيضا :

(١) الشادن : ولد الطليعة .

(٢) لدن لدونة : كان لينا .

(٣) السرار : آخر ليلة في الشهر .

(٤) التصابي : الميل إلى اللهو واللعب .

وإذا الشيوخ تعرضوا لمودة^(١) قلن التراب لسكل شيخ أدر دأ^(٢)
تلقى الفتاة من الشيوخ بليّة^(٣) إن البليّة كل شيخ أرمدا^(٢)

وقال امرؤ القيس :

أراهن لا يحبين من قلّ ماله^١ ولا من رأين الشيب فيه وقوسا^٢
وأشدني بعض الكتاب لابي الشبل :

عذيري من جوارى الحسى^١ إذ يرغبن عن وصلي^٢
رأين الشيب قد ألبسى^٣ أهبة الكهل^٤
فأعرضن وقد كنّ م إذا قيل أبو الشبل^٥
تساعين فرقعن الككوى بالاعين النجل^٦
وأشدت لغيره :

رأين الغواني الشيب لاح يعارضى^(٣) فأعرضن عني بالحدود والنواضر^(٣)
وكنّ إذا أبصرني أو سمعن بي^١ سعين فرقعن الكوى بالمحاجر^٢

وهنّ على ما فيهنّ من سرعة الملل ، وما طبعن عليه من البذل ، متمكنات
من القلوب ، مبرّات عند محبتهنّ من العيوب ، وإن من محمود مذهب
الظرفاء ، الميل إلى مغازلة النساء ، ومداعبة القينات ، وحبّ النساء عندهنّ
من حسن الاختيار ، وهو أشبه بمذهب ذوي الاخطار ؛ وليس هوى
الغلمان عندهنّ بمحمود ، ولا هو في سيرهم موجود ، وإنما آثروا هوى النساء
على الغلمان ، ومدحوهنّ بكلّ لسان ، للمليح براعتنّ ، وتكامل ملاحظتّن ،

(١) الأدرد : من ذهب أسنانه .

(٢) الأرمدا : من هاجت عينه .

(٣) العارض : صفحة الحد .

وعجيب شكاهن ، وبتدبير دهن ، وفيهن أيضا خصال محمودة ، وملاحظة موجودة ،
إن عُدِمَت من الجمال ، وَجِدَت في العقل ، وإن عُدِمَت من العقل ، وَجِدَت
في الدلال ، وروائهن أذكي ، وهواهن للقلوب أنكى ، والعشق بهن أليق ،
وهن للرجال أوفى ، وقد قال بعض الشعراء في ذلك وملح :

أَحَبُّ النِّسَاءِ وَذِكْرُ النِّسَاءِ وَيُعْجِبُ قَلْبِي لَذِيذُ الْغِنَاءِ
وَهَلْ لَذَّةُ الْعَيْشِ إِلَّا النِّسَاءُ وَحَسَنُ الْغِنَاءِ وَشُرْبُ الطَّلَاوِ
رَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

مَنَعَ الْحَيَاةَ مِنَ الرِّجَالِ وَنَقَعَهَا حَدَقَ تَقَلُّبَهَا النِّسَاءَ مِرَاضَ^(١)
وَكَأَنَّ أَفْتِدَةَ الرِّجَالِ إِذَا رَأَوْا حَدَقَ النِّسَاءَ لِمِثْلَهَا أَغْرَاضَ^(٢)
وَقَالَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيُّ :

أَحَبُّ ذَخِيرَةٍ وَأَحَبُّ عِلْقٍ إِلَى الْغَانِيَاتِ وَإِنَّ غَنِينَا^(٣)
وَكُلُّ بُكَاءٍ رُبْعٍ أَوْ مَشِيْبٍ نُبَكِّيهِ فَنُفِّسَ بِهِ غُنِينَا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

فَلَوْ أَنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَوْمًا وَوَلَّيْتُ الْحَسْكَومَةَ وَالْخِصَامَا
لَقَرَّتْ عَيْنٌ مِنْ يَهُوَى الْجَوَارِي وَعَاقَبْتُ الَّذِي يَهُوَى الْغُلَامَا
سَأَلْتُكَ أَيُّمَا أَحَبِّي حَدِيثًا وَأَطِيبُ حِينَ تَعَشَّقُهُ الْمَتْرَامَا
أَجَارِيَةٌ مُنْعَمَةٌ رَدَّاحٌ تَرِيدُكَ لِلْغَرَامِ بِهَا غَرَامَا^(٤)

(١) ونقعها : يروى : وطيبها . مراض : جمع مريضه ، وعين مريضة فيها فتور .

(٢) لمثلها : يروى : لئبها . أغراض جمع غرض : الهدف الذي يرمى إليه .

(٣) العلق : النفس من كل شيء .

(٤) الرداح : الضخمة العجز .

أرِ أَمْرًا مُشِينًا إِيَّائِي مِنْهُ لَه رُفْحٌ كَرُّنَحِكَ حِين قَامَا
يُرِيدُكَ لِلدَّرَاهِمِ لَا لِحُبِّ وَتِلْكَ تَذُوبٌ مِنْ كَلْبٍ سَقَامَا
وَأَنْشَدَنِي عَلِيُّ بْنُ الْعَبَّاسِ الرَّومِيُّ لِنَفْسِهِ :

نَيْبُكَ الْغَلِيَانُ مَا أَمَكَنَّكَ النَّسْوَانُ أَفْنُ
إِنَّمَا يَمْشِقُ فِي الظُّنْبِ إِذَا أُغْوِرَ بَطْنُ

وما رأيتنا أحدا من العرب المتقدمين ، والشعراء المتفضلين ، صمدوا^(١)
في أشعارهم إلى غير ذكر النساء ، ولا صدروا قصائد لهم إلا بالتشبيب بوصف
النساء ، هذا حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول :

يَا قَوْمِ هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْنِ وَالْعِظَامِ سَوْومِ^(٢)
شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالنِّيرَاشُ وَيَعْلُو هَا لَجَيْنٌ وَلَوْلُوٌّ مَنظُومِ^(٣)
لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رٌ عَلَيْهَا لَأَنْدَبْتَهَا الْكَلُومِ^(٤)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ينصب له منبرا في مسجده ، ويدعو
الناس إلى استماع شعره ، وهو يشبب قصائده بهذا وما أشبهه من ذكر
النساء ، وهذا كعب بن زهير ينشد للنبي صلى الله عليه وسلم في مسجده :

بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَقْبُولٌ مَتِيمٌ عِنْدَهَا لَمْ يُفَدَّ مَعْلُولٌ^(٥)

(١) صمد : قصد

(٢) واهن البطن والعظام : ضعيفا ، ويروى بدل البطن : البطن . سؤوم : ملول .

(٣) شأنها : يروى : همها . اللجين : الفضة .

(٤) يقول : لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ، وليس

المراد بالحولي ههنا ما أتى عليه حول وإنما جعله في صغره كالحولي من ولد الخافر والخنف ،
وأندبتها : أثرت فيها ، من الندب وهو أثر الجرح . والكالوم : الجراحات

(٥) بانء : فارقت . مقبول : أصيب بقبل ، وتبيله الحب : أسقمه . المتيم : المعبد

المدلل الذي استولى عليه الهوى فأذله ، مكبول : محتبس عندها ، والسكريل : القيد .

أَكْرَمُ بِهَا خَلْقًا لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ مَوْعِدَهَا وَلَوْ أَنَّ التَّمْصِغَ مَقْبُولٌ

ويصح النبي صلى الله عليه وسلم في قصيدته هذه ، فيقول فيها :
 إن الرسول لنور يستضاء به ^(١) وصارم عن سيوف الله مألون ^(٢)

والنبي صلى الله عليه وسلم يوصى إلى الناس في سجده أن اسمعوا شعره ،
 ولو كان ذكراً النساء في الشعر منكراً لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى
 من أنكره ، ولو كان ذكر غير النساء أولى بالتقدمة في الشعر من ذكرهن
 لكان النبي صلى الله عليه وسلم أولى من أمر بذلك واستتبعه ، ولو كان
 أيضاً في الشعر ذكر النساء من الرفث والفيحش والحنا ، لكان ما قيل في رسول
 الله من المديح أحق بأن يسقط منه ذكر القبيح : كما أسقط ذكر الذكورة ،
 ووصف تعشقمهم من هذه الأشعار ومن نظائرهما من مديح ذوى الأخطار ،
 وما وجدت ذلك في شيء من أشعار المتقدمين ، وإنما عرف الآن في شعر
 المحدثين . وأين ظرف النساء وحسنهن من غيرهن ، وأين ملاحاة سلامهن ،
 وحلاوة كلامهن ، ومستحسن مداعبتن ، ومحبوب معاتبتن ، ومليح
 مراسلتن ، لا سيما إن ^(٣) شبن هو هن بالغيرة على محبتن ، والتدليل على
 متعشقمين ، وصددن من غير زلل ، وهجرن من غير ملل ، وهن والله في
 كل أحوالهن القاتلات بأفعالهن ، وصالحن نخلن ، وصدهن قتلن ، وهن
 المالكات للقلوب ، الساليات للعقول ، إذا خلون مزحن ، وإن ظهرن
 نظرن فقتلن بلا حظ عيونهن ، وصرعن بكسر جفونهن ، وأخيين بقولهن
 الكاذب ، ووعدهن الخائب ، فلا شيء أحسن من مطمئن ، ولا ألد من

(١) الصارم : أن سيف القاطع .

(٢) شاب الشيء : خلطه .

خُلف وِعدهن ، وقد استُمدت الشراذم من ذلك منهن ، وِعدهن في كثير
من الأشعار فيهن .

أخبرني أحمد بن يحيى ، عن الزبير بن بكار ، عن سليمان بن عبيد السعدي ،
عن أبيه عن جده . قال : حدثني السائب راوية كثير ، قال : كان كثير رجلا
مذبوبا^(١) لا يستقر في مكان ، فقال لي ذات يوم : اذهب بنا إلى ابن أبي عمير
نتحدث عنده ، فأتيناه ، فاستنشد ابن أبي عمير كثيرا فأنشده :

أبائنا سَعْدِي ، نَعَمُ سَعْدِي كما أنبت من جبل القرين قرين
أَنْ زَمَّ أجمالَ وفارقَ جيرة وصاح غراب اليبس أنت حزين
كأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ ولم تَرَ قَبْلِهَا تفرق آلاف من حنين
حَتَّى إلى الألفين وقد بدا لمن من الشك الفساد يقين
حتى إذا بلغ إلى قوله :

فأخلفن ميعادي وسخن أمانتي وليس بين نجان الأمانة دين
فقال ابن أبي عمير : أو على الدين يحتمن يا ابن أبي جعدة ، ذلك أملح
لمن وأدعى للقلوب اليهن ؛ عبيد الله بن قيس الرقيات أشعر منك ،
حيث يقول :

حَسْبُنا الإِدلالُ والنمِج والتي في طرفها دَعِج
والتي إن حَدَّثتْ كَذَبتْ والتي في وصلها خَلِج
وترى في البَيْتِ صورَها مثل ما في البَيْعَةِ السُّرِج
خَبْرُونِي هل على رَجَلٍ عاشقٍ في قَبْلةِ حَرَجِ ؟

(١) مذبوب : كثير الحركة .

فقال : لا إن شاء الله ، وانصرف .

وقال القطامي ، يستحسن ذلك من أفعالهن ، ويصف ملاحظة اعتلالهن :

وأرى النوائى إنما هى جنة شيمه الرياح تلوّن الألو كأناً^(١)
وإذا حلفن فهن أكذب حالف حلفاً وأملح كاذب أيماناً^(٢)

وقد أحسن محمود الوراق حيث يقول :

اصطَبِحَ كَأْسَ شَرَابٍ وَأَغْتَبِقُ كَأْسَ تَصَابِي^(٣)
وَأَجْعَلِ أَيَّامَ قَسَمًا بَيْنَ عَتَبٍ وَعِنَابِ
وَوَصِّـالٍ وَاهْتِجَارٍ وَبِعَادٍ وَأَقْتِرَابِ
وَأَجْتِنَابِ فِي دُنُوٍّ وَدُنُوٍّ فِي اجْتِنَابِ
وَرَسُولٍ بِكِتَابٍ وَاتْتِظَارِ لِجَوَابِ
وَقُسُوعِ مِنْ حَبِيبٍ بِالْمَوَاعِيدِ السِّكِّدَابِ
لَيْسَ فِي الْحُبِّ وَلَا الصَّبْوَةِ حَظٌّ لِلصَّوَابِ
وقال بعض المحدثين^(٤) :

لَيْسَ يُسْتَحْسِنُ فِي حُكْمِ الْهَوَىٰ عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيفَ الْحُجَّجِ
بُنَى الْحُبِّ عَلَى الْجَوْرِ قَلْوٌ أَنْصَفَ الْمَعشُوقُ فِيهِ لَسْمُجٌ
وقال آخر وأحسن في قوله :

(١) الغوائى : النساء ، والغائية : المتزوجة ، ثم قيل لكل شابة : غائية .

(٢) يروى بديوانه :

وإذا وعندن فهن أكثر واعدن حلفاً وأملح حانك أيماناً

(٣) اغتبق : شرب بالعشى .

(٤) عليّة بنت المهدي ،

ألا إنسى راضياً بما سَكَمْتُ بِهِ
وإن كان لي فيد البليّة والقَتْلُ
فكُفِّرْ راعِي العَدْلَ فِيهَا فَيَأْتِي
رَأَيْتُ الهَوَى فِيهَا يُجَدِّدُهُ العَدْلُ
وما كان جنتها لبَدَلٍ رَجَوْتَهُ
لَدَيْهَا فَأَخْشَى أَنْ يُغَيِّرَهُ البُخْلُ
ومن ذلك قول جميل بن ميمر العُدْرِيّ :

ولستُ على بَدَلِ الصُّفَاءِ هَوِيْتُهَا
ولكن سَبَبْتَنِي بِاللِّدَالِ مَعَ البُخْلِ
وقال أيضا :

وَيَقْلَنَ أَنْكَ يَا بُيْتِي بَحِيلَةٌ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ ضَنْبِي بِاخِلِ
ويَقْلَنَ أَنْكَ قَدِ رَضَيْتَ بِبَاطِلِ
مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اعْتِزَالِ البَاطِلِ
وَلِبَاطِلٍ مِمَّنْ أُنْدُ وَأَشْتَهِي
أَذَى إِلَيَّ مِنَ البَغِيضِ البَاطِلِ

ودخلت عزة على هشام بن عبد الملك بن مروان ، فقال : يا عزة أتعرفين
قول كثير :

وقد زعمت أنني تغيّرتُ بعدها
تَغْيِيرَ جِسْمِي وَالخَلِيقَةَ كَالَّذِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَا عَزَّ لَا يَتَغَيَّرُ
عَبَدْتِ وَمَنْ يُخْبِرُ بِسِرِّكَ مُخْبِرٌ ؟
فقلت ما أعرف هذا ، والسكتي أعرف قوله :

كَأَنِّي أَنَا حِي صَخْرَةٌ حِينَ أُعْرِضْتُ
مِنَ الصَّمِّ لَوْ يَمُوتُ بِهَا العُصْمُ زَانِتُ
صَفْوَحٌ فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ
فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الوَاصِلُ مَلَّتِ
وأنشدني أحمد بن عبيد لرفاعة الفقعسيّ :

ألم تَعْلَمَا أَمْ لَا وَكُلُّ بَلِيَّةٍ
مِنَ الدَّهْرِ يَفْنَى بِوَسْمِهَا وَنَعِيمِهَا
وَلَمْ تَجِدَا بَلَجَاءَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ
وَإِنْ أَيْسَرْتَ وَاحْتَاجَ يَوْمًا غَرِيمِهَا
وأنشدني محمد بن يزيد لكثير عزة :

وكم من خليل قال لي هل سألتها
وأبوءه نيلاً وأسرفه قبي
فقلت نعم ليلى أخص خليل
وبين سئلت نيلاً فشر منيلى
وأشددني أحمد بن يحيى جميل بن مضر العذري :

وهجرتك من تيماء بلاء وشقوة
عليك مع الشوق الذي لا يفارق
ألا إنها ليست تجود لذي الهوى
بل البخل منها شيمة وخلاتق
وأشددني ابن أبي خيثمة لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :
وزادك إغراء بها طول تخلمها
عليك وأعرى لحم أعظامك اللهم
ومثله قول الأحوص بن محمد الأنصاري :

وزادني كلفاً بالحب أن منعت
أحب شيء إلى الإنسان ما منعت^(١)
كم من دني لها قد كنت أتبعه
ولو صحا القلب عنها كان لي تبعاً
وقال جرير يذكر طول المطل والخلف :

وإذا وعدتك ناهلاً أخلفته
وإذا طلبت لويين كل غريم^(٢)
يرمين من خلل الشثور بأعين
فيها السقام وبرق كل سقيم
وقال أيضاً :

أعمر الغواني ما جزين صبا بي
رأيت الغواني مولعت بذي الهوى
هن ولا يجين نسج القصائد^(٣)
بطول المنى والخلف عند المواعد
وقال أيضاً :

ألم ترني بذلت لمن ودي
وكذبت الوشاة لها جزينا

(١) أكلف به : أحبه حباً شديداً وأولع به .
(٢) لوى فلانا دينه وبدينه : مظه ، ولوى بجمه : جحده إياه .
(٢) يجين : تروي ، تحبير ، أي تحسين وتزيين .

إذا ما قلتُ جازَ لنا التقاضي
بِحِجَانِ بَعَابِيسِ وَمَطْلَنِ دَيْنَا
وقال أيضا :

يقان إذا ما حلَّ دَيْنُكَ عِنْدَنَا
لَكَ الْخَيْرُ لَا نَقْضِيكَ إِلَّا نَسِيئَةً
وقال أيضا :

وإذا وَعَدْنَاكَ نَائِلًا أَخْلَفْنَا
إِنَّ الْغَوَانِيَّ قَدْ قَطَعْنَ مَوَدَّتِي
وقال كعب بن زهير :

كانت مواعيدُ عُرُقُوبٍ هَا مِثْلًا
فَلَا يَفْرُنُكَ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ
وقال نصيب :

أَلَلْبَيْنِ يَا لَيْلَى جَمَالَكَ تُرْحَلُ
تَعَلَّمْنَا بِالْوَعْدِ لَيْلَى وَتَنَشَى
وقال كثير :

وإني لأرضى من نوالِكِ بالذي
بِئَى وَبَأَن لَّا أُسْتَطِيعَ وَبِالْمُنَى
وقال آخر :

يَا رَبُّ خُذْ لِي مِنَ الْمِلَاحِ فَقَدْ
هَجَنَ لِقَلْبِي مِنَ الْهَوَى خَبِيلاً

(١) النسبة : التأخير . العرض : المتاع وكل شيء سوى الدرهم والدنانير ، و عرض الشيء : أعطاه إياه مكان حقه
(٢) البرق الخلب : الذي يكون في سحاب لا مطر فيه فكأنه يمدح .

مِنَ الْفُلُوكِ يَقَانُ لَنْ وَنَعَمَ وَهَذَا وَحْتَى وَقَدْ وَسَوَفَ وَلَا
والذي جاء في ذلك كثير ، يطول شرحه ويُعَيِّ وَصْنُهُ ، وقد مضى من
الفصل ما فيه كفاية لذوى العقول ، وقد أفردنا كتاب القيان لِذَمِّ عَظْمِ
القيان ، فأغنى ما في ذلك الكتاب عن تكثير هذا الباب ، فأعرفه إن
شاء الله .

واعلم أنَّ الهوى والحبَّ والبخل والعشق والغزل ، يحسن بأهل النعمة
واليسار ، ويُزري بأهل الإملاق والإقتار ، ولسنا نقول إنه محرَّم على
هؤلاء لإعسارهم ، ولا محلل لأولئك ليسارهم ، وليس بالفنى ما يدخل أهل
الجهالة في الوصف ، ولا بالفقر ما يُخرج أهل الأدب من الظرف ، وقد
قال بعض الشعراء

قَدْ يَدْرِكُ الشَّرْفَ الْفَتَى وَرِدَاؤُهُ خَلَقُ وَجَيْبِ قَمِيصِهِ مَرْقُوعُ
وليس أسباب الهوى مبيِّنة عن اليسار والهمة والغنا ، والبذل والعطاء ،
والنفقات الغزيرة ، وَالصَّلَاتُ الْكَثِيرَةُ ، وَالْهَيَاتُ الْهَنْئِيَّةُ ، وَالْهَدَايَا السَّرِيَّةُ ؛
وَالْمَخْتَلُّ الْمَعْدِمُ ، وَالْمَقِلُّ الْمَعْسِرُ ، لا حيلة له في ذلك ، فمن تعرض للهوى ،
وَمَالَ إِلَى النَّسْبِ ، لم يحسن ذلك به لإفلاسه ، وَقَلَّةُ ذَاتِ يَدِهِ وَإِقْلَالُهُ ،
وَمَا هَلْكَ أَمْرُهُ وَعَرَفَ قَدْرَهُ ، وَأَجْهَلَ النَّاسِ مَنْ عَدَا طَوْرَهُ ؛ وَقَدْ قَالَ بَعْضُ
السُّخْفَاءِ يَعِيبُ بِجَهْلِهِ عَلَى الظَّرْفَاءِ : أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَكُونُ لِفَقِيرٍ ظَرْفٌ ،
وَلَا يُرْفَعُ إِلَيْهِ ظَرْفٌ ، وَلَا يَقَعُ عَلَيْهِ وَصْفٌ ، وَالْفَقِيرُ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ،
وَالغنى محبَّب إلى كل إنسان ، وأنشد قول عروة بن الورد :

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ
وَأَحْقَرُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنِ أَمْسَى لَهُ كَرَمٌ وَخَيْرٌ

يُبَاعِثُهُ الدُّنْيُ وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيُنْمِرُهُ الصَّغِيرُ
وقد أخطأ العائب لهم في مقاله ، وتكسب في حيرته وضلاله ، لأن
عروة لم يذهب إلى ثلب الأدباء ، ولا إلى تمنييف الظرفاء ، وإنما عنف على
طول الإهمال ، وحث على تكسب الأمرار ، وهذا مثل قول الآخر :
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَالَ قَدْ يَجْعَلُ الْفَتَى نَسِيبًا وَإِنَّ الْفَقْرَ بِالْحُرِّ قَدْ يُزْرِى
وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الدُّنْيَا كَالْغِنَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الْكُرْبَةَ كَالْفَقْرَ
ومثل ذلك قول الآخر :

الْفَقْرُ يُزْرِى بِأَقْوَامٍ ذَوَى حَسَبٍ وَقَدْ يُسْوِدُ غَيْرَ السَّيِّدِ الْمَالُ
وكقول الآخر :

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صرَّتْ إِلَى الْغِنَى وَكُلُّ غَنِيٍّ فِي الْغِيُونِ جَلِيلٌ
إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرَةِ حَوَّلَتْ إِلَيْهِ وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ تَمِيلُ
فهؤلاء لم يذهبوا إلى تفنيد المتظرفين ، ولا الطعن على المتفئنين ، وكيف
والتظرف بهم أليق ، ورسمة الظرف عليهم أصدق ، وهذا الباب قد ذكرته على جملته
في كتاب نظام التاج ، في صفة الأنوك^(١) المرزوق والظريف المحتاج ، وجعلنا
جملة ما مر في كتابنا نصفه بيننا وبين من زعم أن الأمر ليس كذلك ، والذي
زعم أنه لا يكون للفقير ظرف ، قد تجاوز في الجهالة والسخف ، بلى إن
الظرف بذى التقليل ملبح ، وليكن الهوى والعشق بهم قبيح ، وذلك أن الفقير
إن طلب لم ينل ، وإن رام بلوغاً لم يصل ، وإن استوصل لم يوصل ، فهو
كمد القلب ، عازب^(٢) اللب ، حزين النفس ، ميت الحس ، ذاهل العقل ،

(١) الأنوك : الأحمق ، والعاجز الجاهل .

(٢) عازب : غائب .

بعيد الوصل ، فتركه المتمرض لئلا يقدر على بلوغ إقامته ، أوكل من تلبسه
بما يزيد في اغتمامه ، وقد يجوز أن يكون ظرفاً بغير عشق ، كما كان عاشقاً
بغير عشق ، لأنه لا يهيب الإقامة حدود العشق ، والظرف بإيافته ونظافته ، وتخلقه
وتعلقه ، ومداراته ومساعدته ، ولا يتهيباً له القيام بحدود العشق ، إذ لا مال له
فيعينه على هوانه ، ولا مقدرة له فتبلفه رضاه ، وإن أبلى من يستهينه ويستكسبه ،
ويطالب بره . ويريد فضله ، وهو لا يقدر على ذلك ، فهي العظيمة الكبرى ،
والمصيبة العظمى ، والحسرة التي تبقى ، والسكمد الذي لا يفنى ، فليتحرز
الأديب من الهوى قبل وقوعه في العطب ، وليتخلف منه قبل طلبه التخلص
من شركه ، فلا يقدر على الهرب ، وقيل من رأيت وقع في هوى فتعجا من علم ،
أو أمكنه التخلص من حبله ، ولن يقدر على التخلص من الهوى بعد الوقوع
في درك البلا إلا مالك نعليه ، مانع لغربه^(١) ، حازم في فعله ، جامع لعقله ،
فان الأديب إذا كان بهذه الصفة ، ورأى آيات اللل ، وعلامات الزلل ،
وأمارات الغدر ، ودلالات الهجر ، بادر فريسته ، وتخلص مهجته . وزجر
قلبه ، وصرف حبه . ولم يتم على طول الخفاء . ولم يعرض نفسه لضول
البلاء . ولم يستعبد بها بالتذلل ، والخشوع والتضرع ، ولسكنه يصر فها صرف
مقتدر عيوف^(٢) ، ويمنعها منع مالك عزوف^(٣) ، وقد شرحت لك ما قيل
في المصارمة^(٤) باباً لتقف عليه ، ويبين لك صحة ما فيه ، إن شاء الله
ولا قوة إلا بالله.

(١) الغرب : الدمع .

(٢) عاف الشيء : كرهه فتركه .

(٣) العزوف : انزى لا يكاد يثبت على مودة خليل .

(٤) صارمه : فاطمه .

٢١ - باب ما جاء في مصارمة قرون الذر

والمبادرة عند الملل والشجر

اعلم أن صبرَ المحب على شجر الحبيب ، تجرُّته للنصص والتعذيب ،
ومسألجة الزفير والنحيب ، وتقلُّب القلب لفرق الوجيب ، من العجز
الظاهر ، والموت الحاضر ، والمبادرة بالانصراف ، بعد تغير الألاف ، من
الحزم المكين ، والرأي الرصين . وإن من أحسن ما قيل في المصارمة
قول زهير بن أبي سلمى ، حيث يقول :

ألا تقوم للصبي إذ يقودني ولو ضل من أسماء إذا طال به
فليتك قأليني فلا وصل بيننا كذلك من يستغن يستغن صاحبه

ومما يتعلق بهذا قول المتلمس :

فإن تقبلي بالودُّ تقبلٍ بمثله وإلا فإننا نحن أنامى وأشمس^(١)
ومثله قول نافع بن خليفة :

بآية ما قالت غنيتٍ بغيرنا ونحن سمعنا عنك مثلاً وانصرف^(٢)
وقال آخر :

فإن تقبلي بالودُّ تقبلٍ بمثله وإن تدبري أدبري إلى حالٍ باليسا
ألم تعلى أنى قليلٍ ليماتي إذا لم يكن شيءٌ لشيءٍ مؤاتياً^(٣)
وقال آخر :

فإن تقبلي بالودُّ تقبلٍ بمثله وإن تؤذينا بالصريمة انصرم

(١) الشمس ، الامتناع ، ومنه شمس الدابة وهو ألا تمكن من الاسراج والالجام .

(٢) صدف : ارتد وانصرف .

(٣) البائة : الحاجة التي يهيم الانسان قضاؤها .

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة :

سَلَامٌ عَلَيْهَا مَا أَحْبَبْتُ سَلَامَنَا وَإِنْ كَرِهْتَهُ فَالسَّلَامُ عَلَيَّ الْآخَرَى
ومثله قول الآخر :

وَكَانَتْ إِذَا خَلِيلٌ رَامَ صَرْمِي وَجَدْتُ لَدَى مَنْفَسِحَاكَ عَرِيضًا
وأجاد أبو ذؤيب الهذلي حيث يقول :

فَإِنْ وَصَلَتْ حَبْلَ الصَّفَاءِ فِدْمٌ لَهَا وَإِنْ صَرِمَتْهُ فَانصَرَفْ عَنِ نَحْوِهَا
ومثله قول إبراهيم بن العباس :

بِقَلْبِي مِنْ هَوَى الْبَيْضِ انصَرَافٌ وَتُعْجِبُنِي مِنَ الْبَيْضِ الْقِيَصَافُ^(١)
فَإِنْ أَنْصَفَنَ فِي وُدِّي وَإِلَّا فَلَيْسَ عَلَيَّ مِنْ تَلْبِي خِلَافٌ

وقد أحسن النسي يقول :

كَمْ مِنْ أَخِي ثِقَةٍ قَدْ كُنْتُ آمِلُهُ هَبَّتْ عَلَيْهِ رِيحُ الْغَدْرِ فَاثْتَقَضَا
أَهْمَلْتُهُ حِينَ لَمْ أَمْلِكْ صِيَانَتَهُ ثُمَّ انْقَبَضَتْ بُودِي مِثْلَ مَا انْقَبَضَا
وَقَلْتُ لِلنَّفْسِ عُدِّيهِ قَيَّ نَزَحَتْ بِهِ النَّوَى أَوْ مِنَ الْقَرَضِ الَّذِي انْقَرَضَا
فَمَا بَكَيْتُ عَلَيْهِ حِينَ فَارَقَنِي وَلَا وَجَدْتُ لَهُ بَيْنَ الْحِشَا مَضَضَا^(٢)

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أَمْ يَطْلِي الْهَوَى إِنْ شِئْتَ عَنِّي فَانْقَضِي عُمُودَ الْهَوَى وَاسْتَرْزِقِي اللَّهَ فِي سِتْرِي
فَلَوْ كُنْتُ لِي عَيْنًا إِذَا لَفَقَاتُهَا وَلَوْ كُنْتُ لِي أُذُنًا رَمَيْتُكَ بِالْوَقْرِ^(٣)

(١) قصف : نحف ودق .

(٢) المنقض : وجع المصيبة .

(٣) الوقر : ثقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله ،

ولو كنت لي قلباً نزعتك من صدري
يخون سوي الأعراض والصد والهجر
فوالله ما أمسيت رمي على أمر

ولم أر فيكم من يقيم على العهد
فبعد اختيار كان في وصلكم زهدى
تجر عنى المكروه من غصص الحقد
وتأبون إلا أن تجوروا عن القصد
إذا انصرفت نفسى فهميات من ردى
كنبوتكم عنى فى السحق والبعد^(١)
لأعلم أن الضد ينبو عن الضد
تدلون إذلال المقيم على العهد
وإلا فصدوا وافعلوا فعل ذى الصد^(٢)
وها أنا ذا فيكم نذير لئن بعدي
مضت سلفاً في غير أجر ولا تحم^(٣)

سأ قضى حياتي قبل هجرانه وجداً

ولو كنت لي سكفاً إذا لقطتمها
سألتك هل للناقض العهد والذى
فإن شئت فأقلبنى وإن شئت فأعزى

ولقد أحسن الخليع حين يقول :
هو يتكم جهدى وزدت على الجهد
فإن أمس فيكم زاهداً بعد رغبة
لعمري لقد أغضيت فيكم على التى
تأينتكم بقيقاً الصديق لتقصيدوا
تعزوا بيأس عن هواى فإنى
أبى القلب إلا نبوة عن جميعكم
أرى الغدر ضداً للوفاء وإنسى
إذا خنتم بالغيب عهدى فما لكم
صلوا فافعلوا ففعل المدل بوصله
فدكم من نذير كان لي قبل فيكم
فوا أسفاً من صبوة ضاع شكرها

وأنشدنى بعض المحذنين :

هجرت حبيبها كنت أحسب أنسى

(١) نبا الشئ : بعد وتأخر عن مكانه . السحق : البعد .

(٢) صد عنه : أعرض ومال .

(٣) صبا إليه صبوة : حن إليه .

وذلك أني كنتُ صبياً بحبه
فقا بآبي من قلة الحفظ للوقا
فقلت لقا بي بالملامة فاضطرب
فطاوعني قلبي فبتت مسلماً
أجاوزُ للإفراط في حبه الحدأ
بأن خانني وُدِّي ولم يرع لي عهداً
ورم سلوة تلقى بساوتك الرشدأ
أفتش عن وُدِّي فلا أجدُ الوُدأ

وأشده أبو الطيب لنفسه في مثل ذلك :

عَبَبْتُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْلَ لَيْسَ بِنَافِعِي
زَجَرْتُ فُرَادَى زَجْرَةً عَنْ هَوَاكُمْ
أَفِيقَ كَسَمٍ يَكُونُ الْهَجْرُ مِمَّنْ تَحِبُّهُ
وَصَبْرُكَ لَوْ تَدْرِي عَلَى الْهَجْرِ سَاعَةٌ
تَعَزَّ فَإِنَّ الْغَدْرَ مِنْهُ سَجِيَةٌ
تَعَزَّ فَإِنَّ الْيَأْسَ يَذْهَبُ بِالْهَوَى
تَعَزَّ وَدَاوِ الْقَلْبَ مِنْكَ بِهَجْرِهِ
فَطَاوَعَنِي قَلْبِي فَبِتُّ أَرَى الْهَوَى
وَأَصْبَحَ قَلْبِي فَارِغًا مِنْ هَوَاكُمْ
وَأَضْحَى وَمَا فِيهِ مِنَ الْحَبِّ وَالْهَوَى

ولقد أحسن الذي يقول :

وَدِدْتُكَ لَمَّا كَانَ وَدُّكَ خَالِصًا
وَأَعْرَضْتَ لَمَّا صَارَ نَهْبًا مُتَمَسِّمًا

(١) التعذال : الملامة .

(٢) الغلة : العطش الشديد .

ولن يلبث الخوض الوثيق بناؤه
على كثرة الوراد أن يتمدها
وقال آخر :

لا أشتهى رنق الحياض ولا التي
ولا أشتهى إلا مشارب أحرزت
وأشدني أحمد بن يحيى :

وإني لأستحي من الله أن أرى
وأشرب رنقا منك بعد مودة
وإني للماء المخاط للقدى
ومثله قول الأخر :

لقد زعمت ريبك أنك غدير
وأنتك للشرب الغداة عيوف
لقد كذبت ما إن أعيج بمشرب
أجاج ومالي في الوصال رديف^(١)

وأخبرني أحمد بن يحيى ، عن الزبير بن بكار : قال : كان نصيب يأتي خلة^(٢)
له بالأبواء ، وكان إذا أتاها رحبت به أمها وأكرمه ، وفرشت له إلى جنب
ابنتها ، فجاء يوما وعندها فتى أصفر كأنه مسر ، يتولج^(٣) عليهم بيثهم بغير
إذن ، ويختلط بهم اختلاطا يكرهه نصيب ، فوثب إلى رحله فشدّه على راحلته ،
فعلقت به الجارية وقالت : ألا تبوء عندنا يا أبا محجن كعادتك ؟ فقال :

أراك طموح العين طارفة الهوى
لهذا وهذا منك ود مؤالف

(١) رنق الماء : كندر .

(٢) عاج بالشئ ، : عبا به ، يقال ما عجت بالشئ ، أي مارضيت به ، أجم الماء : صار
أجاجا ، أي ما عا مرا .

(٣) الخلة : الصداقة والصديق ، والروجة .

(٤) يتولج : يدخل .

فَإِنْ تَحْمِلِي رِدْفَيْنِ لَأَكُ مِنْهُمَا شَيْئِي بِفَرْدٍ إِنِّي لَأُرَادِفُ

وأنشدني إبراهيم بن محمد النحوي لنفسه :

يَا مَنْ تَوَهَّمْتُ أَنَّنَا يَهْوَاهُ وَتَذُوبُ شَوْقًا إِنْ نَأَى مَهْوَاهُ

كَذَبْتُكَ نَفْسُكَ فِي بَعَادِكَ رَاحَةٌ إِذْ كُنْتَ مَنَّ مُهْجِي تَسْلَاهُ

لَا يَجْمَعُ الْقَلْبُ الْقَرِيحُ صِبَابَةٌ وَتَأْذِيًا مِنْهُ بَيْنَ يَهْوَاهُ

لَكِنْ إِذَا حَلَّ الْأَذَى صَرَفَ الْهَوَى فَانزاح عن قلب المحب هَوَاهُ

ومثل ذلك قول أسماء بن خارجة الفراري :

خُدِي الْعَفْوَ مَنِّي تَسْتَدِي مَوْدِي وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضَبُ

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحَبُّ يَنْهَبُ

ومثله قول الآخر :

وَصَلَّتْكَ لَمَّا أَنْ رَأَيْتُكَ وَاصِلًا وَبَاعَدْتُ حَبْلَ الْوَصْلِ لَمَّا بَدَا لِكَا

تَوَهَّمْتُ مِنْكَ الْحِفْظَ وَالرَّغْبَى لِلْهَوَى يَكُونُ فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ فَعَالَكَا

زَجَرْتُ فَوَادِي وَاجْتَنَبْتُكَ بَعْدَ مَا رَأَيْتُ وَنَحَيْتُ الْهَوَى عَنْ أَنْائِكَا

فَإِنْ قَالَ قَوْمٌ إِنَّ فِي النَّاسِ عَاشِقًا سَلَا سُرْعَةً يَوْمًا فَإِنِّي ذَالِكَا

وأنشدني غيره أيضا :

فَنَحَيْتُكُمْ صَفْوَ الْمَوْدَةِ وَالْهَوَى وَأَفْرَطْتُ حَتَّى جُرْتُ فِي ذَلِكَ الْبَحْدَا

وَأَعْطَيْتُكُمْ مَنِّي الْقِيَادَ وَلَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيهِ مَنْ أَهْوَى وَلَوْ شَفَّنِي وَجْدَا

فَقَابَلْتُمُونِي ضِدًّا مَا قَدْ مَنَجْتُمْ وَمَا كَانَ حَقِّي أَنْ أَقَابِلَهُ ضِدًّا

(١) العفو: خيار الشيء، وأطيبه، ومن المال: ما يفضل عن النفقة ولا يسر على صاحبه في إعطائه، وأعطاه المال عفواً أى بغير مسألة. السورة: الثورة والوثبة.

فقد نلت مما كان مني من الهوى
فإن شئت جئتوا الوصال من الهوى
فإنى برى لا ذكرت مودة
وأشددنى أيضا لنفسه :

مَنْ سَأَلَ عَنْكَ فَاسْأَلْهُ
لَا تَقُولَنَّ لَمْ وَكَمْ
فَالعَسَى يَعْقِدُ الهوى
كُلُّ حُبٍّ إِذَا انْقَضَى

وأشددنى أبو عبد الله بن مسرف لنفسه :

أُذُنٌ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ يَدُنْ شِبْرًا
وَإِذَا مَا نَأَى ذِرَاعًا فِرْدَهُ
سَمٌّ لَا تَطْمَئِنُّ يَوْمًا عَلَيْهِ
بِعُيُوبٍ وَإِنْ شَنَّاكَ سَمَاعًا

وهذا الباب على كثيرته ، واتسع القول في صحته ، يعز على الأديب فعله ،
ويمنعه من اتيانه شغله . لأنه لا يقدر أحد على التخلص من الهوى بعد الوقوع
في شركه ، وإشرافه على مهول هيلسه ، إلا بعد هم دخيل ، وسقم طويل ،
وفكر قاتل ، وشغل شاغل . فتحرز ذوى النهى من الهوى بالنزوع ، أولى من
إعمال الحيلة في طلب التخلص والرجوع .

واعلم أنه لا يصلح العشق إلا لأربعة : لذوى مروية ظاهرة ، أو زى
ظاهرة ، أو ذى مال واسع ، أو ذى أدب بارع ، ويقبح ممن سواهم ، لأن

(١) الباع : قدر مد اليمين .

الفقير إذا تعدى طوره ، ورام أن يحاوز قدره ، قبح ذلك به ، كما أنه يقبح
بنى الفنى ترك التعرض لأسباب الهوى ، وذلك لصغر نفسه الدنية ،
وسقوط همته الرديئة . لا يمنع من طلبه قلة ذات يده ، ولا تعدر الجدد ، بل
فساد الطبع ، وعدم الحاسة ، وموت الذات .

وبعد فإن كتبنا في تقدمنا في عرض خطابنا ، وفصول كتابنا ، بإباحة العشق
والهوى ، ودعونا إليه الأدباء ، وحثنا عليه الظرفاء ، وملانا بذلك كتابنا ،
فإننا نفرد للنصيحة فيه بابا يميل إليه أهل التدبير ، وأهل المعرفة والتبحر ،
ويرغب فيه العاقل ، ويزهد فيه الجاهل ، لأنى لم أخله من كلام منشور ، وشعر
مشهور ، فقف على ما أصلت^(١) بين لك ما فرعت ، إن شاء الله .

٢٢ - باب النهى عن الهوى

والتعرض لأسباب الضنى

اعلم أنه يقبح بالرجل الأديب ، والعاقل اللبيب ، أن يستخذي في هواه ،
ويملك قلبه سواه ، ويكون خادِم قلبه ، وأسير حبه ، لاسيما مع تغير الزمان ،
وغدر الأحاب والخلان ، ما يجد فيهم خليلا صادقا ، ولا يصاحب إلا ما ذاق^(٢) ،
ثم أن أجمل الجمالة ، وأضل الضلالة ، صبر الفتى الأديب على غدر الحبيب ،
فإن الصبر على الخيانة والغدر ، يضع من المروءة والقدر ، وقد قال بعض
الشعراء فأحسن :

وإني وإن حنت إليكم ضمائرِي فما قدرحتي أن يذل له قدرِي
فلا ينبغي لأحد أن يذل لهواه ، فيشتمت بنفسه أعداءه ، ولا يركن إلى

(١) أصله : بين أصله أو أصلته .

(٢) الماذاق : الذى لم يخلص الود .

واحدة من النساء الحرائر والاماء ، فكلمهن في الغدر سواء ، وما لواحدة
منهن عهد ولا وفاء ، ولقد أحسن عبيد الله بن عبيد الله بن طاهر
حيث يقول :

ألا أيها القومُ المحبونُ وَيَحْكُمُ تعزُّوا عن الأحبابِ واحتسبوا الأجرَا
فما واحدٌ منهم يوفِّي لواحدٍ وصاحِبِي تجزِي وفأني لها غدرَا
فلو كنتُ من صخرٍ لما كنتُ صابراً وما أنا من صخرٍ وما أتركُ الصبرَا

وقد بلغنا أن بعض بلاد الهند قوما لا يعشقون ، ويرونه ضربا من
السحر والجنون ، وذلك من فيهم الفلسفة ، ولهم الحكمة والتجربة .

وزعموا أن سبب العشق سبب النوى ، وفيه المدلّة والعناء ، ومنه يكون
السقم والظنى ، وأكثر من في النساء وفاء . أسرعن خيانة وجفاء ،
وأعطاهن حلما وإمانا ، أسرعن حُبشا وسلاوانا ، فيأرحمن للأدباء ، وشفقتي
على الظرفاء ، فما أطولَ بلاهم ، وأكثرَ سقاءهم ، وأسخنَ عُيونهم ، يبتلى
العزيرُ منهم بالذليلة ، والكثيرُ منهم بالقليلة ، والشريفُ بالدينية ، والنبيلُ
بالزرية ، فيطول في عشقها سهره . ويكثر في أمورها فكره ، وتنهل عليها
إذا نأت دمرعه ، ويطول لديها إذا قربت خضوعه ، وهي تُظهِر له المحبة ،
وتُبدى له الرغبة ، وتحلف بالآيمان المُحرّجات ، والعهودِ الموكّدات ، انه
حظها من الآدميين ، وشغلها دون سائر العالمين ، وتُريه الجرع عند الفراق ،
والفرح عند التلاقي ، فتملأ قلبه هُما ، وتورثه ضنى وسقا ، وهي تكاتب
سواه ، ولا تنهأ بهواه ، لها في كل زاوية ربيط ، وفي كل محلة خليط ، لم
يَعْدَهَا قول الشاعر :

فِيَا مَنْ لَيْسَ يُقْنِعُهَا حُبُّ وَلَا أَلْفًا حَبُّ كُلِّ عَامٍ
 أَظُنُّكَ مِنْ بَقِيَّةِ قَوْمِ مُوسَى فَهَيْمٌ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامِ
 أَتَيْتُ فَوَادِهَا أَشْكُو إِلَيْهِ فَلَمْ أَخْلُصْ إِلَيْهِ مِنَ الرَّحَامِ
 وَلَا قَوْلَ الَّذِي أَنشَدَنِي قَوْلَهُ أَيْضًا :

الْحَنَانُ يَعْجِزُ عَنْ قَوْمٍ إِذَا كَثُرُوا لَكِنَّ قَلْبِكَ مِثْلُ الْحَنَانِ أَضْعَافُ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهُ خَمْسُونَ يَشْتَقُّهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ لَهُ أَلْفٌ وَآلَافُ
 وَحِكَى الْهَيْمِ بْنِ عَدِيِّ : أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ هُوِيَ جَارِيَةٌ ، فَتَمَسَّكَ
 بِوَدَّهَا ، وَرَكَنَ إِلَى مَحَبَّتِهَا ، ثُمَّ أَطْلَعَ عَلَى أَنَّهَا لَا تَرُدُّ يَدَ لَامِسٍ ، فَقَطَعَهَا
 وَأَنْشَدَ يَقُولُ :

أَلَا حَتَّى أَطَّلَا لَوْ أَسْبَعَةَ الْحَبْلِ أَلَوْ تَسَوَّى صَالِحَ الْقَوْمِ بِالرَّذْلِ^(١)
 فَلَوْ أَنَّ مَنْ أَضْحَى بِمُنْعَرَجِ اللَّوِيِّ إِلَى الرَّمْلَةِ الْقُصْوِيِّ بِسَاقِطَةِ النَّعْلِ
 جُلُوسًا إِلَى أَنْ يَقْضُرَ الظُّلُّ عِنْدَهَا لَرَأَوْا وَكُلَّ الْقَوْمِ مِنْهَا عَلَى وَصْلِ
 وَمَنْ أَكْثَرَ الْحَالِ ، وَأَحْمَقَ الْمُقْسَالِ ، فَنَاعَةُ الْمِرْأَةِ بِصَدِيقٍ ، وَصَبْرُهَا عَلَى
 رَفِيقٍ ، أَحْسَنَ مَنْ فِيهِنَّ حَالًا ، وَأَقْلَبُنَّ أَشْغَالًا ، مِنْ لَهَا صَاحِبٌ مَشْهُورٌ ،
 وَخَلِيلٌ مُسْتَوْرٌ ، وَرَبِيطٌ تَرَاثَلَهُ ، وَصَدِيقٌ تَحَامَلَهُ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِأَمَالٍ ،
 وَلَا لَطَمَعِ وَأَمَالٍ ، فَقَدْ كُنَّا تَقْدِمُنَا فِي بَابِ صِفَةِ الْقَيْنَاتِ ، وَمَا طُبِعَ عَلَيْهِ
 مِنَ الْمَكْرِ وَالْحَيَانَاتِ ، أَنَّهُنَّ يَكْتَسِبْنَ بِالْهُوِيِّ وَالْعَشْقِ ، وَيُدَاكِرْنَ بِالتَّعَلُّقِ
 وَالرَّفْقِ ، وَلَيْسَ بِنَاتِ الْبُيُوتِ فِي الْحُدُورِ ، وَرَبَاتِ الْحُجَّالِ^(٢) وَالْقُصُورِ ،
 كَذَوَاتِ الْمَذْقِ مِنَ الْقَيْنَاتِ ، وَكَذَوَاتِ التَّكْسِبِ مِنَ الْمُتَقَنِّيَاتِ ، فَإِنَّ هُوَ لَا

(١) الحبل : الوصال . الرذل : التقييح .

(٢) الحجال : جمع الحجلة : ستر يضرب للعروس ، أو بيت يزين لها .

معرفة فات بطلب الذرائع والأموال ، منسوبات الى التكسب بتعشق الرجال ،
لا يقدم عليهم إلا مضرور ، ولا يثق بهم إلا مسحور ، وإنما يذهب على
أهل الأسباب ، وأهل التطرف والآداب ، مكر البنات المخدرات ،
والفرأني المحجبات ، اللواتي لم ترهن الميرون ، ولم تنكثر فيهن انقاله والظنون ،
اللواتي يبذلن نفيس الأموال لمن يتعشقه ، ويمنن من راسلته وكاتبته ،
وتزعم أنهن وراء الحجاب ، ودون الأقفال والأبواب ، وأنهن لا فرج
لهن إلا في المسكابة ، ولا فرج إلا في المراسلة ، ولا سرور إلا في النظر من
بعيد . ولا يقدرن على اللقاء إلا في الخروج في كل عيد ، وأولئك اللواتي
تخف أمورهن ، وتعنى سرائرهن ، ويطمع الجاهل فيهن ، ويصبوا الزرق^(١)
إليهن ، ويثق بحبهن الأحداث والأطفال ، ولا يتمسك بهودتهن إلا الجهال ،
مع أن مكرهن أخفى من الخيال ، وأعظم من راسيات الجبال ، تنفذ حيلهن
على الرجال . ويتمكن كيدهن من الأبطال ، وفيما خبر الله جل ثناؤه في بعض
القرآن من عظيم كيدهن ، وأطف حيلهن ، ما يعني عن شرح كثير من سرهن ،
وإن في قصة زليخا ويوسف ما يستغنى به ذو العقل والافهام من مكرهن
القوى ، وكيدهن الخفى ، ولن يحترز منهم إلا المحرب ، ويتقى منهم
إلا المدرّب ، فإن ذا الحنكة إذا كان بين عليهما ، وكان في أمورهن حكيما ،
أخذ من حبهن عقوه ، وشرب من هواهن صفوه ، ولم يعلق بهن فواده ،
ولم يمسكن قياده ، وذلك الحسن الحال ، والرخي البال ، لم تورقه الغموم ،
ولم تنضجه الموم ، لا كالذي غلب عليه الشقاء ، وأُتيح له البلاء . فركن

(١) زرق الرجل : نشط وطاش وخف عند الغضب .

الى حبّهن ، ودعته الرغبة الى ودهن ، فتمكن منه الهوى ، وتفرّد به الضنى ،
وتلك لا تشعر بسهره . ولا تعبساً بفكره ، وبالله أقسم صادقاً لو خلفت ،
أنهن لا يعرفن شيئاً من الوفاء ما حدثت ، ولو بحث المغرور بهن ، المتخدوع
بحبهن ، عن صحيح أخبارهن ، ونخص عن مكنون أسرارهن ، لو قفا على
صورة غدرهن ، ولسان له جملة من مكرهن ، وهن عليه بعد الكرامة ،
ولرجع على نفسه بالملامة ، كما أنشدنى بعض الأدباء لنفسه :

أَوْصَلَكْ أَرْجُو بَعْدَ أَنْ رَثَّ حَيْلُهُ لَقَدْ ضَلَّ سَعْيِي إِذْ رَجَوْتُ مَلُولًا
أَتُوبُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ تَوْبَةٍ فَقَدْ كُنْتُ فِي عَيْنِي وَكُنْتُ جَلِيلًا
إِذَا لَمْ يَجِدْ إِلَهِي عَنِ الْغَدْرِ مَذْهَبًا وَجَدْتُ إِلَى حُسْنِ الْعَزَائِرِ سَبِيلًا
فَوَاللَّهِ لَا أَرْضَيْتُ دَاعِيَةَ الْهَوَى إِلَيْكَ وَلَا أَغْضَبْتُ فِيكَ عَدُولًا
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا :

سَأُغْدِرُ حَتَّى تَعْجَبُوا مِنْ خِيَاتِي فَمَا لِي ذَنْبٌ غَيْرُ حُسْنِ وَقَائِي
وَلَوْلَا أُمُورٌ عَارَضَتْ مَا سَبَقْتَنِي إِلَى الْغَدْرِ حَقًّا لَوْ تَرَكْتِ وَرَائِي
سَأَنْزِفُ دَمْعِي حَسْرَةً وَتَنْدُمًا عَلَى مَا مَضَى مِنْ صَبَوَاتِي وَعَنَائِي
وَأَنْشَدَنِي لِلْحُسَيْنِ الْخَلِيعِ :

تُرَاكْ عَلَى الْآيَامِ تَنْجُو مُسَلِّمًا وَلَسْتُ تَرَى مِنْ غَدْرَةٍ أَبَدًا بَدَا
الست الذى آتيت بالله جاهداً يميناً وخنت الله موثقه عمداً
ألا فى سبيل الله ودّ بذلتك لمن خانتني ودى ولم يرع على عهدك
عديمتك من قلب أقام لغادر على العهد حتى كاد يقتلني جِداً

ومن ذلك قول الحكيم :

ألا في سبيل الله ودًّا بذلته
سوى ما إذا فكرت فيه وجدته
وأشدني بعض الأدباء لنفسه :
توآفيت لي حتى حسبتك مغرماً
ومالك شيء منهما غير أنسي
وما كنت أدرى كيف يصبر عاشق
فأنقذتني بالصدر من غمرة الهوى
ولو لم تُخلصني بصدرك لم أجسد
فلم تر عيني قبيل شخصيك ظالماً
فجوزيت عني بالذي أنت أهله
سندم إنسان لعهد خليمه
وأشدني أيضاً :

يا قلب قد بان من كلفت به
شغلك بالفكر في تغبيره
قد يسلم العاجز الضعيف وقد
وقد يفوت القريب مطلبه
فإن يذقك الوصال حسرته

لمن لم يكن مني بلعشاره أهلاً
أفوز به ألى اكتسبت به عقلاً

وأعرضت حتى خلت نفسي بجرماً
أراك ترى نقض المواقيق مغنماً
ولا كيف يسألني بعد أن يتيمماً
وعلمت قلبي الصبر حتى تعلماً (١)
إلى سلوة حتى القيامة سلماً
تعمد أن يجني فأصبح منعماً
فكل امرئ يجزي بما قد تيمماً
وقل لمن لم يرع أن يتندماً

نخل عنك البكاء من أثره
أعظم مما لقيت من حذره
تتلف روح القوي من غيره
وقد يؤوب البعيد من سفره
فقد جنيت اللذيد من ثمره

(١) غمرة الشيء : شدته .

(٢) غير الدهر : أحداً .

فَأَرْحَلُ فَمَنْ لَا يَحِلُّ مَوْرِدُهُ يُفَضُّ بِهِ صَفْوَهُ إِلَى صَكْدَرِهِ

ولقد أحسن الحكمي حيث يقول :

أَيْهَا الْمُتَنَابُ عَنْ عَفْوِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ (١)
لَا أَدْرُدُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَّغْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ (٢)

وأشهدني محمد بن خلف أحد الفقهاء ، وأحسن في قوله :

إِذَا كُنْتُ لَا أَنْفَكَ مِنْكَ مَرَوَّنَا بَعْدَ فَإِنَّ الْهَجْرَ لَيْسَ رَائِعٌ (٣)
إِذَا خَانَنِي مَنْ كُنْتُ أَهْوَى وَصَالَهِ فَلَسْتُ بِحِكْمَاتِ الْخُلُودِ بِقَائِعِ
أَبْتُ عَزَمَاتِي أَنْ يَقُودَ زِمَامَهَا إِلَى غَادِرٍ بِالْعَهْدِ ذَلِكَ الْمَطَامِعِ
فِيَا مَنْ بِهِ كَانَتْ حَيَاتِي حَبِيْبَةً إِلَى وَمَنْ لَوْلَاهُ قَلْتُ رَوَائِعِي
تَعَزَّ بِبِئْسَ عَنْ تَذَكَّرِ مَا مَضَى فَلَسْتُ لِمَنْ لَمْ يَرْعَ عَهْدِي بِتَابِعِ
وَأَيُّ وَإِنْ لَمْ يَرُقْ دَمْعِي تَأْسَفَ عَلَيْكَ فَهَذَا قَلْبِي إِلَيْكَ بِرَاجِعِ

وأجود ما قيل في هذا الباب قول أبي ذؤيب الهذلي :

فَإِنْ تَعْرِضِي عَنِّي وَإِنْ تَتَبَدَّلِي خَالِيلاً وَإِحْدَاكُنَّ سَوْءٌ قُصَارَهَا (٤)

(١) المتنب لك : انقاصك المتردد عليك ، والعفر : طول العهد ، لست من ليلي :

لست من سمري ليلاً ، والخطاب لصديقة ، اتصلت بصديق له ، يبرأ منها ، وإن كان في الظاهر لذكر ، إذ المقصود اشخص .

(٢) ذاد عنه : حماه ودافع عنه ، والتبیت للتمثيل ، يقول : لأحميك بعد خيانتك .

(٣) لا أنفك : لا أزان ، مروع : فرع ، الرائع : المعجب .

(٤) قصارها : مصيرها الذي تصير إليه ، أي العاقبة التي تحبس عندها وتقف فلا تتمدها ،

ويروى : فان تصرمي حبلِي وإن تابدلي

فإني إذا ما خُصِّلة رثَّ حبلها وَجَدْتِ نَصْرِي وَاسْتَمَرَّ عِذارها^(١)
وَحَالَتْ كَحَوْلِ القَوْسِ طَلَّتْ وَعُطِلَتْ ثَلَاثًا فَأَعْيَى رَدُّها وَظَهَارها^(٢)
فإني قَمِينٌ أَنْ أُودِعَ عَهْدَها بِمَحْمَدٍ وَلَمْ يُرْفَعْ إِلَيْنَا شَنَارها^(٣)

وأحسن محمد بن عبد الله بن ظاهر حيث يقول :

ألم تر أن المرأة تدوى يمينه فبِقَطْعِها عَمْدًا لَيْسَ سائره
وكيف تراها بعد يُمنأه صانها بَنَ لَيْسَ مِنْهُ حِينَ تَدْوَى سَرَّائِره
ف هكذا لعمري ينبغي أن يفعل الأدباء ، وبمثل هذا فليتعظ الضرفاء ، وقد
يجب على العاقل المتأدب وذوى الحنكة والتجارب أن يجعل المرأة بمنزلة
الريحانة ، يتنعم بمنصرتها ، ويتمتع بزهرتها ، حتى إذا جاءه أو ان جفاها ،
وحالت عن حالها في وقت قطافها ، نبذها من يده وألقاها ، وباعدها من مجلسه
وقلاها ، إذا لم يبق فيها بقية لمستمع ، ولا لذة لمستمع ، والله در الذي يقول :
تمتع بها ما ساعفتك ولا تسكن عليك شجًا في الخلق حين تبين
وإن هي أعطتك اللبان فإنها لآخر من خلانها ستلين
وإن أقسمت لا ينقض النأي عهدها فليس لمخضوب البنان يمين
ومثل ذلك قول النمر بن تولب :

وكلُّ خليلٍ علته الرعا والحبسات كذوبٌ مَلِقُ

(١) الخيلة : الخيلة . رث : خلق . واستمر عذارها : انقتل ، يقال : يقال : أمرت الخبل فاستمر ، أى فتلته فتلا شديدا فانقتل ، وهذا مثل ، يقال : لوى عنى عذاره : إذا عصى
(٢) حال : تحول من حال إلى حال . طلت : أصابها الندى والظل . ظهر القوس : ظهرها .
يشبه خليلته في تحولها وعدم استقامتها على وده بقوس أصابها الظل فندبت ، وعطلت ، أى ألقى
وترها ثلاثة أشهر ، فأخرج مقبضها وظهرها ، وأعيت تلك القوس أن ترجع إلى استقامتها .
(٣) القمين : الخالق الجدير . الشنار : العيب والكلام القبيح .

ومن جيد ما قيل في هذا الباب ، مما يجب قبوله على ذوى الآلباب ، قول
الحكم بن معمر الحضرمي ، أحد بني حصن بن محارب :

وبعض الهوى داءٌ وفي اليأس راحةٌ إذا انبتت وحصل لو نيا بك منزل^(١)
وذو العقل لا يأسى على وصلٍ خلةٍ إذا لم يكن يوماً عليها معولٌ
فلا ترضَ بالأمر الذي ليس بالرئى إذا كنتَ تفتامُ الأمور وتفصيل^(٢)
إذا المرء لم يجيبك إلا تسكراً فدعسه ولا يفجز شريك التحول^(٣)
وفي الأرض أكفاءٌ وفيها مراغمٌ عريضٌ لمن خاف الهوان ومرحل^(٤)
وأن يقطع الأمر الذي أنت قادرٌ على جذم منه أنفٌ وأجل^(٥)

والكلام في هذا الباب مطرد^(٦) ، والقول فيه منسرد^(٦) ، ولكن كرهت
به إطالة الكتاب ، واقتصرت على قليل من الخطاب ، وأهديت نصيحتي
للأدباء ، وأهل المعرفة والعقلاء ، وأخبرت بما صح عندي ، وبالفتى في
النصيحة جهدي ، فإن رغب فيها رغب فقير ملوم ، وإن زهد فيها زاهد
فقير مذموم ، وأنا أعود إلى ذكر الظرف والهوى ، فقد مضى من هذا
الباب ما كفى .

واعلم أن للعشق سنة مقصودة ، وللظرف شرائع محدودة ، ورأينا أربابه

(١) انبت : انقطع

(٢) عتم عن الأمر : كف عنه بعد المضى فيه

(٣) المراغم : المهرب والمذهب .

(٤) جذمه : قطعه فانقطع . أجل : أحسن

(٥) اطرد الأمر : تبع بعضه بعضاً واستقام وتمائزت أحكامه ، ومنه حكم مطرد ،

أي عام لا شذوذ فيه .

(٦) منسرد : متتابع في نظام .

وأهله، وطلابه متبعين لسبيلها^(١)، متمسكين بحبلها، متى حالوا عنها شتموا بنير
اسم الظرفاء عند أهل الظرف، ودعوا إلى غير سنة العشاق والأدباء، ولهم
فيما استحسنوه من الزي والطيب والثياب، والهدايا والطعام والشراب،
حدود محدود، مستحسن معلوم، وزي بين الطائفتين مقسوم، لا الرجال
يتجاوزون ما حدد لهم إلى حد متظرفات النساء، ولا النساء يتجاوزن
حدهن إلى حد الرجال الظرفاء، وأنا أصف لك زي الفريقين من الظرفاء
والمتظرفات، وأشرح لك ما عليه هؤلاء وهؤلاء من الزي والهيئات،
إن شاء الله.

٢٣ - باب ذكر زي الظرفاء في الألباس

المستحسن عند سرقات الناس^(٢)

اعلم أن من زي الرجال الظرفاء، وذوي المروءة والأدباء، الغلائل^(٣)
الرقاق، والقمص السفاق^(٤)، من جيد ضروب الكتان، الناعمة النقية
الالوان، مثل الدبيق^(٥) والجنابي والمبطنات التاخنج والخامات، ودراربع
البردجرد^(٦) والاسكندراني، والملحم الحزبي^(٧) والخراساني، ومبطنات
القوهي^(٨) الرطب، وأزرانقصب الشرب، والأزديّة المحشاة العدنية، والطيايسة

(١) السبل : جمع السبل ، الطريق .

(٢) سرقات الناس : سادتهم .

(٣) الغلائل : جمع الغلالة ، شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

(٤) سفق الثوب : كان سفيفا ، أي كشيفا .

(٥) الدبيق : نسبة إلى دبيق ، وهي قرية من قرى دمياط تنسب إليها الثياب المثقلة .

(٦) الدراربع : جمع الدراعة : جبة مشقوقة من الإمام . وبردجرد : بلدة بين الكرخ

وهمدان .

(٧) الأثواب الملحمة : المسدودة من قدام . والحز : الحرير ، أو مانسج من صوف وحرير

(٨) القوهي : ثياب بيض .

الملحَم النَّيسَابُورِيَّةَ ، وَالْمُصَمَّتَةَ الدَّيْقِيَّةَ ، وَالْجِيَابَ النَّيسَابُورِيَّةَ ، وَالْمُصَمَّتَةَ
الطَّرَازِيَّةَ ، وَالْوَشِيَّ السُّعْدِيَّةَ ، وَالنُّزُوزَ السُّكُوفِيَّةَ ، وَالْمَطَارِفَ السُّوسِيَّةَ ،
وَالْأَكْسِيَّةَ الْفَارِسِيَّةَ ، وَالطَّيَالِسَةَ التُّومَسِيَّةَ الزُّرْقِيَّ السُّلُولِيَّةَ ، وَكُلَّ مَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ وَقَارِبَهُ ، وَدَنَا مِنْهُ وَصَاحِبَهُ ؛ وَلَيْسَ يُسْتَحْسَنُ لِبَسِ الثِّيَابِ الشُّمُوعَةُ
الْأَلْوَانُ ، الْمَصْبُوغَةُ بِالطَّيِّبِ وَالزَّعْفَرَانِ ، مِثْلُ الْمُلْحَمِ الْأَصْفَرِ ، وَالْدَيْقِيُّ
الْمُعْتَبَرِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ لِبَسِ النِّسَاءِ ، وَلَيْسَ الْقِيَمَاتُ وَالْإِمَامُ ، وَقَدْ يَلْبَسُونَ
ذَلِكَ فِي الْفِصْدِ وَالْعَلَاجَاتِ ، وَوَقْتُ الشَّرَابِ وَالخَلَّاتِ الْغَلَائِلِ الْمَمْسُوكَةِ ،
وَالْقَمَصَ الْمُعْتَبِرَةَ ، وَالْأَرْدِيَّةَ الْمَلُونَةَ ، وَالْأَزْرَ الْمُعْصَفِرَةَ ، وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلُوهَا
نُفِرَ شَمُّهُمْ ، وَلَبَسُوهَا فِي وَقْتِ قَصْفِهِمْ^(١) ، وَتَنَظَّرُوا فِيهَا فِي مَجَالِسِهِمْ ، وَتَخَفَّفُوا بِهَا
فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَالظُّهُورَ فِيهَا فَيَبِيعُ بِالسُّوقَةِ وَالظَّرْفَاءَ ، مُسْتَحْسِنِينَ مِنْ أَهْلِ النَّعْمِ
وَأَبْنَاءِ الْخُلَفَاءِ ، وَلَيْسَ يُجِيزُ أَهْلُ الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ لِبَسَ شَيْءٍ مِنْ الثِّيَابِ الدَّنَسَةِ
مَعَ غَسِيلِ ، وَلَا غَسِيلًا مَعَ جَدِيدِ ، وَلَا الْكُتْمَانَ مَعَ الْمَرُوثِيِّ ، وَلَا الْبَابِيَّافَ
مَعَ الْقَوْهِيِّ أَيْضًا ، وَأَحْسَنُ الزِّيِّ مَا تَشَاكَلُ وَأَنْطَبِقُ ، وَتَقَارِبُ وَأَنْتَفِقُ .

٢٤ - بَابُ زِيِّ الظَّرْفِ

فِي التَّكْكِ وَالنِّعَالِ وَالخِفَافِ

وَمِنْ زِيِّهِمْ لِبَسُ النِّعَالِ الزِّيَّجِيَّةِ ، وَالشَّحَانَ الْكَنْبَاتِيَّةِ ، وَالْمَشْعَرَةَ الْبَجَانِيَّةَ ،
وَالْحَذُوَ اللَّطَافَ ، وَالْمُخْتَمَةَ الْخِفَافَ ، وَيُشْرِكُ أَسْوَدَهَا بِأَحْمَرَ ، وَأَصْفَرُهَا
بِأَسْوَدَ ، وَيَلْبَسُونَ الْخِفَافَ الْهَاشِمِيَّةَ ، وَالْمَكْدُورَةَ الْكُتْمَانِيَّةَ ، وَمِنْ الْأَدَمِ
لِلنَّخِينِ ، وَالْأَسْوَدَ الرَّزِينِ ، بِالْجَوَارِبِ الْخَزِّ ، وَالْمُرْعَزِيَّ وَالْقَزَّ ، وَيَعْبِيُونَ

(١) التَّصْفِ : الْإِفَامَةُ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَاللُّبُو

لبس الأحر من الخفاف ، ولبس الدارسية الخفاف ، ويتخذون التكاك
الإبريسمية ، والتكاك الخزئية ، والمطارف القطنية ، والمنقوشة الأرمينية .

٢٥ - باب زيهم ، المنصوص

في الخواتيم والنصوص

التختم بالعميق الأحمر ، والفير وزج الأخضر . والفصة المحرقة ، والياقوت
الاسمانجوني ، والبجاذي الخراساني ، والمعراينة الحجر ، والياقوتية الصفر ،
واليمانية السود ، الحسنة القدود ، على الخواتيم المهرانية ، والمضروبة المتوسكلية ،
ولا يتختمون بالذهب : وليس من زي ذوى الأدب ، وإنما هو من لبس
النساء ، ولبس الصبيان والاماء .

٢٦ - باب زيهم في التعطر والطيب

الذى من خالفه كان غير مصيب

ومن زيهم في التعطر والطيب بالمسك المسحول^(١) ، بماء الورد المحلول ،
واستعمال العود المعنبر . بماء القرانقل المخمر ، والنذ السلطاني ، والنعنبر
البخراتي ، والعبير والذرائر المفتوحة بالعبائر ، وسوى ذلك من الطيب
لا يقربونه ، والكافور لعله برده لا يستعملونه ، إلا من حرارة ظاهرة ، أو من علة
غالبة ، أو موضوعا على الحجر ، مخلوطا بعبير المسك وزعفران الشعير ، وهو
بهذه الصفة أطيب البخور ، وليس البرمكية وما أشبهها عليهم ، يحظون ،
وإن الجيد من البرمكية ، من البخور الذكية ، وإتاكر استعمالها المتظرفون

(١) المسحول : المسحوق .

إذ هي ندى يستعملونه المشركون . وكذلك اجتنبوا ماء الخلق^(١) لأنه من طيب النساء والغالية^(٢) إذ هي من طيب الصبيان والاماء ، ولا يستعملون شيئاً من الطيب الذفر^(٣) . مما يسدو له لون ويبقى له أثر ، وفي ذلك حديث مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : طيب الرجال ما ظهر رأبته^(٤) ، ومتى استعملوا شيئاً من الغالية أو طيب النساء ، كانت في أصول الشعر ، بحيث يشم ولا يرى له أثر .

٢٧ - باب في منظر فاك النساء

في اللباس المخالف لزي الضرفاء

لبس الغلائل الدخانية ، والأردية الرشيدية ، والشروب المزرة ، والأردية الطهرية ، والقصب الملون ، والخبر المعين ، والمقانع النيسابورية ، وأزر الملحسم الخراسانية ، والجربانات^(٥) المخانقية ، والحكام المفتوحة ، والسراويلات البيض المذيلة ، والمعاجر^(٦) السود المسنبكة ، ولا يلبس شيئاً من التلك ، ولا شيئاً من المرشوش والمطيب ، ولا النقية الألوان ، ولا من الثياب البياض الكتان ، إلا ما كان ملوناً في نفسه ، أو مصبوغاً من جنسه ، أو مغيراً بلون من أجناس المسك والمصندك ، وأجناس المعنبر والمسنبل ، ليحول بالطيب عن تلك الحال ، إذ لبس البياض عندهم من زي الرجال ،

(١) الخلق : ضرب من الطيب أعظم أجزاء الرعفران .

(٢) الغالية : أخلاط من الطيب .

(٣) ذفر الشيء : ظهرت رأبته واشتدت ، طيبة كانت أو خبيثة . وأغلبه في الخبيثة .

(٤) الجامع الصغير للسيوطي : طيب الرجال ما ظهر ريبه وخنق لونه ، وطيب النساء

ما ظهر لونه وخنق ريبه .

(٥) الجربان : طوق القميص .

(٦) المعجر : ثوب تشده المرأة على رأسها .

ولا يلبس أيضا من الثياب الأصفر والأسود والأخضر، والمورد، والأحمر،
إلا ما كان جنسه الصفرة أو التزريق، والخضرة والتوريد والخمرة، مثل اللاذ
والحرير والقز، والديباج، والوشى والخز، لأن لبس المورد والأحمر،
والسنيري الأخضر، إنما هو من لبس النساء التبيطات، ولبس الإماء
المتقينات. والبياض عندهم من لبس المهجورات، والأزرق والحديد من
لبس الأرامل والمقرعات. وأحسن الذي عندهم ما ذكرناه، وليس يتجاوز
حد ما رسمناه.

٢٨ - باب زيهن، المتألف لزي الرجال

في لبس التتلك والخفاف والنعال

لبس النعال الكتبانية المشعرة، والمدهونة المخضرة، والخفاف الزنانية،
والمكسورة والرهاوية، والتتلك الأبريسمية، والرجال يشركونهن في التتلك
الأبريسمية، ولا يشركن الرجال في التتلك الديباج المنسوجة، وشرايات
الأبريسم المفتولة، والزنانير العراض، ولا يذهبن في ألوانها إلى البياض،
ولما كان منها كثير الألوان والتخطيط، ويتطيرن من الألوان، وقد يلبس
أيضا التتلك الخزبة المطرقة القطنية.

ومن زيهن أيضا في الطيب، الذي ليس للرجال فيه نصيب، استعمال
اللخاخ والصندل، والصياح والقرنفل، والساهرية والأذقال، والمعجونات
والزعفران، والحلوق وماء الخلوق، والكافور وماء الكافور، والمثلثة
الجزائنية، والبرمكية السلطانية، وسائر صنوف الأدهان، من البنفسج
والزنبق والبان، إلا أنهم اجتنبن استعمال الترشنام، والرجال لا يستعملون

شيئا من ذلك ، و النساء يستعملن جميع طيب الظرفاء ، و الظرفاء لا يستعملون شيئا من طيب النساء .

ومن زينة المعمولوم ، في لبس الخلق المنظوم ، لبس الخفاق^(١) القر نقل الخمر ، و مراسل الكافور و العنبر ، و القلائد المفصلة ، و المأكذات المحرمة ، بشرابات الذهب المشبكة ، و الأبريسمية المسانكة ، و اتخاذ السبج^(٢) اللطاف ، من المخروطة الخفاف ، و مثل السبج الخلك ، و الكوهر و السكر ، و البللور النقي ، و حب اللؤلؤ السرى . و الحب الأحمر ، و السكر بالاصفر . و سائر صنوف الياقوت و الجواهر ؛ و ينظمن بالحب و صنوف الجواهر كرازين^(٣) ، و ينقشن بالابريسيم و الذهب عصائبهن ، و يتخذن خواتيم المقرنة ، و المناقير المطبقة ، بفضوص الياقوت الأحمر . و الزمرد الأخضر ، و الاسمانجوني و الاصفر ، و لا يحسن بهن التختيم بالمينا و العقيق ، و الفضة و الحديد ، و الملح و الفيروزج ، و اليجاذي و المسانج ، و ذلك من لبس الرجال و الإماء ، و ليس من لبس متظرفات النساء ؛ و لا يتخذن منها ما ضاق و عسر ، و لا ما جفا و كبر ، و قد تطير بعض الظرفاء من هدية الخاتم ، و زعموا أنه يدعو الى القطيعة ، و تهاداه آخرون و أقاموه مقام التذكرة و الوديعة ، فأما الذين تطيروا منه فينشدون :

وما كان هذا الهجر من طول بغضة
مزحت ليحيني مرة بخواتيم
فصدت ولم تعلم على خيانة
ولكن بعض المزح للمرء قاتل
لأخذه حلت على النوازل
و طول صدور الخلق للعقل سامل^(٤)

(١) الخفاق : جمع الخنقة ، القلادة

(٢) السبج : جمع السبجة وهي كساء اسود

(٣) الكرازين : جمع الكرز و هو تاج ملوك فارس و هو مرصع بالذهب و الجواهر

(٤) السامل : الخلق البالي

وينشدون أيضا :

إني مزحتُ ولم أعلم بخاتمِهِ
قد كنتُ ما قال أهل الظرف أنكرَهُ
إن الخواتيمَ فيها قطعٌ وصليبكمُ
حتى ابتليتُ فكان الحقُّ قورنهمُ
فكان منه ابتداءُ الحجر والنصبِ
وكان قولهمُ عندي من اللبِ
فقلتُ هذا لعمرى غايةُ الكذبِ
أخذ الخواتيمَ فيه أَسْكَرُ العطبِ

وأشدني صديق لي في ضد ذلك :

يقول أناسٌ في الخواتيمِ إنَّها
بأنَّ خواتيمَ الملاحِ وُصُولُهُ
تُقَطَّعُ أسبابَ الهوى وأقولُ
وخاتمٌ من تهوى الملاحِ وُصُولُ

والعلة فيما كرهه الظرفاء ، وتطير منه الأدباء ، من هدية التسكة والخاتم ، حتى صار مستفيضاً في العالم ، أن هذين وحدثيهما من جميع اللباس أن يُستظرفا فيستلبا ، ويُستحسنا فيستوهما ، وأن الواحد إذا أهدى الى خليله ، وأرسل الى حبيبه ، بخاتمة أو تسكته ، فقد ذلك من يده أو خزته ، بعته باعث من غيرته ، على قطيعته وهجرته ، فأما من يتلقى هدية اخائه بالقبول ، ويُزها منه بالمنزل الجليل ، ويحفظها كحفظة لبصره ، ويشفق عليها من الدهر وغيره ، فهو آهِنٌ من المجانية ، مستريحٌ من المعاتبة .

وقد رأيناهم ربما أهدوا ذلك ، فيهدونه على سبيل البيع ، ويأخذون منهم الشيء ، الطفيف اليسير ، كالدرهم الصغير ، والقطعة من البخور ، فيخرج بهذا البيع عن حد الهدية ، ويأمنون ما فيه من مكروه البلية .

وقد بلغني أن أبانواس دخل على خالد خيلويته ، فنظر في أصبعه الى خاتم ، فقال : أرينيه . فدفعه اليه ، وكان علامة بينه وبين جارية يحبها ، فانصرف

فاستعمل واحدا على مثاله ، ثم بعث به اليها ، فأنكرت القصص ، فبعثت به

اليه ولم تأت به . فدخل على حياله ، فلما رآه مثل بين يديه وأنشأ يقول :

تفديك رُوسى يا أبا جعفر	جارية كالقمر الأزهر
تعلقتني وتعلقتها	طفلين في المهدي إلى المكبر
كنت اليها نتهادي الهوى	بخاتم لي غسير مُستنكر
فأنكرته إذ رأت فضه	فأدركتها غيرة المنكر
قالت لقد كان له خاتم	أحمر يهديها اليها سرى
فاليوم قد علق غيري فقد	أهدى له الخاتم لا أميري
آمنت بالله وآياته	إن أنا لم أهجره فليضبر
أو يأت بالخجة في تهمني	إياه في خاتمه الأحمر
فأرذده تردد وصلها إنها	قصة عيني يا أبا جعفر

فأخرجه من أصبعه فدفعه اليه ، فهذا دليل على إجازة تهادي الخواتم ،

وحفظها لأربابها ، وشدة الغضب والغيرة عند ذهابها .

فأما الطعام فعيوبه أشد الأشياء على الظرفاء ضرراً ، وهم من عيوبه أشد

توقياً وحذراً ، لتكاثف عيوبه ، وكثرة دعيبه ، وأنا أبين زيبهم في ذلك ،

وما استحسنوه في ذلك واستعملوه ، وما استقبحوه فاجتنبوه ، إن شاء الله .

١٩ - باب ذكر نبي الظرفاء في الطعام

الذي بانوا به عن منزلة اللثام

اعلم أن أول ما استعملوه تصغير اللقم ، والتجائل عن الشره والنهم ،

وأكل الأوساط الرقاق ، والهبز ما ورد الدقاق ، وليس يأكلون العصبية^(١)
والعضلة^(٢) ، ولا العرق والسكرورة ، ولا السكرش والقبية^(٣) ، ولا الطحال
والرئة ، ولا يأكلون القديد^(٤) ، ولا يأكلون الثريد ، ولا ما في القدر من
الورق ، ولا يتحسّون المرق ، ولا يتبعون مواضع الدسم ، ولا يملأون
أيديهم بالزهم^(٥) ، ولا يجللون الملح ، وهو عندهم من أكبر القبح ،
ولا يكوّكبون في الخلل ، ولا يعضون في أكل البقل ، ولا يأكلون الطلع^(٦) ،
لشبهه رائحته برائحة الماء الدافق ، ولا يششون^(٧) من العظام كراديس^(٨)
قصب الساق الغليظ ، وإنما مشاشهم ما لان وصغر ، ولا ما غلظ وكبر ،
ويأخذون ما ثقل من المشاش على ظهر الأصابع ، وي طرحونه ناحية من
الجوان ، ولا يزهدون ما بين أيديهم من الرغفان ، ولا يتعدّون مواضعهم ،
ولا يقطعون أصابعهم ، ولا يملأون باللقم أفواههم ، ولا يدسمون بكبرها
شفاههم ، ولا يقظرون على أكفهم ، ولا يعجلون في مضغهم ، ولا يأكلون
بجانبى الشدقين ، ولا يزاوجون بين الاثنين ، ولا يجاوزون ما بين أيديهم
شىء من الثنات ، ولا يأكلون قدرا بائنة ، ولا قدرا مسخنة ، ولا يعفسون
في مرقة ، ولا يضعون لقمسة ، ولا يأكلون شيئا من الكوريج والصحنانة^(٩)

(١) العصبية : واحدة العصب : أطواب المفاصل التي تلائم بنيتها وتشدّها وهي منتشرة في الجسم كله وبها تكون الحركة والحس .

(٢) العضلة : كل عصبه معها لحم يجتمع .

(٣) القبة : العظام الناقية من الظير بين الإليتين .

(٤) القديد : اللحم المقدد .

(٥) الزهم : الشحم

(٦) الطلع : ما يبدو من ثمرة النخل في أول ظهورها

(٧) من العظم : مص اطرافه

(٨) الكراديس : جمع السكردوسة : كل عظم اجتمع عليه اللحم

(٩) الصحنانة : السمك الصغير المملوح

ولا الرُّبَيْتَاءُ والسُّمَيْكَاتُ ، ولا شَيْئًا من الكَوَامِيعِ ^(١) والمَالِحِ ، وأسْخُلُ ذلكَ عندهم من الفَضَائِحِ ، إلا أن القِيَمَاتِ المُنْتَظَرَاتِ ، والنِّسَاءِ القَضْرِيَّاتِ ، ربَّما تُنْظَرُفنَ بِأَكْلِ المَالِحِ والمَمْلُوحِ في مَنَازِلِ عَمَشَتَيْنِ . ويَبُوتُ مُرَابِطِيهِنَّ ، فيذهبُ مذهبُ طَرَحِ المَؤُونَاتِ ، وخَفْصَةُ لِلتَّفَقَاتِ ، ولا يَأْكُلُونَ الجِرَادَ والأَرَبِيَانَ ، لِعَلَّةِ شَهْمِهِمَا بِالأَشْيَاءِ التَّيْبِيحَةِ مِنَ الحَيَوَانِ ، ولا يَأْكُلُونَ الحَبْرَبَ الَّتِي تُسَيِّجُ الأَرِيَّاحُ ، وتُولدُ القَرَقَرَةَ والانتِفَاحَ ، ولا يَأْكُلُونَ في النِّهَارِ أَكْثَرَ مِنْ أَكَلَةٍ ، وَيَكْثُرُونَ القِيَامَ في بِجَالِ سَهْمِ ، ولا يَكْثُرُونَ مِنَ الضَّحِكَ والكَلَامِ ، عِنْدَ حَضُورِ المَائِدَةِ والطَّعَامِ ، ولا يَتَخَلَّلُونَ عَلى المَائِدَةِ قَبْلَ أَنْ تَفْرُغَ ، ولا يَتَحَفَّرُونَ لِجِئِئِهَا قَبْلَ أَنْ تَوْضَعَ ، وَإِذَا غَسَّوْا أَيْدِيَهُمْ لَمْ يَطْلُبُوا الغَسْلَ قَبْلَ طَلْبِ إِتْيَانِهَا مِنَ الوَسْخِ والسُّكْرِ ، ولم يَقْصِدُوا التَّقْصِيرَ الَّذِي يَبْقَى مِنْهُ رَاحَةُ العَمْرِ ^(٢) ، وكذَلِكَ أَيْضًا إِذَا تَمَدَّلُوا فَعَلُوا كَفَعْلِهِمْ إِذَا غَسَّوْا .

فَأَمَّا النُّقْلُ فَانَّهُمْ يُحْضِرُونَهُ مَوَائِدِهِمْ ، وَيُطْعَمُونَهُ وَلَا تُدْهِمُ ، ولا يَكْثُرُونَ مِنْ أَكَلِهِ ، ولا يَأْتُونَ عَلى كَلِهِ ، وَإِنَّمَا يَعْجَبُونَ مِنْهُ بِالشَّيْءِ الِيسِيرِ مِنَ التَّنْعِيعِ ^(٣) ، وَيَجْتَمِعُونَ مِنْ ذَلِكَ الهِنْدِيَّاتِ ^(٤) والأَكْشُوتِ ^(٥) لِإِرْدَاهِمَا ، والفُجْلِ والحَرْفِ لِنَتْنِهِمَا . والكُرَّاثِ والبَصَلِ لِرايْحَتِهِمَا ، والفِدَّاحِ ^(٦) والحَمْدَقِ قَوْقِ ^(٧) لِحَسْنِهِمَا ،

(١) الكواميع : جمع الكامخ : أدام يؤندم به ، وخصه بعضهم بالمخلات التي تستعمل لتشهي الطعام

(٢) الأوربيان : نوع سرطان بحري

(٣) الفصر : ريح اللحم

(٤) التنعيع : بقل طيب الرائحة يؤكل ويتداوى به

(٥) الهندبا : بقل يؤكل

(٦) الأكشوت : نوع من النباتات

(٧) الفداح : أطراف النباتات الغض

(٨) الحمدق : بقلة أو حشيشة

لأنهما أيضا يُخضَّران الأسمان والتمور ، ويُحْدِثان الرَّاحَةَ والتَّخْيِيرَ ، وإن
 يقع الثوم في قِدرٍ فيذوقونه ، ولا البصل فيقربونه ، ولا يلفظون باسم
 الطَّرْحُونِ^(١) لا ابتداءً اسمه ، وشناعة لفظه ، فيسكنون عنه فيصيفونه إلى
 النَّعْنَعِ ، وقد سماه بعضهم بقلَّة الجياح ، وسماه آخرون كافور الفؤاد ،
 وكلُّ يقصد إلى معناه ، والحس لا يقربونه لموضع تفقيته ، والخيار لا يأكلونه
 لِعِلة برده ، والجزر يتجاللون عن مسه ، ولا يرون النظر إليه دون أكله ،
 وكذلك القثاء والهلبيون^(٢) ، ولموضع النوى أيضا رغبوا عن أكل الزيتون ،
 ورغبوا عن ماخالطه النوى من فاكهة الصيف والشتاء ، مثل القسب^(٣)
 والبُسر^(٤) ، والمشتمق أيضا والتمر ، وكذلك سائر الأرتاب ، والمشمش
 والنبق والعناب ، وكذلك في الخوخ والشاهلوج والإجاص ، وهو عندهم
 من أكل العوام لا من أكل الخواص ، ولا ينفق عندهم الرمان والتين ،
 وهذان عندهم والبطيخ من تهجين ، خاصة إذا انشقت الرمانة ، وتصدعت
 البطيخة إذا انكسرت ، وجوزة ولوزة وتينة وموزة ؛ ولا يدفع بعضهم
 إلى بعض وردة واحدة ولا لوزة واحدة للفسيل ، ولما يقع فيه من التمثيل ؛
 ولا تقول متظرفة لأخرى هذه وردتك ولوزتك ونبقتك وجوزتك ورمانتك

(١) الطرخون : نبات يكبس في اللبن أو الماء المالح ويؤكل وقال ابن الطييار في مفرداته :
 هو نبات طويل الورق دقيق الساق يعاو على وجه الأرض نحو ما من شبر إلى ذراع ونصف ،
 وهو من بقول المائدة ينهض الشبوة ويطيب النكة وإذا شرب الماء عليه طيبه .

(٢) الهليون : نبات له قضبان رخصة تؤكل ، وقال ابن البيطار في مفرداته : الهليون
 ورقه كورق الشبث ، ولا شوك له البتة ، وله بذر مدور أخضر ثم يسود ويحمر ، وفي جوفه
 ثلاث حبات كأها حب النيل صلابة ، منه برى كثير الشوك .

(٣) القسب : تمر يابس يتفقت في الفم .

(٤) البسر : التمر إذا تلون ولم ينضج .

تيمتاك وذلك عندهم أجل العيوب : تشمز منه القلوب ، ويحتمنون له أشد الاجتناب ، ويكتنبون له أمر اكتتاب ، وكذلك لا تقول واحدة لأخرى : ارفعي رجلك ولا ذيلك ولا أقمدي عليه ، ولا أدخليه ولا أخرجيه ، ولا أصعديه ، ولا أصيبه ، ولا انفخيه ، ولا سبي ، ولا سرحي ولا شيلي ، ولا انتحي ، ولا اعلمي ، ولا قد عملت ، ويحتمنون ذلك وما أشبهه من الكلام ، بما كثر استعماله في خطاب العوم ، ولا يكادون يلفظون به ، ولا يطيف بالسنتهم ، ولا يجيزونه في شيء من مخاطبتهم ، ويحذرونه ويتوقون منه ، ويعيبون المتكلم به ، ويعرضون عنه .

٣٠ - باب ذكر ٧٧٥ في الشراب

الذي يتخير ذوو الألباب

أما ما عليه الظرفاء ، وأهل المروءة والأدباء ، فإنهم لا يشربون من الشراب أسوده ، ولا يشربون إلا أجوده ، مثل المشمس والزبيبي والمعسل ، والمطبوخ والطلاء والمعدل ، ولا يقربون مالا ، منه الخبز^(١) ، ولا ما خالطه الكدر ، ولا يشربون إلا ما صفا من الشراب ، ويتجاللون عن المسجوري الدوشاب ، إذ هو من شراب العامة والرعاغ ، وشرب السوقة والأتباع ، ولا ينتقلون على شرابهم بالأشياء انزلة ، مثل الباقلي والبكوط ، والبسر المقلو ، والقريشاء والحنطة ، والغبيراء والشاهبكوط والخرنوب الشامي ، وما أشبه ذلك من الأتقال ؛ وأكثر ما ينتقل به المتظرفون ، ويعيب به المتزيسكون ، كملوح البندق ، ومقشر الفستق ، والملح النقطي ، والعود الهندي ، والطين الخراساني ، والملح

الصنغاني ، والسفرجل البلخي ، والتفاح الشامي ، ويتخذون من كل شيء من الآنية أسراء ، ومن الزجاج أجوده وأنقاء .

وأما ما اجتنبوه من الهدايا ، وتخوفوا من هديته البلايا ، فأشياء يكثر بها العدد ، ويطول بها الأمد ، وأنا أذكر من يسيرها : ما يُستدل به على كثيرها .

٣٦ - باب ذكر الأشياء التي ينظروا الظرفاء من أهلها

ويرغبون عنها لشناعة أسمائها

فمن ذلك الأترج^(١) والسفرجل والشقائق^(٢) والسوسن^(٣) والتمام^(٤) وأطباق الخلاف^(٥) والغرب^(٦) والبان^(٧)

فأما الأترج ، فإن باطنه خلاف ظاهره ، وهو حسن الظاهر ، حامض

(١) الأترج : نبات حامض مسكن غلة النساء ، ويجلو اللون والكلف ، وقشره في الثياب يمنع السوس .

وقال ابن البطار : الأترج كثير بأرض العرب ، وهو مما يفرس غرسا ولا يكون برياً ، وورقه مثل ورق الجوز ، وهو ضيب الرائحة ، ونواره شبيه بنوار النرجس إلا أنه أظف ، وله بزر شبه الكثرى .

(٢) الشقائق : نبات أحمر الزهر مبيع بنقط سوداء

(٣) السوسن : نبات من الرياحين يرى وبستانى ويعرف بالزنبق ، وهو أبيض وأصفر وأزرق .

(٤) التمام : نبت له بزر كالريحان عطري قوي الرائحة سمي بذلك لسطوع رائحته .

(٥) الخلاف : صنف من الصفصاف ، وجهه أكبر من الحص ، وله لب لين دهني .

(٦) الغرب : شجرة حجازية ضخمة شاذة .

(٧) البان شجر يسمو ويطول في استواء ، وخشبه خوار خفيف ، وقضبانته سمجة

خضر . وهدبه يثبت في القصب وهو طويل أخضر شديد الخضرة . وثمرته تشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها شديدة وفيها حب فإذا اتبست انفتحت وانثرت حبه ، وهو أبيض أغبر نحو الفستق .

الباطن ، طيب الرائحة ، مختلف الطعم ، ولذلك يقول فيه الشاعر :

أَهْدَى لَهُ أَحْبَابُهُ أَرْجَةَ قَبَسِكِي وَأَشْفَقَ مِنْ جِيَاقَةِ زَاجِرِ (١)
خَافَ التَّلَوْنَ إِذْ أَتَتْهُ لِأُمِّهَا لَوْ تَانِ بَاطِنُهَا بِخِلَافِ الظَّاهِرِ
فَرَقَ الْمَتِّيمُ مِنْ مَحْمُوضَةٍ أُبِيهَا وَاللَّوْنُ زَيْنًا لِعَيْنِ النَّظِيرِ

وأما السفرجل ، فلأن فيه اسم السفر ، وقد قال فيه الشاعر :

مُتَجَرِّفِي بِالسَّفَرِجَلِ لَا أُرِيدُ السَّفَرَ جَسَلًا
إِسْمُهُ لَوْ عَرَفْتَهُ سَفَرٌ جَلٌّ فَاعْتَمَلِي

وقال آخر

أَهْدَتْ إِلَيْهِ سَفَرَ جَلًّا فَتَطَّيَّرَا مِنْهُ وَظَلَّ مُتَّيِّمًا مُسْتَعْبِرًا
خَافَ الْفِرَاقَ لِأَنَّ أَوَّلَ إِسْمِهِ سَفَرٌ فَحَقٌّ لَهُ بَأَنَّ يَتَطَّيَّرَا

وأما الشقائق ، فليشطر اسمه ، ولقول الشاعر فيه :

لَا تَرَانِي طَوَالَ دَهْرِ رِي أَهْوَى الشَّقَائِقَا
إِنْ يَكُنْ يُشْبَهُ الْخُدُودَ دَ فَيُصَفُ إِسْمُهُ شَقَا

وقال آخر :

لَا يُحِبُّ الشَّقَائِقَا كُلُّ مَنْ كَانَ عَاشِقَا
إِنْ نِصْفَ إِسْمِهِ شَقَا ، إِذَا فُهِتَ نَاطِقَا

وأما السوسن ، فلأن اسمه السوء ، وقال فيه الشاعر :

سُوسَنَةٌ أَعْطَيْتَنِيهَا وَمَا كُنْتُ بِأَعْطَانِيكُمْا مُحْسِنَةً
شَطَرُ اسْمِهَا سُوءٌ فَإِنْ جِئْتُ بِهَا آخِرٌ مِنْهَا فَهُوَ سُوءٌ سَنَةً

(١) العيافة : التكنين ، زجر الطير : أطاره فتشاكل به إن كان طياراً عن العين ، أو تطير به إن كان عن اليسار .

وأنت إن شأجرتي سانةً قلت أنت من قبلي الشوسنة
وقال آخر :

ياذا الذي أهدى لنا شوسنا ما كنت في إهدائه محسنا
أوله سوة فقد ساهى ياليت أني لم أر الشوسنا
وأما الياسين ، فلبداً اسمه تطير منه ، ولقول الشاعر :

إني لأذكرُ بالريحان رائحة منها فلتلعب بالريحان إيناس
وأمنح الياسين البغض من حذري للياس إذ كان في بعض اسمه ياس
وقال آخر :

أبصرته في المنام ناوولي من كفه الياسين والغربا
فكان ياس في الياسين وفي الأ شرب اغراب يا شوم ما وهباً
وقال آخر :

أهدى حبيبي ياسيناً قبي من سره الطيرة وسواس^(١)
أراد أن يؤنس من وصله إذ كان في شطر اسمه الياس
وأما المنام ، فلشاعة اسمه ، وقول الشاعر فيه :

حبيبتها بتحية في مجلس بفضيب نمام من الريحان
فطيرت منه وقالت أقصه لاتقربن مضيع الكثمان
وأما الآس^(٢) ، فقد تطير منه قوم ، وزعموا أنه إياس ، وتقال به آخرون ،
وزعموا أنه مؤاسة وأساس ، قال الشاعر :

(١) الطيرة : ما يتشام به .

(٢) الآس : خضرته دائمة ، وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة ، وثمرته سوداء ، ومنها ما هو أبيض كاللؤلؤ بين ورقه كالزبرجد ، ويحلو إذا أبيض ، وعصارة ثمره رطبة تفعل فعل القرفة ، وهي جيدة للسعدة ، مدرة لبول ، وطبخ الثمر يصنع الشعر .

ما أحسن الآس في عيني وأطيبه
لو لا اتصاكُ سرورِ الآس بالباسِ
ماضراً من كان أهدي الآس من يده
لو قال زيجسانه يعنى به الآسي (١)
لو لا الذي أتني من طيرتي بهما
ما فارقاً أبداً تاجاً على رأسي
كذلك تطيروا من الخلاف ، لموضع الخلف ، والغرب للاغتراب ،
والبان للتباين .

وروي عن كثير عزة أنه بلغه أنها عليله ، وانها تشوقه ، فخرج يريد لها
وهي بهصر ، فرأى غراباً ساقطاً على بانه ينتف ريشه ويطأره على رأسه ،
فتطير من ذلك ، وأتى عرافاً من نهدٍ أخبره بما رأى ، فأيسه (٢) من حياتها ،
وأخبره بوفاتها ، فلما وصل الى مصر خبر بوثها ، فأنشأ يقول :

فما أعيف النهدي لادر دره
وأعلمه بالزجر لاعز فاصره (٣)
رأيتُ غراباً ساقطاً فوق بانه
ينتف أعلى ريشه ويضايره
فأما غرابٌ فاعترابٌ من الهوى
وبانٌ فبينٌ من حبيبٍ تعاشره
وقال أبو الشيبص :

أشاقك والليل ملقي الجران
غرابٌ ينوحُ على غصنٍ بانٍ (٤)
أحصُ الجناح شديد الصباح
يمسكي بعينين ما تدمعان (٥)
وفي نعبات الغراب اغتراب
وفي البان بين بعيد الشداني (٦)

(١) الآسي : الطيب .

(٢) باس : قنط أو قطع الأمن .

(٣) لادر دره : لاكثر خيره .

(٤) الجران : من البعير : مقدم عنقه ، ويقال : ألقى البعير جرانه ، أي برك . والمراد :

ظلة الليل .

(٥) الأحص من الطيور : ما تناثر ريش جناحه .

(٦) نعب الغراب : صوت أو أنذر بالبين على زعمهم .

وقال بعض الأعراب :

وكنْتُ قد انْدَمَلْتُ فهاج شوقِي
تَجَاوَبَتْما بِلَعْنِ أَتَجَسَّبِي^(١)
فقلت لصاحبي وكنْتَ أُخْرِي
فقالا الدارُ جامعةٌ بِسَعْدِي
وكان البانُ أن بانْتَ سَلِيمِي
وقال نُصَيْبُ :

ألا راع قلبي من سَلَامَةٍ أنْ غَدَا
فأزجُرُ ذاك البانَ بِنَمَا، اشْكَا
غُرَابٌ على غُصْنٍ مِنَ البانِ يَنْعَبُ
وِغُرْبَةٌ دارُ ما تَدَانِي فَيُصْقَبُ^(٢)

وقد استحسنوا هدايا كثيرة ، ورفاء لولا فيها بقول الشعاع ، وإن كان بعضها مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه من طريق الظرف ، واجتنبهوه لعلّة التسفيل ، وأحبّوه من حسن التّفوّل ؛ فن ذلك الرُّمان ؛ وهو مما ذكرناه أنهم لا يتهادونه لما فيه من التسهيل ، وما يقع فيه من التثليل ، وكذلك الشاهلوج والنَّبِق والورد والبنفسج ، فأما الرُّمان فقد قال فيه الشاعر :

أهدتُ إليه بظرفها رمانا تُنْبِئُه أن وصالها قد آتِي
قال الفقي لما رآه تَفوُّلاً وصلٌ يكون متمماً أحياناً
رَمٌ يرمُ تشعُّي بوصالها لقدِ التّفوُّلَ صادقاً قد كانا

وأما الشاهلوج ، فهو مما فيه النوى ، وقد تهاداه قوم لموضع تَفوُّل الشاعر به ، إذ يقول :

(١) ونى : قر وضغف .

(٢) مواشكا : سريعا . صقب : قرب ، بعد .

أَهْدَتْ إِلَيْهِ الْآنَ شَاهَلُوجًا تُنْبِيهِ أَنْ لَوْجَاءَ كَانَ وَلُوجًا
فَهَضَى عَلَى قَالِ الْهَدِيَّةِ جَاسِرًا عَمْدًا فَهَضَارَ مُدَاخِلًا خَرِيحًا
وَأَمَّا النَّبِيقُ ، فَهُوَ يُسْتَقْبَلُ ، وَقَدْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

أَيَا أَحْسَنَنَا خُلُقًا وَمَنْ فَاتَ الْوَرَى سَبَقًا
تَدَأَلَتْ بِأَنْ تَبِيقَ فَأَهْدَيْتَ لَنَا الشُّبُقَا
فَأَبْقَاكَ إِلَهُ النَّاسِ سِ مَ مَا سَرَّكَ أَنْ تَبِيقَ
وَأَشَقَى اللَّهُ شَانِيكَ وَحَاشَى لَكَ أَنْ تَشَقَى

وَأَمَّا الْبِنْفَسِحُ ، أَيْضًا ، فَقَدْ قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ :

أَهْدَتْ إِلَيْهِ بِنْفَسِحًا يُسَلِّبُهُ تُنْبِيهِ أَنْ بِنْفَسِحًا تَقْدِيهِ
فَارْتَاخَ بَعْدَ صِبَابَةٍ وَكَأَبَةٍ وَرَجَا لِحُسْنِ الظَّنِّ أَنْ تَدْرِيهِ

وَأَمَّا الْخَوْخُ ، فَقَدْ أَطْبَعُوا فِي وَصْفِهِ ، وَأَكْثَرُوا فِي مَدْحِهِ ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ
أَشْبَهَ شَيْءًا بِالْخُدُودِ مِنَ التَّفَاحِ ، وَأَقْرَبَ شَبَهًا بِالْوَجْنَاتِ الْمَلَاخِ ، لِأَنَّهُ يَشَارِكُهَا
فِي الْبِيَاضِ وَالسُّمْرَةِ ، وَالْأَدَمَةَ^(١) وَالصَّفْرَةَ ، وَالتَّوْرِيدَ وَالْحَمْرَةَ ، وَالزَّرْعَبَ
الَّذِينَ الْبَشْرَةَ ، وَهُوَ أَطْيَبُ مَلْتَمٍ ، وَأَعْدَبُ مُقْبَلٍ ، وَأَذْكِي مَشَمٍّ ، وَهُوَ عِنْدَ
طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى أَجَلٌ مَرْتَبَةٌ مِنَ التَّفَاحِ ، لَوْلَا مَا خَالَطَهُ مِنَ النَّوَى الَّذِي
يَشْمَتُ مِنْهُ الظَّرْفَاءُ ، وَيَشْتَاهُ الْأَدْبَاءُ ، وَأَنَّهُ مَفْقُودٌ ، وَالتَّفَاحُ مَوْجُودٌ

وَأَمَّا الْوَرْدُ ، فَقَدْ تَقَالُ^(٢) بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الظَّرْفَاءِ ، وَذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ ،

أَنْشَدَنِي بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

(١) الأدمة : السمرة .

(٢) تقال به : ضد تشام .

أَمْسَدَى لَهُ وَرْدًا فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي الْوَارِدِينَ وَلَمْ يَكُنْ وَرْدًا
فَارْتَجَحَ مِنْ قَرَّحٍ بِطَيِّبٍ وَفُودِهِ وَعِنْدًا لَهُ وَرْدُ الْخِيَارِ فَرَادَا

وأيضاً عندهم في الورد شيء يشبهه ، ولا في عروض الررض ما يدركه ،
وقد ذكرت ذلك في باب لطيف ، لرغبتي في اقتصاد التأليف ، فقف عليه
واعرفه .

٣٢ - باب ما قيل في صفة الورد

ومحله من قلوب ذوي الوجد

اعلم أن أهل الظرف قد أكثروا من تفضيل الورد ، ومدحتهم الشعراء ،
وقد أطببت فيه ، وأفرطوا في نعت حسنه ، واشتهوا رائحته ، حتى شهروه
بالوجنات الحمر ، وقايسوه إلى الخمر ، ومثلوه بالأشياء الملاح ، كفعلهم
بالتفاح ، وهما عندهم في مرتبة واحدة ، قال العباس ابن الأحنف :

أُبَيْضُ الْآسِ وَالْخِلَافُ جَمِيعًا لِمَكَانِ الْخِلَافِ وَالْيَاسِ مِنْهَا
وَأَحِبُّ التُّفَاحَ وَالْوَرْدَ حَتَّى لَوْ وَزَنْتِيهِ بِالْجِبَالِ وَزَنْهَا
أَشْبَهَا رِيْقَهَا وَنَسَكَهَا فِيهَا فَمَا يَنْبَغُ بِالطَّيِّبِ عَنْهَا^(١)

وقال آخر :

عَشِيَّةَ حَيَّانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ خُدُودًا أُضْيِفْتُ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ
وَوَلِيَّ وَفِعْلُ الْخَمْرِ فِي حَرَكَاتِهِ فِعَالٌ نَسِيمِ الرِّيحِ بِاللُّصْنِ الْغَضِّ

(١) النسكة : ريح الغم . الطيب : كل ذي رائحة عطرية .

وقال آخر :

يَضْحَكُ الْوَرْدُ إِلَى وَرْدٍ بِمُخَدِّكَ مُقِيمٍ
جَمْعًا شَكَايِنٍ وَقَفِيٍّ نِ لِّلْحَاطِ الْوَدِيمِ
غَيْرَ أَنَّ الْمِسْكَ أَوْلَى بِكَ فِي كُلِّ نَسِيمِ

وقال آخر :

سَيَعْلَمُ الْوَرْدُ أَنِّي غَيْرُ ذَاكَرِهِ إِذَا الْخُدُودُ أَعَارَتْ حُسْنَهَا بَصْرِي
كَمْ بَيْنَ وَرْدٍ مُقِيمٍ فِي أَمَاكِنِهِ وَبَيْنَ وَرْدٍ قَلِيلِ الْمَسْكَ فِي الشَّجَرِ
هَذَا جِيٍّ مَقْصُونٌ فِي مَنَابِتِهِ وَذَلِكَ مُتَمِّنٌ فِي كُلِّ مُحْتَضِرِ

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر :

مَرَّتْ وَفِي كَفِّهَا وَرْدٌ فَقُلْتُ لَهَا حَيَّ مُحِبِّكَ قَالَتْ عَنْهُ لِي شُغْلٌ
فَقُلْتُ بُخَالًا ، فَقَالَتْ قَدْ وَهَيْتُ لَهُ وَرْدًا جَنِيًّا وَذَا بِالْكَفِّ يُبْتَدَلُ
إِنْ كَانَ لَمْ يَجْنِهِ مِنْهُ أَنَا مِلَّةُ فَقَدْ جَنَّتَهُ لَهُ الْإِلْحَاطُ وَالْمَقْلُ

وقال آخر :

وَرْدٌ خَدِّكَ مُقِيمٌ أَبَدًا لَيْسَ يَرِيمُ^(١)
أَنَا مِنْهُ فِي نَعِيمٍ مَا أَبَدًا مِنْهُ نَعِيمِ

وقال آخر :

تَمَتَّعَ مِنَ الْوَرْدِ الْقَلِيلِ بِقَاوِهِ فَإِنَّكَ لَمْ يَفْجَعَكَ إِلَّا فَاوُهُ
وَوَدَّعَهُ بِالتَّقْبِيلِ وَالشَّمِّ وَالْبُكََا وَدَاعَ حَبِيبٍ بَعْدَ حَوْلٍ لِقَاوُهُ

(١) رام المكان : فارقه .

وقد تطير منه آخرون ، وسموه الغدار ، وعضوا دونه الأبيصار ، لقلة بيشه ،
ويسير مكثه ، وسرعة زواله ، وتغيره وانتقاله .

وخبرت أن قينة أهدت إلى ربيط لها غصن آس ، فسر به وأنشأ يقول :
والآس يبقى وإن طال الزمان به والورد يفنى ولا يبقى على الزمن
وأهدت له وردا تطير منه وقال :

أنت ورد وبقاؤك ال ورد شهر لا شهر
يذهب الورد ويفنى وإلى الآس نصير

فكتب إليه بعض إخوانه :

سر بالآس الذي أهدت له ثم لما أهدت الورد جزع
ذاك أن الآس باقٍ دائم ولأن الورد حيناً ينقطع

وقال بعض الشعراء :

وصلت وكان الورد أول ما بدأ فلما تولى الورد ولّى مع الورد
فيا ليت أن الورد آس فإنه يدوم على الحالين في الحر والبرد
وفضائل الورد أكثر من أن يحصى عددها ، أو يبلغ أمدها ، وقد أفردت
لذلك كتابا ، بوبته أبوابا ، وترجمته بكتاب العقد ، وشحنته بفضل الورد ،
فأغنى ما في ذلك الكتاب ، عن إعادة ذكره في هذا الباب .

والتفاح أعظم عندهم قدرا ، وأجلّ أمرا ، وأعلى درجة ، وأرفع رتبة ،
لسلامته من البياض والتوريد ، وقد ذكرت فضائل التفاح في كتاب التفاح
في غير باب ، فأغنى عن إعادته في هذا الكتاب ، غير أني أذكر في كتابنا
هذا جملة مما وصفته به الأدباء ، ومدحته به الشعراء ، ولست أذكر في عرض

هذا الكتاب ، شيئاً مما في ذلك الكتاب ، لئلا يُبتلى بشيء من المذبح .
فِيُنَسَّبُ إِلَى حَبِيقِ الْعَطَنِ^(١) . وبالله التوفيق .

٣٢ - باب ذكر الإفاح

وما كره الأدباء من أكله

اعلم أن الإفاح عند ذوى الظرف والشاق وذوى الاشتياق ، لا يعدله
شيء من الثمر ، ولا النور^(٢) والزهر ، كيف وبه تبدأ أشجانهم ، ويوروده
تسكن أحزانهم ، وعنده يضمون أسرارهم ، وإليه يُبدون أخبارهم ، إذ كان
عندهم بمنزلة الحبيب والأندس ، وبوضع الصاحب والجليس ، وليس في
هداياهم ما يعادله ، ولا في أطرافهم^(٣) ما يشاكله . لغلبة شبهه بالحدود الموردة ،
والوجنات المضرجة ، وهو عندهم رهينة أحبائهم ، وتذكّر أصحابهم ، إلى
وُردته يتطربون ، وبرؤيته يستبشرون ، ولهم عند نظارهم إليه أنين ، وعند
استنشاق رائحته حنين : حتى إن أحدهم إذا غلب عليه التلق ، وأزعجه الأرق ،
لم يكن له معول إلا عليه ، ولا مشتكى إلا إليه ، وأنشدني بعض أهل الأدب :

لَمَّا نَأَى عَنِ مَجْلِسِي وَجْهَهُ وَدَارَتِ الْكَأْسُ بِمَجْرَاهَا

صَيْرْتُهُ تَفَاحَةً بَيْنَنَا إِذَا ذَكَرْنَاهُ شَمَمْنَاهَا

وَأَهَّا لَهَا تَفَاحَةً أَشْبَهتْ خَدَيْهِ فِي بَهْجَتِهَا وَأَهَّا

وقال الحكيم :

تَفَاحَةٌ جَاءتْ وَقَدْ عُلِّقَتْ وَرُكِّبَتْ بِالْوَرْدِ وَالْأَسْرِ

(١) العطن : المناخ حول المورد . ومن المستعار : فلان واسع العطن ، إذا كان
رحب الذراع .

(٢) النور : الزهر ، أو الأبيض منه .

(٣) الأاطاف : جمع اللطف : الهدية .

أشرب من كأس على رجليها
بالرغم من أهلي وجلالي^(١)
وقال آخر :

تفاحة أهديت ظرفاً معضضة
بيضاء في حمرة علت بغالية
قد أتحفتني بها في النوم جارية
لو كنت ميتاً ونادتني بتغمتها
وقال آخر :

حياء من يهوى بتفاحة
جاد ولم يبخل بها بعد ما
وقال آخر :

تفاحة تأكل تفاحة
فالثمر والشعر ليكي أشتفي
وقال آخر :

تفاحة من عند تفاحة
أحيب بها تفاحة أشبهت
وقال آخر :

تفاحة حمراء منقوشة
فلم تزك في كف أذماننا
ركبتهما في خضرة الآس
تدور من كأس إلى كأس

وقال آخر :

تُفَاحَةٌ مِنْ عِنْدِ تَفْاحَةٍ تَفْاحَةٍ
يَا مَهْدِيَّ الحُسْرَةَ يَا قَاتِلِي
قد كنتُ في بحرَيْنِ مِنْ حُبِّكُمْ

ضممتُها المَهْدِيَّ لها بِالْعَبِيرِ^(١)
أهديتُ لي واللهِ قَصَمَ الظُّهُورِ
فصرتُ مَدُ أهديتُها في بحورِ

وقال آخر :

فلو أني اشتكيت لأجلِ حُرْفِي
وكان طعامنا فيها جنيا
لقلتُ دَعُوا لها جِصْصِي فَإِنِّي

وما ألتصاه في دارِ الخُلُودِ
من التَفْاحِ والوردِ النَّصِيدِ^(٢)
أشبهها بِالوَانِ الخُدُودِ^(٣)

وقال آخر :

حيَّاهُ مِنْ يَهُوى بِتُفَاحَةٍ
معضوضةٌ بِاللَّحِظِ مَحْفُوفَةٌ
لو شَمَّها الخُلُقُ لما تَوا مَعنا

قد جنيتُ بِاللَّحِظِ مِنْ خَدِّهِ
بِشُكْرِ الأَجالِ مِنْ صَدِّهِ
أعثرُ ما يلقاه مِنْ جَهْدِهِ

وقد مضى من هذا الباب مَقْنَعٌ^(٤) ، وهو كثير متسع .

ولهم أشياء من زِيَّهم جلييلة ، وتنف من مناقبهم نبيلة ، أنا أصفها لك في موضعها ، وأقطعها من مقاطعها ، ومنها السُّواك الذي صيِّروه كأحد الفروض الواجبة ، وَالْأُمُورِ الإرادية ، وَقَدْ شَرَحْتُ فِيهِ باباً لتقف عليه ، ان شاء الله .

(١) ضممتها بالضم : لطفه به . العبير : : أخلاط من الطيب .

(٢) ثمر جنى : جنى من ساعتها ، نصيد : ضم بعضه إلى بعض متسقا أو مركوما .

(٣) الحصص : جمع الحصاة : النصيب .

(٤) مقنع : ما يقنع ويرضى به .

٣٤ - باب ما جاء في السواك

وما قيل في غورد الأراك^(١)

اعلم أن من زى الظرفاء ، وأهل المروءة والأدباء ، وأرباب الديانة والترقى ، استعمال السواك والتسوك ، فهو أنبل النظافة ، وأحسن الطهارة ، وأكمل المروءة ، ويرغب فيه أهل الظرف والفتوة ، وله خصال مستحسنة ، وهو أيضا من السنة . وقد روى في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : طهروا أفواهكم فإنها مسالك التسبيح .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : السواك مطهرة للفم مرضاة للرب .

وحدثنا أبي قال : حدثنا ابن أبي شيبة ، عن عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن اسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمر ، عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : السواك مطهرة للفم مرضاة للرب .

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل تسوك .

وعن أبي المليح ، عن وائلة بن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أمرت بالسواك حتى حسبت أن يكون يكتب علي .

وعن ابن أبي مليكة قال : عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وليالي ويومي وبين سحري^(٢) ونحري^(٣) وخالطت ريقه بريقي ، فقلت : يا أم المؤمنين ، وكيف خالطت ريقه بريقك ؟ قالت : دخل عبد الرحمن

(١) الأراك : شجر ، واحده أراك .

(٢) السحر : الرقة .

(٣) النحر : أعلى الصدر .

ابن أبي بكر ويده سواك ، فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : قد
اشتهى السواك ، فأخذت سواكه فضغته ، ثم أعطته فاستاك عليه السلام .
فلم يشغل النبي صلى الله عليه وسلم نزول الموت عن طلب السواك ، إذ هو
أضرف ما استعمل ، وأنبل ما استحسن ، لأنه يبييض الأسنان ، ويصفي
الأذهان . ويطيب النكمة ، ويظفي المرّة ، ويفسف البلغم ، ويشد اللثة ،
ويقوى العمور^(١) ، ويجلو البصر ، ويحد النظر ، ويفتح الشدّد ، ويشهي
الطعام ، وقد استعملوا أمر المساويك الأراك ، والسُّكر ، وأصول
السُّوس ، وعود الخلب ، وعروق الإذخر^(٢) ، وعقد العاقر قرحاً ، وكلما
أغربوا في اتخاذ ذلك كان أكمل لظرفهم ، وأبلغ في معاني وصفهم .

والمساويك أوقات معلومات ، ومواضع محدودات ، لا تستعمل في غير
أوقاتها ، ولا يتجاوز بها عن ساعاتها ، فجائز استعمالها بالغدوات والعشيات ،
وأوقات الظهيرات . وقبل الغداة ، وبعد الصلاة ، وعلى الريق ، وعند النوم ،
وفي نهار الصوم .

ولا يجوز السواك عندهم في مواطن شتى ، منها الخلاء والحمام ، وقارعة
الطريق . ومخفل الناس ، ولا يستاك أحدهم وهو قائم ، ولا متكئ . ولا نائم ،
ولا حيث يراه أحد ، ولا يستاك ويتكلم ، والسواك في الخلاء والحمام من
فعل السفلة والنعوام ، وهو أيضا يرخي اللثة . وبغير النكمة ، وليس ذلك
عندهم من فعل الأدباء ، ولا من فعل ذوى المروّة والظرفاء .

وقد اتخذ أهل الظرف للمساويك طسوتا لظفا ، وأباريق الشبه^(٣)

(١) العمور : جمع العمر : لحم ما بين الأسنان .

(٢) الإذخر : نبات طيب الرائحة .

(٣) الشبه : النحاس الأصفر .

الخفاف ، وكراسي الأبنوس المصدقة ، والخيزران المشبكة ، والأحشاق
المخروطية ، والمسواك ذات المدحونة ، والسنونات^(١) المعمولة ، ووقتها له
الأوقات المعلومة ، التي جعلوها كالقراض المكتوبة ، والسنن المفروضة ،
يتأهبون لوقته ، ولا يستعملون رأس المسواك مدة طويلة ، وذلك عندهم
من الأفعال الذليلة ، ويتخذون لها اللغات الخبز ، وعصائب القز ، ليصونوها
بذلك عن الدنس ، ويوقونها من الغبار والنجس .

وقد تهادى أيضا أهل الظرف المساريك ، وأقاموها مقام الرهينة والتذكرة ،
والوديعة والقبيلة ، كما فعلوا باللبان الممضوع ، والنفاح المعضوض . وقال
العباس بن الأحنف :

طال ليلى بجانب الميدان مع جوارى المهدي والخيزران
أرسلت باللبان قد مضغته بين تفاحتين في ريحان
وبسواكها الذي اختاره الله هـ لفيها من طيب الأغصان
فكأنى وجدت ريحا من القز دوس فاحت من ريح ذاك اللبان
قال أيضا :

ولما وهبتم خاتما فرددته لدعرتي أن الخواتيم تقطع
فأهدى سواكا مس فاك فإنه يسكن ناراً في جوى القلب تلذع
وقال بشار بن برد العقيلي يذكر ذلك أيضا :

تسوكت لي بسواك لتعليلي ما طعم فيها وما هممت بإصلاح
لما أتاني على المسواك ريقها مثلوجة كزلال الماء بالراح

(١) السنون : المسحوق الذي تدلك به الأسنان لتنجلي .

قَبِلْتُ مَامَسُ فَاها ثُمَّ قَلْتُ لَهُ
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ ذَا الْمَسْوَكَ يَا صَاحِبِ .
وقال أيضا :

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رَيْقًا غَيْرَ مُحْتَمِرٍ
إِنِّ الَّذِي رَاحَ مَغْبُوطًا بِنِصْفَتِهِ
وَلَوْ وَهَبْتِ لَنَا يَوْمًا نَعِيشَ بِهِ
أُحْيَيْتِ نَفْسًا وَكَانَتْ مِنْ مَسَاعِيكَ
يَا رَحِمَةَ اللَّهِ حُلِّي فِي مَنَازِلِنَا
وقال أيضا :

يَطِيبُ مَسْوَكَهَا مِنْ طِيبِ نَسَكَمَتِهَا
وَإِنَّ أَلْمَ بِجِلْدِ جِلْدُهَا طَابًا
وقال آخر :

وَبِرَّاقَةٍ تَفْتَرُّ عَنْ مَتَبِّمٍ
إِذَا هَضَعَتْ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضُّحَا
سَقَتْ شُعْبَ الْمَسْوَكَ مَاءُ غَمَامَةٍ
سَنُورِ الْأَقَاحِيِّ طِيبِ الْمَتَدَوِّقِ^(١)
أَنَايِبَ عَيْدَانِ الْأَرَاكِ الْمَخْلُوقِ
فَضِيضًا بِمَمْزُوجِ الْعَقَارِ الْمَصْفُوقِ^(٢)
وقال جرير :

مَا اسْتَوْصَفَ النَّاسُ مِنْ شَيْءٍ بِرِزْقِهِمْ
كَأَنَّهَا مَزْنَةٌ غَرَاءُ وَأَضْحَةٌ
مَكْسُورَةُ الشَّدِيِّ فِي لَبِّ زَيْبَتِهَا
إِلَّا أَرَى أُمَّ نُوحٍ فَوْقَ مَا وَصَفُوا
أَوْ دُرَّةً لَا يُوَارِي لَوْمَتَهَا الصَّدْفُ^(٣)
وَفِي الْمَنَاصِبِ مِنْ أُنْيَابِهَا عَجْفُ^(٤)

(١) الأفاحي : جمع القحوان والأقحوان : نبات له زهر أبيض وأوراق زهره مفاجلة يشبهون بها الأسنان .

(٢) صفق الشراب : حوله من إناء إلى إناء ليصفو .

(٣) الغراء : البيضاء .

(٤) منصب الأسنان : منابتها .

تَسْقِي أَمْتِيَا حَانِدِي أَلَسْوَاكَ رِيَّةً تُبِيَا كَمَا تَضَمَّنَ مَاءُ الْمُنَزَةِ الرَّصْفُ^(١)

وقال الفرزدق :

دَعُونَ بِقَصَبَانِ الْأَرَائِكِ الَّتِي جَرَى لَهَا الرَّكَّابُ مِنْ نَهْجَانِ أَيَّامٍ عَرَفُوا^(٢)

فَمَحَنَ بِهِ عَذْبًا رُضَابًا غُرُوبًا رِقَاقِي وَأَعْلَى حَيْثُ رُكَّابُنَا عَجَفُ^(٣)

وقال ذو الرمة :

جَرَى الْإِسْجَلُ الْأَخْوَى بِطِفْلِ مَطْرَفٍ

عَلَى الْغُرِّ مِنْ أَنْبِيَاهَا فَهِيَ نُصْعُ^(٤)

وقال آخر :

نَظَرْتُ بَعِيْنِي شَادِنٍ وَتَبَسَّمَتْ بِظَمِيَاءَ عَنْ غُرٍّ لَهَنَّ غُرُوبُ^(٥)

جَعَى الْإِسْجَلُ الْأَخْوَى عَلَيْهِمْ أَوْ جَرَى عَلَيْهِمْ مِنْ مَاءِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ

وقال جرير :

يَجْرِي السَّوَاكُ عَلَى أَغْرٍ كَأَنَّهُ بَرْدٌ تَحْذَرُ مِنْ مُتُونِ غَمَامٍ^(٦)

إِقْرَأ السَّلَامَ عَلَى سَعَادٍ وَقَلْ لَهَا يَوْمًا تَرُدُّ رَسُولَنَا بِسَلَامٍ

(١) الامتياح : استخراج الرين بالمسواك .

(٢) عرفوا : أتوا عرفات حين حجوا .

(٣) ماح : اغترف الماء بكفه ، ويريد سفين به . الرضاب : الرين . انغروب : جمع الغرب ، وهو أول كل شيء ، ويريد بهروبه تفتح أمثانه وذلك الحدائق . أنجف : هزيل . ويريد أن اللثة قليلة اللحم ، وهو مما نتجت به المرأة .

(٤) الإسجل : شجر يتخذ منه المساويك . أخوى : يضرب لونه إلى السواد من شدة خضرته . طفل : رخص ناعم . يعني كنفها . مطرف : مخضوب الأطراف بالحناء . نصع : شديدة البياض . ويروى : على الزهر من أنبيائها . . . والزهر : البيض .

(٥) الشادن : وند الطيبة .

(٦) البرد : حب الغمام المعهود ، وهو ماء الغمام يسقط جامدا لشدة البرد ، ويريد بالبرد : الأسنان البيضاء . ومتن الشيء : ما ظهر منه .

وقال أيضا :

إِنَّ الشَّقَاءَ وَإِنْ ضَنْتُ بِمَائِلِهَا
مَا فِي فُؤَادِكَ مِنْ دَائِرٍ يُخَامِرُهُ
وقال جميل بن معمر :

بَشْرٍ قَدْ سَقَيْنَ الْمِسْكَ مِنْهُ
وَمِنْ نَجْرِي غَوَارِبٍ أَفْحُوَانٍ
وقال آخر :

وَعَادَيْنَ بِالْقَضْبَانِ كُلِّ مُفَاجٍ
رُضَابًا كَطَعْمِ الشَّهْدِ بَجَلِ مَتُونِهِ
أُولَئِكَ لَوْلَاهُنَّ مَا سَقَتْ نَضْوَةٌ
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا الرِّيحُ مِنْ نَحْوِ الشَّمَالِ تَنَسَّمتْ
تَخَيَّرْتُ مِنْ نَعْمَانٍ عَوْدَ أَرَاكِيهِ
وَجَاءَتْ لِرِيَاهَا عَلَى سَكْبِي بَرْدًا^(١)
لِهِنْدٍ وَلَسْكِنٍ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدًا

وأنشدني أبو الحسن بن عليل العنزي قال : أنشدني الزبير بن بكار قال :
أنشدني أبو مسلم الكلبي لمهدي بن الملووح الكلبي :

نَبِيَّتَ لَيْلَى وَقَدْ كُنَّا نُبَسِّخُلُهَا
يَا حَبِئْدًا رَاكِبًا كَمَا نَهَشُّ لَهُ
قَالَتْ : سَقَى اللَّهُ ذَاكَ الْمَرْبِيعَ الْجَدِيبَا
يَهْدِي لَنَا مِنْ أَرَاكِ الْمَوْسَى الْقَضْبَا

(١) البشام . شجر عطري الرائحة يستاك نفضبه ، ووجهه يعرف عند الصيادلة بحب البلسان .

(٢) الظنم : بريق الأسنان .

(٣) الشهد : العسل ما دام لم يعصر من سمه .

(٤) النضو : المهزول من الحيوان .

(٥) الربا : الرج الطيبة .

وقال القطامي :

مَنْعَمَةٌ تَجْلُو بِخُوطِ أَرَاكَةِ ذَرَى بَرْدِ عَذْبِ شَتَيْتِ الْمَنَاصِبِ^(١)
كَأَنَّ فُضِيضًا مِنْ غَرِيضِ غَمَامَةٍ عَلَى ظَمًا جَادَتْ بِهِ أُمُّ غَالِبِ^(٢)
لِمَسْتَهْلِكٍ قَدْ كَادَ مِنْ شِدَّةِ الْهَوَى يَمُوتُ وَمِنْ طَوْلِ الْعِدَاتِ الْكَوَاذِبِ^(٣)

وقال بعض الأعراب ، وَتُرْوَى لِلْأُمَيْلِسِ :

نَعْمَةٌ هَيْفَاءُ عَجْزَاءُ خَدَلَةٌ تَمَسُّ مَثَانِي شَعْرِهَا قُضْبًا خَزَلًا^(٤)
وَتَجْلُو بِمَسَاكِ الْأَرَاكِ مَفْلَجًا عَذَابَ الثَّنَائِيَا لِأَقْصَارِهَا وَلَا تُعْلَا^(٥)
وقال العطوي :

عِنْدَكَ الْفَوَادُ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ فِي يَدَيَّ ذَاتِ دَمْلَجٍ وَوِشَاحِ^(٦)
وِثْنَايَا رَقِيقَةٍ كَكَنْدِيرِ مِنْ مُدَامٍ وَرَوْضَةٍ مِنْ أَقْحَاحِ
فَسَاوِيكُهَا بِهَا كُلُّ يَوْمٍ فِي رِيَاضٍ مِنْ اصْطَبَاحِ الرَّاحِ

(١) الخوط . الفصن الناعم لسنة ، أو كل قضيب . أراكاة : شجرة يؤخذ منها السواك .
ذرى : أعالي . الشئيت من الثغر : المفاج . ويروى : شئيب ، والشئيب : برد وعذوبة في
الأسنان ، أو نفض يبيض فيها . أوسدة الأنياب كالغرب تراها كالمنشار . المناصب :
المنابت ، ويريد مراكز الأسنان ، يعني أنه مفاج .
(٢) فضييض : ماء سائل ، وكل ما سقط من السماء فهو فضييض من الماء . غرييض :
ظري . ظمًا : عطش .

(٣) مستهلك : هالك في الشوق ، والمستهلك : الجاد في الأمر ، كأنه جعله ها هنا
للجد في الحب . العدات : جمع العدة : الوعد .

(٤) هيفاء : ضامرة البطن رقيقة الخصر . عجزاء : عظيمة العجز ، مؤخر الجسم .
خدلة : تمتلئة الأعضاء من اللحم مع دقة العظام . الخزل من الإبل : ما ذهب سنانه . ويريد:
قضبا مستقيمة

(٥) ثعلت أسنانه : تراكبت فوق بعضها .

(٦) الدملاج : حلى يلبس في المعصم .

وقال علي بن الجهم :

حَجَّوْا مَوَالِيكَ يَا بُرْهَانَ وَاعْتَمِرَا
وَقَدْ أَتَيْتَكَ الْمُدَايَا مِنْ مَوَالِيكَ ^(١)
فَأَتَحَفِّفِنِي مِمَّا أَحْفُوكَ بِهِ
وَلَا تَكُنْ تُكْفِفُنِي غَيْرَ الْمَسَاوِيكَ
وَلَسْتُ أَرْضَاهُ حَتَّى تُرْسِلَنِي بِهِ
عَمَّا جَلَّ الشُّفْرُ أَوْ مَا جَالَ فِي فَيْكَ

ولأبي الطيب في ذلك :

شَهِيدِي عَلَى طَيْبِ الثَّنَاتِ وَرَيْقِهَا
أَنَايِبُ عَيْدَانِ الْأَرَكَ الْمَفْرَعِ
كَأَنَّ حَبَابَ الرِّيقِ حِينَ تَجُوهُ ^(٢)
عَلَى شُعْبِ الْمَسْوَاكِ غَيْرُ مَمْرَعِ
رَشَاشُ ذِكْرِ الْمَسْكِ شَيْبَ بَعْنَبِيرِ
أَو الرِّاحِ مِنْ صَفْوِ الْعُقَارِ الْمَشْعَشَعِ ^(٣)

وقال مروان بن أبي حفصة :

شِفَاءُ الصَّدَى مَاءُ الْمَسَاوِيكِ وَالَّذِي أَجَدُ

تَنِي الرِّيقَ مِنْ تَحْلِي يُنَازِلُهَا طِفْلُ
فِيهَا حَبْدًا ذَاكَ الْمَسْوَاكِ وَحَبْدًا
بِهِ الْبَرْدُ الْعَذْبُ الْغَرِيضُ الَّذِي يَجْلُو

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول :

وَإِذَا سَأَلْتَكِ بَعْضَ رَيْقِكَ قَلْتِ لِي
أَخْبِي عَقُوبَةَ مَالِكِ الْأَمْلَاكِ
أَيُحْوزُ عِنْدَكَ أَنْ يَكُونَ مَتِيمٌ
يَهْوَاكِ عِنْدَكَ دُونَ عَوْدِ أَرَاكِ
مَاذَا عَلَيْكَ جَعَلْتُ قَبْلَكَ فِي الْمَثَرِي
مَنْ أَنْ أَكُونَ خَلِيفَةَ الْمَسْوَاكِ

(١) برهان : من جوارى المتوكل .

(٢) الحباب : الفقفايع التي تعلق الماء أو الخمر . مع الماء وبالماء من فوه : رمى به .

(٣) العقار : الخرة . شعشع الشراب . مزجه بالماء .

وهذا باب تطنب فيه الشعراء ، ويتسع لها القول في ذكره ، وقد مضى من بعضه ، ما أغنى عن شرح كله .
وأنا أصف لك جملة من جميل مناقبهم ، وما يؤثر من حسن مذاهبهم ،
إن شاء الله تعالى .

٣٥ - باب صفة ذوى الظرف

ومبايبتهم لذوى التكلف

اعلم أن من كمال أدب الأدباء ، وحسن تطرف الظرفاء ، صبرهم على ما تولدت به المكارم ، واجتنابهم لخسيس المآثم ، وأخذهم بالشيم السنية ، والأخلاق الرضية ، وأنهم لا يداخلون أحدا في حديثه ، ولا يتطلعون على قارئ في كتابه ، ولا يقطعون على متكلم كلامه ، ولا يستمعون على مسر سره ، ولا يسألون عما ورى عنهم عليه ، ولا يتكلمون فيما حُجب عنهم فهمه ، يتسرعون إلى الأمور الجليلة ، ويتبصرون عند الأشياء الذليلة ، فهم أمراء مجالسهم ، بهم يفتح عسير الأغلاق ، وبهم يتألف متنافر الأخلاق ، تسمو إليهم الآماق ، وتفتنى عابهم الأعناق ، ولا يطامع في عيبهم العائب ، ولا يقدر على مثالبهم الطالب ، ألا ترى أنهم لا ينتجعون^(١) ، ولا يتبصرون ، ولا يتشاءون ، ولا يستثرون^(٢) ولا يتجشون^(٣) ، ولا يتمطون ، وذلك عيب عند الظرفاء ، مكره عند العلماء ، وفيه حديث ما ثور ، حدثني عبيد بن شريك قال : حدثنا ابن أبي مريم قال : أخبرني يحيى بن أيوب قال : أخبرني ابن عجلان عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، وأن أحدكم إذا قال هاها فان ذلك الشيطان يضحك في جوفه .

(١) تنجع بالدم : تلتخ به . (٢) تنثر الشيء : تساقط متفرقا .

(٣) تجشأ : أخرج من فيه الجشاء : وهو ريح يخرج من الفم مع صوت .

والظرفاء لا يتكلمون ولا يتسألون ، ولا يرقعون أكفهم ، ولا يشبهون
أصابعهم ، ولا يمدون أرجلهم ، ولا يمشون أقدامهم ، ولا يمشون أنفهم ،
خاصة إذا كان أحدهم بين يدي غيره أو ربه ، أو سببه ، أو من يشبهه
ومن تكبره ، ولا يدخل أحدهم الخلاء من حيث يراه أحد ، ولا يروا بين
يدي أحد .

وليس من ذمهم الاقبال^(١) ، ولا يمشون ولا يسلمون ، ولا يمشون في الأسواق
في طريق قصدهم ، ولا الرهوع في طريق سلكوه ، ولا يمشون في الأسواق
أرجلهم في المواضع المكنوسة ، ولا يستريحون في الأماكن المرشوشة ،
ولا يجلسون في مجلس فينتقلون منه ، ولا يقعدون بحيث يقامون عنه ،
ولا يشربون ماء الأحياب ، ولا الماء في دكاكين الشراب ، ولا ماء المساجد
والسبيل ، وذلك مشني عند ذوى العقول ؛ ولا يدخلون دكان هرأس^(٢) ،
ولا دكان رواس ، ولا يجتازون بدكان مرآق ، ولا يأكلون شيئاً مما يتخذ في
الأسواق ، ولا يأكلون على قارعة الطريق ، ولا في مسجد ولا في سوق ، وفي
ذلك حديث مأثور ، وخبر مشهور ، حدثني أحمد بن الهيثم المعدل قال :
حدثني سهل بن نصر وإسحاق ابن المنذر قال : حدثنا محمد بن الفرات قال :
حدثني سعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن أبي هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : الأكل في السوق دناءة .

وظريف^(٣) لا يأخذ شعره في دكان حجّام ، ولا يدخل بغير منزر إلى الحمام ،
وقد حدثني أحمد بن محمد بن غالب صاحب الخليل ، قال : حدثني أحمد بن

(١) أقمى الكلب : جلس على استمه .

(٢) الهراس : صانع الخريسة ، أو بانفها .

عبد الله بن هشيم ، عن معنرة ، عن ابراهيم قال : النظر في مرآة الحمام دناءة .
وحدثنا أحمد بن محمد بن غالب قال : حدثنا اسماعيل بن محمد بن راشد بن
سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : من قلّة مروّة الرجل نظره في مرآة
الحجّام واطّلاعه في بيت الحائك .

وقد ينبغي للنظر يف أن يدخل الحمام على خلوة ، لئلا ينظر فيه إلى سواه ،
ولا يمدّ عينه إلى أحد ، ولا يعلق ثوبه على وتد ، ولا يمدّ يده في البئر
التي ينصب إليها الماء ، فإن ذلك مما يفعله الأديباء ، ولا يدلك يديه بخارقة ،
فإن ذلك مما يستعمله السخفاء ، ولا يتمرّع على حرارة أرض الحمام ، فإن
ذلك مما يفعله سفلة العوام ، بل ينبغي له أن يدخله متزراً ، ويقعد فيه معتزلاً ،
ولا يقعد مستوفزاً^(١) على رجله ، فإن ذلك طعن على عقله ، ولا يميل مضطجعا ،
بل ينتصب متربعا ، حتى إذا نصب العرق من بدنه ، وتحدر على جسده ،
وكان عرقه بين الكثير والقليل ، نشفه عن بدنه بمنديل ، ثم دعا لرأسه
بالغسول ، والأشنان^(٢) المنخول ، فإن كان من أهل المروّات والنعم ، وأهل
البيوتات والقدر ، ممن لا يُنسب في فعله إلى شيء ليس من شكاه ، فليبتدي
دخوله الحمام بالامساك عن الكلام ، والتجرّع من الماء الحارّ ثلاث جرّع ،
وليقعد للعرق فوق نطع^(٣) حتى إذا عرق سلت بدنه ، وجمع عرقه فوزنه ،
وهذا الفعل لا يصلح إلا لذوي نعمة أو شريف ، أو متأدّب فيلسوف ، وأما
سائر الناس من أهل الظرف ، فإنهم يتسبون بهذا الفعل إلى السخف .

ولا ينبغي لطريف أن يمشی بلا سراويل ، ولا يتزّز بمنديل ، ولا يمشی

(١) استوفز في قعدته : قعد غير مطمئن وكأنه يتهيأ للوثوب .

(٢) الأشنان : ما تغسل به الأيدي من الخض .

(٣) النطع : بساط من جلد .

محلول الأزرار ، ولا مسجل الأزار ، ولا يماكس في الشرى ، ولا يركب حمار
الكبرى ، ولا ينزل في خراب ، ولا يقبض على كتاب ، ولا يشارط صانعا ،
ولا يصاحب وضيعا ، ولا يشاتم رفيقا ، ولا يعتاب أحدا ، ولا يذكر بسوء
أخا ، ولا ينم بسريرة ، ولا يظهر خبيثة ، ولا يخون عهدا ، ولا يخلف وعدا ،
ولا يضرب^(١) بين اثنين ، ولا يفسد بين خليلين ، ولا يسعى إلى سلطان ،
ولا يغمز بانسان ، ولا يهتك حرمة ، ولا يتعرض لسرقة ، ولا يتجلى بالكذب ،
ولا يستهدف للريب ، ولا يجاهر بالزنى ، ولا ينطق بالحق ، ولا يفسد حرمة
الأخ الصديق ، ولا حرمة الجار اللزيق ؛ وأجود ما في هذا المعنى قول
الأحوص بن محمد الأنصاري :

قالت ، وقلت : تخرجني وصلي حبل امرى وبوصالكم صب^(٢)
صاحب إذا بعلي ، فقلت لها : الغدر متى ليس من شعبي
ثنتان لا أذنو لوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فليست مخلقه والجار أوصاني به ربي

ومن تكامل ظرف الظريف : ظهور بزته ، وظهور طيب رائحته ، ونقاء
درنه^(٣) ، ونظافة بدنه ، ولا يتسخ له ثوب ، ولا يدرن له جيب^(٤) ، ولا ينفق
له ذيل ، ولا يرى في دخاريصه^(٥) ميل ، ولا في سراويله ثقب ، ولا يطول

(١) ضرب : أغرى ، وشجع وحرص .

(٢) تخرج : تجنب الإثم .

(٣) الدرن : الوسخ .

(٤) الجيب من القميص : طوفه .

(٥) الدخاريص : جمع اندخريص : بنيفة الثوب ، وهي ما تجعل في نحر الثوب

له ظفر ، ولا يكبر له شعر ، ولا يفرح لا ينادي دفر ^(١) ، ولا ليدنه نحر ^(٢) ،
 ولا يدبيل له أنف ، ولا يد ودك له كنف ، ولا يظهر له شقاق ، ولا يرشش
 له بضاع ، ولا يقف في مأذنة كنف ، ولا يبراز به ^(٣) .

ومن زيمهم : من ألبس الأوداج ، وسب شربة الأندلس ، حفظ المهور ،
 وإنجاز الرعود ، وذا برامع بالبراق ، وقلة الريح في الجناح ، وحسن المفاة
 لأودانهم ، والمداودة لأخلائهم ، والتعريف لقران ، والتفقد لقران ،
 والمساندة بأبدانهم ، والمدونة بأمرهم ، وتحريف المكارن على إخوانهم ،
 وكف الأذى عن جيرانهم ، والصفح عن أسوارهم عند إسمائه ، ومقابلة
 المحسن باحسانه ، والترحيب بالصغير ، والتبجيل بالكبير .

وقد حدثني محمد بن يونس القيسي قال : حدثنا يزيد بن بيان قال : حدثنا
 أبو الرجال ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 ما من شاب أكرم شيخاً عند سنه إلا إلاقى الله له من يكرمه عند سنه .
 وقد يجب أيضاً على أهل المروءة ، مثل الذي يجب على أهل الظرف والفتوة ،
 والأدب ، لأنهما ليسا باللذاة والقصف ، ولا بالمفاخرة والحسب ، وإنما
 هما بكال المروءة والأدب . وإن يعرف الفتى جميل مواهب الفتوة إلا بسلوك
 طرائق المروءة ؛ وقد ذكرت الفتوة عند بعض العلماء فقال : إن الفتوة
 ليست بالفسق والفجور ، ولكنها طعام موضوع . وأذى مرفوع . ونائل
 مبدول ، وبشر مقبول ، وعفاف معروف ، واجتناب للقيح ، وأدب ظاهر ،
 وخلق ظاهر ، وترك مجالسة أهل الشرور ، والسمو إلى معاني الأمور ،
 والاحسان إلى من أساء ، ومكافأة من أحسن ، وقضاء حوائج الناس .

(١) الدفر : خبت الزئحة .

(٢) القمر : زئخ اللحم .

(٣) الزبد : الخبث .

فهذه جملة من ذمهم في حسن مناقبتهم ، ومستحسن جميل مذاهبتهم .
ولههم أيضا رقة الطبع ، والتلطف في كل الأمور ، والمدارات والتلق ،
والتأني والترفق ، ومن ذلك قولهم : من سبب طيباً ، أي رفق ودارى ؛
ومن ذلك سمي الطبيب طبيباً ، ترفقه ومدارته والعرب تقول : هو طيب
بالأمور ، أي عالم رقيق ، قال عمر بن أبي ربيعة :

فَأَتَتْهَا طَيِّبَةٌ عَالِمَةٌ تَخْلَطُ الْجَدُّرَ أَرَا بِالنَّسَبِ
تَرْفَعُ الصَّوْتُ إِذَا لَأَنْتَ لَهَا وَتُرَاخِي عِنْدَ سَوْرَاتِ الْغَضَبِ

ولههم حسن التأني فيما يريدونه ، ولطيف الخيل فيما يتناولونه ، وخفي
التلطف لما يظالونه ، حواجبتهم سرية ، وسرايرهم مخفية ، وأمورهم باطنة ،
وجيلهم لطيفة ، يوردون الأمور مواردها ، ويصدرونها مصادرها .

ولههم فيما استعدوا من الهدايا بينهم ، والبر والملاطفة والمكاتبة والتحفة
من غيرهم ويستصغر ؛ ومن ذلك أنهم ربما أهدوا الأترجة الواحدة ،
والتفاحة الواحدة ، والدستجوية اللطيفة ، والشامة اللطيفة ، والنهن من
الريحان ، والطاقة من الترجير ، والرطل من الشراب ، والنقطة من العود
والمخزنة من الطيب ، والشئ اليسير ، والوهط الصغير ، ونظير ذلك من
الأشياء القليلة الخفية والذليلة ، التي لا قدر لها عند ذوي العقول ، فيستكثر
ذلك منهم ويلقى بالتبول ، وتستهجن هداياهم وتستظرف ، ويفرح بها
وتستظرف ، ورغبة غيرهم من الناس في الأشياء الجميلة ، والهدايا الثميلة ،
والطرف السرية ، والتحف السنية ، غير أهل الظرف ، فانهم اقتصروا على
اللطف اللطيف ، والبر الخفيف .

ومن ذلك كتبهم الملاح ، والفاظهم الصحاح ، التي يستعطفون بها القلوب ،

ويسترون بها العيوب ، ويستقيون بها العثرات ، ويدتدون كونها المفوقات^(١) التي قد استعملوها من بديع الحرير الصيني ، ومليح الملصم النيسابوري ، وصفيق الديبج الحنفي ، ونقى التاختج والقوهي .

وتغلغوا إلى الكتاب في ذلك بالذهب والمسك ، والزعفران والسك^(٢) واتخذوا لها طرائف المناديل الرقاق ، وجياد الزنازير المدقاق ، وطيبوها بالمسك والذرائر^(٣) وعنونوها بمتضارفات الأمثال والنوادر ، وختموها بالغالية المستمسكة ، وطبعوها بتمتف الألفاظ المملوكة ، وقد ضمننت من مليح المكاتبة ، وطرائف المعاتبة ، وجميل المطالبة ، وشكبل المداعبة ، ما يقربون به البعيد ، ويهونون به الشديد .

وقد بينت ذلك أحسن البيان ، وشرحته بأخص المعاني ، ووصفت ما يتوصلون به من الرسائل ، وما يضمّنونه كتبهم من الرسائل ، في كتاب مفرد ، وكلام مجرد ، ترجمته كتاب فراح المهج ، وجعلت ما فيه ذريعة إلى الفرح ، فأغنى عن تطويل هذا الباب ، مامراً في ذلك الكتاب ، وأنا أصف لك أيضا في كتابنا هذا جملة ما استحسنوه بينهم من المكاتبة ، وما استعملوه بينهم من المعاتبة ، وأقصد في ذلك إلى مداعبة الكتاب ، ومعاتبة الأحياب ، وما تعاتبوا به من الآيات ، واختاروه من المقطعات ، وما ذكروا على العنوانات من الكلام ، وما ضمّنوه في كتبهم من السلام ، على غير نقص مني لكل ما في ذلك من الأشعار ، إذ كان قصدي في كل أبواب الكتاب إلى الاختصار . وبالله أستعين وأستكفي ، وإياه أسترشد وأستهدى .

(١) المفوقات : جمع المفوة : السقطة والذلة .

(٢) السك : ضرب من التلييب .

(٣) الذرائر : جمع الذرور : ما يذر من عطر ونحوه .

٣٦ - باب ما احتج به مؤلفنا أبو ربه في المعانيات

واستحسن من الظرفاء من ملبح المعانيات

أخبرني الوضاح بن ثابت الكاتب قال : كنتُ عند بعض الكتّاب ،
إذ دخلت عليه وصيفة كأنها قرء ، تتثنى في مشيتها كأنها جان ، أو كأنها غصنُ
بان ريان ، حتى وقفت بين يديه ، فقالت : مولاتي تقرأ عليك السلام ،
وتقول لك ، يا أخي جفوتنا من غير استحقاق للجفاء ، وملت إلى غير مذاهب
الظرفاء ، وإني لم أزل واثقة بإخائك ، راجيةً لحسن وفائك ، وتحقيق ظنِّ
مؤمِّلك ، أولى بك من الوقوف على تجنبك .

فقال لها : اقرئي تايها السلام ، وقولي لها ، يا أختي أنا من ودك ، على أحسن
عهدك ، ومن الأمل لك على أضعاف ما عندك ، ولقد استوحشتنا من فقدك ،
فاجعلي لنا حظاً من أنسك .

فسألته عنها ، فقال : جارية علي بن الجهم .

وأخبرني محمد بن إبراهيم الهمداني قال : أخبرني مولى لمحمد بن عبد الله
ابن طاهر قال : قرأت رقعة لمولاي إلى بعض إخوانه : يا أخي مددت يدا
إلى المودة مبتدئاً فشكرناك ، وشفعت ذلك بشي ، من الجفاء فعذرناك ، والرجوع
إلى محمود الوداد ، أولى بك من المقام على مكروه الصد .

وكتب بعض الظرفاء إلى صديق له : أيُّدك الله بوفاء الأدب من النزوع
إلى الجفاء ، وجعل آخر سخطك موصولاً بأول الرضاء .

وكتب بعض الأدباء إلى صديق له ، يتعنته على جفاء كان منه : ليس من
تدبير من شملته أبهة الحكم ، وسمت به معالي الهمم ، أن يعطف على
عمود صديق يعقوق ، ولا تضحل واجبات الحقوق ، ولا تُغيِّره

نُوبٌ (١) أيامه ، عن رعاية ذمامه (٢) والسلام .

وكتب آخر إلى صديق له : بدأنا بهودة عن غير خيرة ، وهجرنا من غير سبب يوجب طول الهجرة ، وقد أطمعنا أولئك في إناثك ، وآسنا آخرك من وفائك ، فسبحان من لو شاء كشف باليقين من الرأي عن غير سمة الشكر في أمرنا فأقمنا على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف ، والسلام .
وكتب سعيد بن جعيد بن جعيد إلى بعض الكتاب : بلغني حسن محضرك ، فغير بديع من فضلك ، ولا غريب عندي من برك ، بل قليل اتصل بكثير ، وصغير لحق بكبير ، حتى اجتمع في قلب قد وطن لمودتك ، وعنى قد ذلت لطاعتك ، وليس أكبر سؤلها وأعظم أربها إلا طول عجز بقاء النعمة عليك . والسلام

وكتب بعض الكتاب إلى صديق له : مازال ما أجد من عواقب رأيك ، وأشبه من وفائك ، حتى وثق في ضميري من مودتك ، ما استجدت لطاعتك ، واستوى علي من موافقتك ، ما سهل علي سبيل عتبتك فما أسألك بغلبة الهوى طريقا إلا إلى رضاك . ولا أستعين بهواك منك عليك إلا كان عوناً علي لك ، ولننعم المستعبد لي أنت علي المحامد ، واكتساب سنا الفوائد ، ولذلك أقول :

علي رقيب من هواك يهودني إليك على الحالات في الخطر والرضى
وليس هوائى حيث لا يستحقه ولكن هوائى حيث كان لك الهوى
لسانى ردين بالذى أنت فاعل ورأى موصول بما كتبه يثرى (٣)

(١) النوب : جمع النوبة : الفرصة .

(٢) الذمام : الحق ، الحرمه .

(٣) الككة : جوهر الشئ ، وأصله وقدره وحقيقته وغايته ،

وما زلت لي عوناً برأي موفّقٍ على صِلَةِ التُّرْبِي بِهَدْيِ أَوْلَى النَّبِيِّ
 وَ كَتَبَ الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ مُرُورِي أَعَارَ فِي اللَّهِ حَيَاتِكَ ،
 إِذَا رَأَيْتَكَ ، كَوَحْشَتِي لَكَ إِذَا لَمْ أَدْرِكْ ، وَحَفَظْتِي لَكَ فِي مَفْيُوكِ ، كَرَدْتِي لَكَ فِي
 مَشْهَدِكَ ، وَإِنِّي لَصَانِي الْأَدِيمِ ، غَيْرُ نَفَلٍ ^(١) وَلَا مُتَغَيِّرٍ ، فَاْمَنْحَنِي مِنْ مَوَدَّتِكَ ،
 مُؤَنَّ لِنَازِقَةِ مَشْرَبِكَ ، وَكُنْ لِي كَمَا أَنَا ، فَوَاللَّهِ مَا نَجَّحْتُ ^(٢) عَنْ نَاحِيَتِكَ إِلَّا وَأَنَا
 مَحْنِي الضَّالُّوعُ إِلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدٌ : يَا أُنْحَى مَا زَلْتُ عَنْ مَوَدَّتِكَ ، وَلَا حُلْتُ عَنْ أُخْرَتِكَ ،
 وَلَا اسْتَبْطَأْتُ نَفْسِي لَكَ ، وَلَا اسْتَزِدَّتْهَا فِي مَحَبَّتِكَ ، وَإِنْ شَخَّصْتُكَ بِمَائِلٍ
 نَصَبٍ ^(٣) ظُرْفِي ، وَلَقَلَّ مَا يَخْلُو مِنْ ذِكْرِكَ قَلْبِي . وَاللَّهِ ذُو الَّذِي يَقُولُ :

أَمَا وَالَّذِي لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْلُقِ النَّوِي أَيْنَ غَبْتُ ، عَنِ عَيْبِي ، لَمَا غَبْتُ عَنْ قَلْبِي
 يَدُّ كَرْنِيكَ الشُّوقُ حَتَّى كَمَا تَنِي أَنَا جِيْلِكَ مِنْ قُرْبٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ قُرْبِي
 وَ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ ، تَبَيَّنَ مِنْهُ جَفْوَةٌ ، سَيِدِي الْأَزْمَنِي
 الْحَضْوَعُ ، وَحَرَمْتُ عَلَى الْهَجْوَعِ ، وَضَرَمْتُ نَارًا بَيْنَ الضَّلْوَعِ ، فَتَرَكْتَنِي
 فِيكَ لَا تَدَا بِالْعَدْوِ ، وَمَمْنُوعًا مِنَ السَّوِّ ، مَنْخَفَّضًا مِنَ الْعَلْوِ ، بِهَنْزَلَةٍ مِنْ خَانَ
 وَدًّا ، أَوْ نَقْضِ عَهْدًا ، أَوْ أَخْلَافِ وَعْدًا ، أَوْ أَظْهَرِ صَدًّا ، أَوْ جَعْدِ يَدَا . أَوْ
 كَفْرِ عَارِقَةٍ ^(٤) أَوْ غَمَطٍ ^(٥) نِعْمَةٌ سَالِفَةٌ .

سَيِدِي لَمَا اشْتَغَلْتُ بِكَ النَّفْسُ الْقَلِقَةَ ، وَالْعَيْنُ الْأَرِيقَةَ ، حُلْتُ عَنْ مَحْمُودِ
 الْوَفَاءِ ، وَزُلْتُ عَنْ غَيْرِ ذَنْبٍ يُوْجِبُ عَقُوبَةَ الْمُجْتَرِمِ ، وَغَيْرِ سَبَبٍ يَقْلِدِحُ فِي

(١) النغل العانس ، أو ولد الزانية لفساد نسبه .

(٢) عاج عنه : رجع عنه ، ونزكه .

(٣) النصب : الشيء المنصوب : يقال : هذا نصب عنى ، أى أمامها .

(٤) العارقة : العطية . (٥) غمط النعمة : لم يشكرها .

مودعة العبد المهتضم^(١) ، الذي توقفته جريرته ، وتوبته^(٢) خطيئته ، وتحل به
إسائه ، وتلزمه ذنوبه .

سيدي ، أوقفني يسير جنائك ، وإعراض لحظائك ، في بحار غموم ، غريقة
غريق صياغة وغموم ، أحاطبك بلسان يعجز عن المخاطبة ، وأكابك بسيد
لا تجرى إلى المسكاتبة . وأناجيك بضمير الهيبة ، المشاهد لك في الغيبة ، مناجاة
مغرم ، وصريع تجلد ، وحليف تلدد^(٣) .

سيدي كل عذاب ووجد جديد ، وسقام عتيد ، فهو في محبتك ، والدوام
على مودتك يسير ، فأما السبيل إلى وجه السرور فتعذرة ، والخلاص في
طرق السلامة إلى الراحة فتوعرة ، قد غلب الظلمة وبعد المورد ، وقل
العزاء . وفقد الصبر ، وانحلت العزيمة ، وبطل الرأي ، وثبت الهوى ،
فتمكن في الحشا^(٤) ، فلا يحيص لعبدك عنك ، ولا بد له في حالة السخط
والرضى منك .

سيدي الرجوع إلى محمود الشيمة أشبه من العود ، بالنضل ، والتطول
بالوصل أولى بالمولى من الوقوف على الصد ، الذي يقدح في النية ، ويزيل
عقد الطوية ، وشفيعي إليك ، الذي أرجو نجاح الشفاعة خضوعي لك ، واعتصامي
بك ، وانحطاطي في طاعتك ، ووقوفي بين يديك ، مستكينا متحيرا معترفا ،
فإن ذلك أبلغ شفيع ، وأنت فيما تراه في أمرى أكرم مولى في كل حال ، فإنه
يتوقع كتاب جواب كتابه ، بما يسكن إليه ، وتتجدد به النعمة عليه ، فحقق تأمليه
وأكرم صفده^(٥) وأقيم أوده ، وتعد في جفائه ، إلى دوام صفائه ، والسلام .

(١) المهتضم : المظالم ، امتضه : ظلمه وغصبه وكسر على حقه .

(٢) أوقفه : أهلكه . (٣) تلدد : التجرير .

(٤) الحشا : ما انتزعت عليه الضلوع . (٥) الصفد : العطاء .

٣٧ - بئس ما نُسِفَوه كتبهم من الرُّسُودِ

وتسكَّاب به ذوو الظرف والأخطار

أنشدني بعض الأدباء :

هذا كتابٌ متيمٌ خَطَّتْ إِلَيْكَ أُنَامِلُهُ
مَزَجَ الْمِدَادَ بِدَمْعِيهِ فَبَسَّكَتْ عَلَيْهِ تَوَائِلُهُ
أَنْتَ الطَّيِّبُ فَدَاوِدُ يَا مُبْتَلِيَهُ وَقَاتِلُهُ

وقال آخر :

هذا كتابٌ قَتَى لَهُ هِمَمٌ عَصَفَتْ إِلَيْكَ رِجَاهَهُ هِمَمُهُ
غَلَّ الزَّمَانُ يَدَيَّ عَزِيَّتَهُ وَرَمَى بِهِ مَنْ حَالَقَ قَدَمَهُ (١)
أَنْضَى إِلَيْكَ بِسِرِّهِ قَسْلَمٌ لَوْ كَانَ يَعْقِلُهُ بِكِي قَلْبُهُ

وقال آخر :

هذا كتابي بِدَمْعِ عَيْنِ أَمْلَاهُ قَلْبِي عَلَى بِنَائِهِ
إِلَى غَزَالٍ كُنَيْتُ عَنْهُ يَجْلُ عَنْ إِسْمِهِ لِسَانِي

وقال آخر :

هذا كتابٌ أَخِي هَوَى وَصَبَابَةٌ لَا يَتَطَّيْعُ لِمَا بِهِ كِسْمَانَا
لَاقَ الدَّوَاةَ بِعَبْرَةٍ مَسْفُوحَةٍ كَانَتْ لِمُضْمَرٍ لَاعِجٍ عُذْوَانَا (٢)
قَرَحَ الْفُؤَادِ تَعُودَهُ أَشْجَانُهُ لِمَا بِهِ بِخَيْلِ الطَّيِّبِ وَخَانَا

وقال آخر :

هذا كتابٌ متيمٌ يشكو الصبابة في كتابه
فارددٌ عليه جوابه كمي يستريح إلى جوابه

(١) الخالق : الجبل المنيف المرتفع لانيات فيه .

(٢) لاق الدواة : أصلح مدادها .

لو كان ينطق ذا الكتنا

بُ شكا اليك عظيم ما به

وقال آخر :

هذا كتابٌ في شكا سقما

ألف السواد فأنفقه ^{بشده} (١)

يبكي عليه جفون مقلته

تدّد الحروف وقد يبكي قلبه

لولا مراقبة العدو ومن

أضحى من الرقيباً يتممه

لبكى عملاية وقال لهم

برح الحفاه وباح ماكتتمة

وقال آخر :

هذا كتابي اليك أشكو

أن لم تجد لي فإحتيالي

صكتت أشكو اليك ما بي

مما أقالني فإ نيمالي

ياحسن الوجه كن شقيبي

إليك إن لم أبح بحالي

ما ذكر القلب منك شيئاً

إلا تملمت لي حيسالي

وقال آخر :

هذا كتابٌ في لغيبيك حافظ

صب بذكرك مستهام مدنف (٢)

إن غبت أنس طرفه بدموعه

وإذا أصابك طرفه لم يظرف

وقال آخر :

هذا كتابٌ أخى فوى مشتاق

قرح الجفون بدمعه المهراق

أملى هواه على بنان يمينه

فأبان كيف مصارع العشاق

وكأنه يُنبي بما في نفسه

من طول شوقٍ واكتتابٍ باق

(١) شنه المرض : أوهنه .

(٢) المستهام : من ذهب فؤاده وخلب عقله من الحب . مدنف : ثقل مرضه ودنا

وقال امرئ

عند كتابك منهم مُتَشاقق
أهدى له البحران بيد ترأسه
ما عكفا فصل الكتاب فأجلى
وارثي أصبأ ما جرم قد نفضه
وأنت الذي أيراهم من منة لعمرك :

عند كتابك منهم في قلبه
فإذا قرأت كتابه فأجمل له
فلقد تركت فؤاده في غمرة
ولقد تبرم بالحياة وطولها
لا تخزين به رداه وحينسه
حاشاك من قلق أطار رقاده
وأنت الذي أيضا لنفسه :

هذا كتابي إليك فاقراً
أقلقه شوقه المعنى
لكنه في الظلام يبكي
إن كنت غضبان فأرض عني
ولأبي الطيب في هذا المعنى :
هذا كتابي إليك فاقراً

يشكر إلى مستطرف ذواق
وكذلك فصل الثاني الذي
وقد يرى إن أنت نظرت بيننا
سوى التسيب ومناة الإقلاق

تار شمره بكثرة وأصيلاً
بمد الصدود إلى الوصال سبيلاً
وتركت في الأشياء منه غليلاً^(١)
وعسى مذكاه أن يكون قليلاً
حاشاك أن تردى يداك قتيلاً
فأبي الرقاد فما يلد مقيلاً

كتاب ذي صبوة عجميد
وهده لوعة الصدود
بكا ذي الفقد للفقيه
رضى الموكلي عن العبيد
كتاب من شفه السقام

(١) انذاق : من كان وده غير خالص .

(٢) غمرة الشيء : شدته ومزدحمه . الغليل : حرارة الحب أو الحزن .

وارث لسقبي وطول صبري
ولا ترد قتلتي وخبصري
وقال آخر :

أرءى المحور في سطور كتابي
وبكائي يدل أني سقيم
أنا بين الرجاء واليأس وقف
فاذا اشتقت أن أراك أنادي
وقال آخر :

غضبت المحو في الكتاب كثير
كتب الكتاب على خلاف ضميره
ما كان دمعي للغرور وظنكم
كسبت يميني والدموع هو أطل
فالمحو من قبل الدموع وإنما
وقال آخر :

ما زلت أبكي وفي يدي قلم
أكتم وجدي والدمع يظهره
ما زلت خلوأ من الهوى فلقد
يا سيذا تاه ما يكلمني
حتى استهلكت مدامع القلم
بواكف كالجان منجم^(٢)
عذبني من هويت بالسقم
نمت وعين الشجي لم تنم

(١) أجنه : ستره وأخضاه .

(٢) وكف الدمع : سال قليلا قليلا . الجمان : اللواتي . السجم : سال قليلا أو كثيرا وانصب

أنا قتيلاً الهوى وميتته
لا عذاب الله قاتلي بدني
وقال آخر :

إني رفعتُ إليك قصةَ عاشقٍ
ولقد كنتُ ودمعَ عيني ساكبُ
إنَّ الدموعَ تفجرتُ فتحدّرتُ
لا فرجَ الله الصبابةَ والهوى
وقال آخر :

أما الرسولُ فقد مضى بكتابٍ
وتعجّلتُ روجي الظنونُ وأشربتُ
وقال آخر :

قد أناني برحمةٍ وعذابٍ
ففقوادي مفرقُ الأسبابِ
وقال آخر :

كتابُ صبٍّ بدمعِ عينٍ
يكتبه كفه بضفٍ
وقال آخر :

أنا الكتابُ فقد مضى وأمامه
طلبَ الجوابِ فأحسبوا في ودكم
هل تُنقذون متيماً ذا صبوةٍ
جودوا عليه برحمةٍ وتعطفٍ
خوفُ الرقيبِ وسطوةُ الحجابِ
لا تبخلوا عني بردَ جوابِ
أضحى أسيرَ تذكرٍ وتصابي
فلقد أظلمتُ بالصدودِ عذابي

كَلَفَ الْقُرْآنُ وَأَوْحِيَ الْأَوْصَابُ^(١)
مَشْتَبِهٌ فِي غَيْرِ مَشْتَبِهَاتٍ مَشَابِهُ

بَيْنَ الْأَطْيَبِ لِذَاتِ الْقَلْبِ وَأَسْوَرَكَا
وَقَدْ قَضَيْتُ فَأَحْيَيْتُ بِهِ دَعْمَا^(٢)

وَزُورِي زُورَةً فِي كُلِّ عَامٍ
إِلَى الصَّبِّ الْكَثِيبِ الْمُسْتَهْبِمِ
وَبَدْرِ لَاحٍ مِنْ بَيْنِ الْغَمَامِ^(٣)
أَمَانًا لِلْفُؤَادِ مِنَ الْغَرَامِ

فَوَافِقَ مَنِيَّتِي وَبُؤُغَ سُورِي
تَنَاوَلْتُ الْكِتَابَ مِنَ الرَّسُولِ
وَتَشْنِيعَ الْمَقَالَةَ بِالْخَلِيلِ

وَاشْتِعَالَ مِنَ الْهَوَى فِي ضَمِيرِي
وَعَمَسَايَ وَغَايَتِي وَسُرُورِي

مِنْ الشَّوْقِ الْمَبْرُحِ وَالْفِرَاقِ

أَمَا الْكِتَابُ مِنْ كَثِيبٍ عَاشِقٍ
لَكِنَّهُ نَادَى إِلَى ذِي سَلْوَةٍ
وَقَالَ آخَرَ :

لَوْلَا الْكِتَابُ الَّذِي بَدَأَ الرَّسُولُ بِهِ
جَاءَ الرَّسُولُ عَلَى يَأْسٍ بِمَوْعِدِهِ
وَقَالَ آخَرَ :

حَبِيبِي بِالْكِتَابِ وَبِالسَّلَامِ
وَجُودِي بِالْكِتَابِ وَعَفْوَانِيهِ
مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ يَوْمَ دَجْنِ
وَنَاحِلَةِ فَدَيْتِكَ يَا مُنْسَايَ
وَقَالَ آخَرَ :

كَتَبْتِ إِلَى يَا رُوحِي كِتَابًا
وَلَوْلَا الْعَيْبُ هَمَّتْ إِلَيْكَ لَمَّا
مَخَافَةَ نَظَرَةٍ مِنْ عَيْنِ وَاشٍ
وَقَالَ آخَرَ :

لَمْ يَزِدْنِي الْكِتَابُ إِلَّا اشْتِيَاقًا
بِأَنْتِ يَا حَبِيبَةَ قَلْبِي
وَأَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ لِنَفْسِهِ :

كَتَبْتَ إِلَيَّ تَذَكْرَ مَا تُلَاقِي

(١) الأوصاب : جمع الوصب : المرض والوجع الدائم ونحوه الجسم .

(٢) الرمق : بقية الحياة .

(٣) دجن اليوم : كان فيه غيم ومطر .

أمرتك ما أهتمتُك في وداي
 فؤادي هائمٌ والعينُ تَذرى
 وقد ذقتُ الفراقَ وكانُ مرًا
 على أني وإن أبديتُ صبرًا
 وقال آخر :

قولا لمن كتَّبتُ الكتابَ بكفِّه
 ما زلتُ أبكى مذ قرأتُ كتابها
 وقال آخر :

الدمعُ يمحو ويدي تكتبُ
 أمارُ خدِّي قُر زاهرُ
 لقد برأتني سقمٌ قاتلُ
 وقال الحسين بن وهب :

يا منماي وسروري جمادنا غير يسير
 والذي نشكوه في الكنائبِ قليلٌ من كثير
 لم تطيقِ السننَا من وصفه عشرَ عشر
 فثقي يا أبى أنتِ بمكنونِ الضمير
 ثم قولي مَطَّلِعِ الجَوِّ زَاوِ والشَّعْرَى العَبُورِ (١)
 حَفِظَ اللهُ قِيَّ بَا تَ لها خيرٌ سمير

ولبعض المحدثين :

من الوهمِ من آثارِ قبرٍ مسنمٍ وهامُ ترى قبرَ القَتِيلِ المتيمِّمِ

(١) الجوزاء : برج في السماء . الشعري العبور : كوكب في الجوزاء .

وَمَنْ طَلَّلَ لِلشُّوقِ لَمْ يَعْضِهِ الْبَيْلَى
الذِي زَيْتُهُ الدُّنْيَا وَهَنْبِيئَةُ أَهْلِهَا
وَأَمْلَحَ خَلْقَ اللَّهِ قَدْماً وَصُورَةً
سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ شَفَنِي وَأَذَابِي
وَوَكَّلَنِي بِالنَّجْمِ أَرْعَى أَفْوَالَهُ
وَأَحْمَدُ مَنْ أَبْلَى شَبَابِي بِحَبِّكُمْ
وَبَعْدُ فَتَقَدُّ وَاللَّهِ يَا سُوْلَ عِبْدِيهَا
وَنُوْيَ وَفَاوْ لَيْسَ بِالْمُتَهَدِّمِ
وَأَحْسَنَ مَنْ يَزْهَوُ بِطَرْفِ وَهَيْدِسِمِ (١)
وَدَلًّا وَإِدْلَالًا عَلَيَّ حَبِّ مَقْرَمِ
وَأَسْكَنَ قَلْبِي كُلَّ وَجْدٍ وَمَا لَمْ
وَأَنْدَبُهُ بِالذَّمِّ طَوْرًا وَبِالدَّمِّ
عَلَى الْبُؤْسِ وَالسَّرَّاءِ حِينَ التَّنَعُّمِ
وَمَوْلَاتِهِ أَنْضَجَتْ أَحْشَاءِي فَأَعْلَبِي

٣٨ - وَمَا ضَمَّنُوهُ كَتَبْتَهُمْ مِنَ السَّلَامِ

وَجَعَلُوهُ تَلْوَاً لِلشَّعْرِ وَالنِّظَامِ

عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا سَلَامٌ مُودَعِ
سَلَامٌ مُحِبُّ خَانِهِ حُسْنُ صَبْرِهِ
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مَا هَبَّتِ الصَّبَا
سَلَامٌ سَقِيمٌ مَذَقَ القَلْبِ مُفْرَحِ
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ مَا لَاحَ كَوْكَبُ
سَلَامٌ غَرِيبٌ شَفَّهُ الْوَجْدُ وَالْهَوَى
آخِرُ: عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ هَلْ أَنَا مَيِّتٌ
فَعِيشِي بِخَيْرٍ وَأَسْأَلِي لَيْسَ حَبِّكُمْ
وَلَكِنْ سَلَامٌ لَمْ يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ
فَأَصْبَحَ فِي كَرْبِ الْحَيَاةِ وَفِي جَهْدِ
وَمَا قَرَّ الْقَمْرِيُّ فِي وَرَقِ السِّدْرِ (٢)
مَشُومٍ عَلِيلٍ مُشْعَلِ القَلْبِ بِالْجَمْرِ
لِسَارِي اللَّيْلِ وَاسْتَوْسَقَ الْبَدْرُ (٣)
وَبَلَّ حَشَاهُ الْهَمُّ وَالذِّكْرُ وَالْعُسْرُ
يَدَاهُ هَوَاؤَيْكَ الشَّقِيُّ الْمُقْلَقِلِ
وَلَا الْوَجْدَ عَنِي مَا حِيدَتْ بِمُنْجَلِي

(١) أليسم : الحسن و الجمال .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . قرفر : ردد صوته . القمرى : ضرب من الحمام

السدر : شجر التبق .

(٣) استوسق : اجتمع .

آخر: عليك سلام الله أما قلوبنا
 نبيت بود خالص وصباية
 آخر: عليك سلام الله قد شطت النوى
 أموت بوجسد مضمير وصباية
 آخر: عليك سلام الله قدمت صبوة
 أرى الصبر عنكم كأنهم مذنايم
 آخر: عليك سلام الله قلبى متوق
 ومثل الهوى أضنى الحشاو مثل ما
 آخر: عليك سلام الله قدر صبايتى
 أبيت حليف ألهم والوجد والآسى
 آخر: عليك سلام الله ما حن آتف
 سلام مشوق نحوكم متطلع

فمرضى وأما وذا فصحيح
 وتقدو بحب صادق ونروح
 وقد كدت ألقى الله من كمد جهدا
 وأزداد إن زدتم على نأ بكم صدا
 ومالى عزاء مذنايم ولا صبر
 فقد وجلال الله ضاق به الصدر
 وجسمى نحيل والمدامع تذرف^(١)
 بليت به تمنكى القلوب وأشعف^(٢)
 إليك وشوقى أننى مدنف القلب
 رهين يد الأحران والشوق والكرب
 وما اشتاق ذو وجد وما طلع الفجر
 أحن حسرات خانه فيكم الصبر

٣٩ - باب ما كتبه على العنوانات

وسلكوا به سبيل المداعبات

إلى سبى ومالكى وروحي
 آخر: إني الشمس المنيرة حين تبدو
 من الصب الكئيب أحن التصابي
 آخر: من الدنف الذى يضحى حزينا

من الجسد الطريح بغير روح
 غداة الدجن من بين الغيوم^(٣)
 حليف الشوق مختبئ الغوم
 وبين ضلوعه قلب مصاب

(١) متوق : مشتاق .
 (٢) تمنكى : تقهر باقتل والجرح . شعفه الحب : غشى قلبه وغلبه .
 (٣) الدجن : المطر الشديد .

إلى النخود التي أبليت شهابي
آخر : منى إلى قلبي ولم أر كاتبسا
أرى كل شيء باليا متغيرا
آخر : منى إليك فاني هائم دنف
النفس ذاهية والعقل محتلس
آخر : منى إليك فما وجدى به نصيرم
ولو رأيتك يوما لا نقضى حزنى
آخر : منى إليك فإني هائم قلق
الله يعلم ما بالقلب من قلق

فأضحى ما يسرعني الشراب^(١)
يخط بأقلام إلى قلبه قبلي
وحبك لا يبلى وسكنه يبلى
حاف السقام براني الشوق والأسف
والقلب محتبس والروح محتطف
حتى الممات وما قلبي به مذور
وعاد عيبي صفوا بعد تكدير
حليف هم قرين العين بالسهد
إذا نأيت وما ألقاه ككمد

وقد مضى من هذا الباب ما فيه كفاية ، ولو ذهبت إلى تطويله لم يكن
لآخره نهاية ، وقد أحببت أن أختم كتابنا بأشياء يستحسنها الظرفاء ،
ويجوز إليها الأدباء ، مما يكتب على الأقلام من التنف^(٢) ، وملح المقطعات
والطرف ، وأنا ذاكر في ذلك بعض ما استحسنته ، وملحها مما استرققته ،
إن شاء الله .

قد جمعنا في هذا الفصل أشياء من مستظرفات الأشعار ، ومستحسن
الأخبار ، ومنتخبات الأبيات ، ومنتخب المقطعات ، ونوادير الأمثال ،
وملح الكلام ، الذي يجوز كتابه على الفصوص والتفاح ، والقناني
والإقداح ، وفي ذيول الأ قصة والأعلام ، وطراز الأردية والسكام والقلانس

(١) الخود : الصبية .

(٢) التنف : جمع التنفة . وهي من الشيء : القليل منه .

(٣) المنتخل : أفضل ما يختار .

والكرازن ، والمصائب ، والتسكك ، والرقايات ، وعلى المناديل
والريساتد، والنخاد والمقاعد، والناصر، والحلج، والأسرة والتسكك، والرفارف
ووجوه المستنظرات، وفي المجالس والايوانات، وصدور البيوت والقباب،
وعلى السور والأبواب، والنعال السندية. والخفاف الزنانية، وعلى الجباه
والطرر، وعلى الحدود بالنالين والعنبر، وعلى الوطأة والوشاح، وفي تفليج
الآترج والتفاح، وتما يُعدّل به من تنضيد الورد والياهمين، ويكتب على
أواني الذهب والفضة والسكاسين، وقضبان الخيزران المدهونة، والنخاد
الصينية، والمرائح والمذاب، والعيدان والمضارب، والطبول والمعازف،
والنبايات، والأقلام، والدنانير والدراهم، وجعلنا ذلك أبواباً مبهوبة،
وحدوداً مهيئة، لتتف على أصولها، وتبين حسن فصولها.

٤ - باب ما يكتب على النصوص

نقش بعض الظرفاء الصوفية على خاتمه:

أنا لله وبالله أنا	أنا والله بقرّ بالفناء
آخر: قد فاز بالطاعة من نالها	نعمت الطاعة عمّالها
آخر: أعمدّت لذنبي	حسن ظني برّبي
آخر: ختم الله بخير عملي	وتوفاني نبي حبّ علي
آخر: حبّ علي بن أبي طالب	فرض على الشاهدين الغائب
آخر: بحب آل محمد	ألقى إله محمد
آخر: أنا بالله قانع	إن ربّي لصانع
آخر: أنا بالله واثق	إن ربّي لرازق
آخر: أنركاني والمعاصي	وعلى الله خلاصي

آخر : ما علينا من جناح
آخر : أحب من يهـواني
آخر : آفة عقلي بصري
آخر : تحت ثيابي بدن نايل
آخر : أمسيت عبدا لك لا أجدد
آخر : أنا مولى لأهل هل
في هوى البيض الملاح
برغم من ينهاني
وله عقلي نظري
وفي فؤادي شغل شاغل
أنا مقر والهوى يشهد
من توألهم عقل

يعنى : هل أتى على الانسان ، لأنها نزلت في على .

ومما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم

القناعة خير من الصراعة .

التقل خير من التذلل .

السلامة خير من الندامة .

الأسف أهون من التكاف .

بادر الفرصة قبل أن تكون الفصة^(١) .

المهرب قبل الطاب .

الفرار قبل الحصار .

الرجوع قبل الوقوع .

وفي ضرب آخر

لكل حق حقيقة ، ولكل زمان خليفة .

القصد^(٢) أقرب من التعسف^(٣) ، الكيف أحرى من التكلف

(٢) القصد : نقيض الإفراط

(١) الفصة : الحزن ، الهم .

(٣) التعسف : الظلم .

الموت معتبر ، والسبيل مختصر
الحق يتجلى ، والباطل يردى
النصح ملامة ، والتصريح سلامة
الأمل يلوئى ، والشيطان يغوى
لسكل أمرىء طريقة ، ولسكل عامل رثيقة .
بطول التجارب ، يكشف المآرب
طول الاعتبار ، من حسن الاختبار
قوت الأمل ، أشد من حضور الأجل .

ورما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم

هَن كَثُرَتْ لِحْظَاتِهِ ، دَامَتْ حَسْرَاتُهُ
مَنْ تَدَاوَى بِدَائِهِ ، لَمْ يَصِلْ إِلَى شِفَائِهِ
مَنْ قَدَّمَ هَوَاهُ ، دَامَ أَسَاهُ^(١)

العقل عند الهوى أسير ، والشوق عليهم أمير
إذا كثر الجفاء ، قلَّ الوفاء

إذا صحَّ الظفر^(٢) ، وقعت الغير^(٣) .
إذا صحَّت القلوب ، اعتفرت الذنوب .

قلَّ من سلا ، إلا استفزه الهوى .
مَنْ مَنَعَ مِنَ النَّظَرِ ، اقْتَصَرَ عَلَى الْإِثْرِ
مَنْ مَنَعَ مِنَ الْوِصَالِ ، قَنَعَ بِالْخَيْالِ .

(١) الأسى : الحزن

(٢) الظفر : الفوز والغلبة .

(٣) غير الدهر : أصدانه .

وفي ضرب منه آخر

الحَيْنُ ، خَيْرٌ مِنَ البَيْنِ (١) .
التَّبْرُ ، أَفْسَحُ مِنَ الهَجْرِ .
المَوْتُ ، خَيْرٌ مِنَ النُّوْتِ .
غُصَصُ الفِرَاقِ ، شَرٌّ مِنَ السَّبَاقِ .
كَأْسُ الهَجْرِ ، أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ .
طُولُ الجَفَاءِ ، يُكَدِّرُ الصَّفَاءِ .
حُسْنُ الوَفَاءِ ، رُكْنُ الإِخَاءِ .
آفَةُ الحَبِيبِ ، نَظَرُ الرَّقِيبِ .
آفَةُ الغَزَلِ ، سُرْعَةُ المَلَلِ .
الهَوَى ، ثَوْبُ الضَّنَى .
ذَهَبَ الفِرَاقِ ، بِحِيلَةِ العِشَاقِ .

وفي ضرب منه آخر

حَفِي فَلَغِي ، أَلِفٌ فَتَلَفَ ، حَنٌّ فَأَنَّ ، حَظِي فَرَجِي ، عَشِقُ فَرَهِقُ ،
هَوَى فَضَنِي ، مُصِرٌّ فَظَلَمَ ، صَدٌّ فَجَدَّ ، صَبْرٌ فَقَدَّرَ ، مُنِيعٌ فَجَزَعَ ، نَالَ
فَاسْتَطَالَ ، بَاحٌ فَاسْتَرَا حَ ، سَلَا وَقَلَا ، مَالِكٌ فَتَمَتَكَ ، عَدَلٌ فَفَقَتَلَ ، عَفٌّ فَكَفَفَ ،
وَكَانَ الحُسْنَ بِنِ وَهَبِ تَعَشَّقُ جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا : نَاعِمٌ ، فَتَنَكَّسُ (٢) اسْمُهَا ،
وَنَقَشَ عَلَى خَاتَمِهِ مُعَانٌ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي أَيْبَاتٍ يَقُولُ فِيهَا
نَمَشْتُ مُعَانًا عَلَى خَاتَمِي لِكَيْمَا أُعَانَ عَلَى ظَالِمِي

(١) الحين : الحلال . البين : الفرقة ،

(٢) تنكس : قلبه على رأسه وجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره .

كذا اسم من هام قلابي به وأصبح في حاله الهالك
نكبت الهجاء فأعلنته بطرفي ليضفي على الخازم

وكان محمد بن عبد الملك الزيات يحب بعض جواري القيان ، ثم تنكر لها ؛
فكثبت على خاتم لفظاً تعرض له ، بالعتاب ؛ فبلغه ذلك ، فكثب على خاتمه
ضد ما كثبت ، فبلغها فبحت ما كان على خاتمها ، وكثبت ضد ما كثب ، فبلغه
ذلك ، فبعت ما كان على خاتمه ، وكثب ضد ذلك في أبيات يقول فيها :

كثبت على فص خاتمها من دل من أحبابه رقدا
فكثبت في فصي ليلعلمها من نام لم يشعر بن سهدا
فحنته واكثبت ليلعلمني ما نام من يهوى ولا هجدا^(١)
فمحرته ثم اكثبت أنا والله أول ميت كمدأ
قالت : يعارضني بخاتمه والله لا كلمته أبدا

٤١ — باب ما وير على التنازع

من الألفاظ الملاح

قرأت على تفاعلة مكتوبا بهاء الذهب :

قبل تُسدوني فخطوا في سطرًا من ذهب
إنني أعطف من صد ليصفي ذا كرب

وعلى أخرى بالفضة :

ليس شيء يتمادي مثل تفاع مکتب
خط بالفضة (من نبت) رأس (تحرير ذهب)^(٢)

(١) هجد : نام بالليل .

(٢) رياض بالأصل وقد أكناه عما يتفق والمعنى .

يَا مُنَى قَلْبِي مَا تَرَى فِي لِيذِي عَشَقٍ مُعَذِّبٌ
وعلى أخرى: أَنَا لِلْأَحْبَابِ بِاللَّهِ رٌ وَبِالْوَصْلِ رَسُولٌ
أَتَهَادَى فَأَرْقُ إِلَهُ قَلْبٌ وَالْقَلْبُ مَلُولٌ
وعلى أخرى: وَإِذَا مَا مُرْسِلٌ نَدَى مِمَّ فَمَا أَنْتِ نَمُومَةٌ
أَنْتِ رَيْحَانَةُ قَلْبِي مِمَّ لِلسُّرِّ كَتُومَةٌ
وعلى أخرى: أَنَا شَمَامَةُ الْكَرِيمِ (مِمَّ أَنْيَسٌ) لِلْجَلِيلِهِ (١)
وَرَسُولٌ مُبَارَكٌ مُذْهِبٌ صَدَّ مَوْئِبَهُ
وعلى أخرى: إِشْرَبْ عَلَيَّ خَمْرَةَ تَفَاحٍ يَا هُوَ نَيْسِي مِنْ بَارِدِ الرِّاحِ
حَيَّاكَ مَعْشُوقٌ لَهُ زَهْرَةٌ وَقَيْنَةٌ بِالْعُودِ مِفْصَاحِ
وعلى أخرى: مَا تَحْيَا بِيَلَامِ النَّاسِ مِمَّ مُذْ كَانُوا بِمِثْلِي
إِلَى طَيْبٍ وَبَقَاءٍ وَمَلَا حَاتٌ تُسَلِّي
وعلى أخرى: لِي طَرَاوَكٌ وَرِيحٌ مِمَّ مَاءٌ وَنَضَارَةٌ
لَيْسَ لِي يَاقُوتٌ فَضْلٌ كُلُّ يَاقُوتٍ حِجَارَةٌ
وعلى أخرى: جَرَّحَ اللَّهُ الَّذِي يَجِدُ رَحٌ بِالسُّكَّانِ نَحِي
فَلَجُّوا حَامِضَةً إِنَّهُ يَ كَيْتِلُ الشَّهْدِ طَعْمِي
وعلى الأخرى: أَنَا خَمْرَاءُ دَعَوْنِي مِلْحِبٌ وَحَبِيبِ
وَكَلُّوا ذَاتَ بَيَاضٍ أَسْكَمَهَا غَيْرَ مَعِيبِ
وعلى الأخرى: حَيَّاكَ إِنْسَانٌ لَدَرُوقٌ نَوَارَةٌ دَانِيَّةٌ تَزْهَرُ
تَفَاحَةٌ خَمْرَاءُ مَنقُوشَةٌ تَخْجَلُ مِنْ خَمْرَتِهَا الْجَوْهَرُ

(١) بياض بالأصل وقد أكلناه بما يتفق والمعنى .

٤٢ — باب ما وجه على نيبول الأرقصة والمؤلفين

وطرز الأردية والآكام

قال الماوردي : رأيت جارية ، ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة ،
لم أشك أنه عاشق لها واليهما مائل ، لما رأيت من حركته إذا نظرت ،
وسروره إذا نطقت ، وتهلله إذا غنت ، وكانت فوق وصف الواصف من
الحسن والجمال ، وعليها قميص موشح بالها ، ورداء معين ، مكتوب في
وشاح القميص :

أَغْيِبْ عَنْكَ بُوْدٌ لَا يُغَيِّرُهُ نَأْيُ الْحَلِّ وَلَا صَرْفُ مِنَ الزَّمَنِ (١)
تَعْتَلُّ بِالشُّغْلِ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا الشُّغْلُ لِلْقَلْبِ لَيْسَ الشُّغْلُ لِلْيَدَيْنِ

وعلى طراز الرداء :

أَقَلُّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا سُرُورًا مَحِبٌّ قَدْ نَأَى عَنْهُ الْحَبِيبُ

قال : ورأيت جارية لبعض الهاشميين يقال لها : عريب ، عليها قميص

ملحم ، موشح بالذهب ، مكتوب في وشاحه :

وَأَنَا لِأَهْوَاهِ مُسَيِّمًا وَمُحِبِّمًا وَأَقْضِي عَلَى قَلْبِي لَهُ بِالَّذِي يَقْضِي
فَتَى مَا رَوْحُ الرِّضَى لَا يَسْأَلُنِي وَحَتَّى مَتَى أَيَّامِ سَخَطِكَ لَا تَقْضِي (٢)

وعلى طراز كفه :

إِذَا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وَأَسْأَلُنِي الْعَرَى فَفَرَقَةٌ مِنْ أَهْوَى أَحْرَى مِنَ الْجَسْرِ

ورأيت على ماجن ، بجارية مكاتم المغنية ، قميصا في وشاحه بالذهب :

زَفْرَاقِي لَيْسَ تَفْسَى وَفُؤَادِي بِكَ مَضَى

(١) صرف الدهر وصروفه : نوابه وحدثاته .

(٢) الروح : الراحة . والرحمة .

أَرْضَاكَ وَأُبْدِيكَ لَكَ (حَبِيبًا ذَاقَ غَمِّي) نَأْنِي
بِأَبِي كَمْ أُنْتَى وَإِلَى كَمْ أُنْتَى
بِعَسِّ مَا أَصْبَحَ قَلْبِي فِي يَدِ الْأَحْرَارِ رَهْنًا

قال : ورأيت في صدر قيص جارية تجارحة الكوفية ، مكتوباً بالفضة
والذهب سطرًا وسطراً :

يَا قَتَى قُلْتُ إِذْ دَعَانِي هَوَاهُ مُسْتَجِيبًا لِصَوْتِهِ لَبِينَا
مَا بَعَثَتْ مُقَلَّتِي لِقَمَدِكَ إِلَّا جَزَعًا أَنْ أَمُوتَ شَوْقًا إِلَيْكَ

قال : ورأيت مرة أخرى عليها دُرَاعَةٌ مَلْحَمِ بَرَانِينَ أَبْرِيسَمَ ، وَلِبْنَةٌ
سُورَةٌ مُجَرَّدٌ ، وَفِي دَوْرِ اللَّبْنَةِ مَكْتُوبٌ .

يَارَامِيَا لَيْسَ يَذْرَى مَا الَّذِي فَعَلَا أُمْسِيكَ عَلَيْكَ فَإِنَّ السَّهْمَ قَدْ قَتَلَا
أَصَبْتَ أَسُودَ قَلْبِي إِذْ رَمَيْتَ فِئَلَا شَلَّتْ يَمِينُكَ أَنْ صَيَّرْتَنِي مَمْلَا

وكتبت بُنَاكَنَ جَارِيَةَ الْخَيْزُرَانِ عَلَى تَرَانِينَ دُرَاعَةٍ لَهَا بِذَهَبٍ :

لَمْ تَقْمَلِي قَوْلًا وَلَكِنْ سَخَلْتِ أُنْمَا أَحْسَنَ عَيْنٍ أَطْرَقَتْ
رَجَمْتَ أُنَى قَسْمًا لِأَحْفَلْتِهَا أَيُّ عَيْنٍ لَحَقَلَتْ فَأَعْتَرَفَتْ
أَظْهَرْتَ حِجَّةً مِنْ يَعْشَقُهَا وَاسْتَبَاحَتْ غَنَلَةً وَأَنْصَرَفَتْ
وَعَلَى طَرَازِ كَمَاهَا

لَيْسَ بِي صَبِيرٌ وَلَا بِي جَلَدٌ قَدْ نَفَى حُبُّكَ دَنِيَّ جَلَدِي

وأخبرني بعض أصحابنا قال : أخبرني من رأى في ذيل جارية الحسن بن

قارن مندوجا في السلم :

أَحْسَنُ مَا قَدَّ خَلَقَ اللهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْهُ
شَكَوَى فَنَاءَ وَقَى يَعْتَقِبَهَا وَتَعَشَّقَهَا
نَارُ الْهَوَى دَائِيَّةٌ تَحْرِقُهَا وَتَحْرِقُهَا
يَا حَبِذَا الْحَبِّ إِذَا دَامَ وَدَامَتْ حَرَقَتُهُ

وكتبت رأهي ، جارية الأجدب ، قبل أن يشترها اسحاق بن إبراهيم
الموصلى ، على وشاح قيصها :

إِذَا وَجِدْتُ لَهَيْبَ الشَّوْقِ فِي كَبْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَايَ الْقَوْمِ أَبْتَرِدُ
مَهْنِي طَفَيْتُ بِبَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرِهِ فَمِنْ إِهْرَءٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ يَتَّقِدُ
وكتبت جارية لقيجة على رداء لها رشيدى :

أَرَاهُمْ يَأْمُرُونَ بِقَطْعِ وَصْلِي مُرِيهِمْ فِي أَحْبَبْتِهِمْ بِذَلِكَ
فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ تَعَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاوَرُوكَ فَاعْصِي مَنْ عَصَاكَ
وكتبت جارية أبي حرب على رداء لها بمسك :

مَنْ أَلْفَ الْحَبِّ بَسَى مَنْ شَفَّهَ الشَّوْقَ شَكَ
مَنْ غَابَ عَنْهُ الْفَهْ أَوْ صَدَّ عَنْهُ هَلَاكَ
يَا مَالِكَا عَذَّبَنِي بِجَوْرِهِ إِذْ مَسَاكَ
رِفْقًا بِمَمْلُوكِكَ مَا يَحْسِلُ ذَا الظُّلْمِ لَكَ

وكتب بعض الظرفاء على طراز مطرف خز :

وَهَبْتُ شِمَالَ آخِرِ اللَّيْلِ قَرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بِرُدِّهَا وَرِدَائِيًّا^(١)
فَمَا زَالَ ثَوْبِي طَيِّبًا مِنْ رِيَائِيهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أُنْهَجَ الثَّوْبُ بِأَلْيَا^(٢)

(١) لينة قرّة : باردة ، البرد : ثوب مخطط . (٢) أنهج الثوب : بلى .

وكتبت دبسية جارية زُرُور على قباء معصفر :
وما البدرُ المسيرُ اذا تجلَّى هُدُوءًا حـ ينزل بالعِراقِ
بأحسن من بُشينة يوم قامت تهادى في معصفرة رِقاقِ

٤٣ - باب ما ورد على اسكرازر رلهصاب

ومشاد الطرر والذوائب

وكتبت غلل على قلنسوة لها ديباج^(١) ، وهي جارية محمد بن المأمون :
ما يكلُّ الحبيب طولَ التَّجَنِّي لِجَلالِي به ولا الصَّدَّ عَنِّي
كلُّ يومٍ يقول لي لسكذبت يتجنى ولا يرى ذلك مِنِّي
ربما جئتُه لِأَسلفه العُدَّ رَلبعضِ الذُّنوبِ قبل التَّجَنِّي
وكتبت جارية المارقى على قلنسوة لها بذهب :

كَنبَ الشَّوقِ في فُوادِي كتابًا هوَ بالشَّوقِ والهوى، تَحْتوم
رَحِمَ اللهُ مَعْشَرًا فارقوني لا يُطِيعون في الهوى مَنْ يَلوم
ساق طرْفِي الى فُوادِي بِلالِي إنَّ طرْفِي على فُوادِي نَشوم

وكان على قلنسوة جارية محمد بن سعيد الفارسي مكتوبا :

أنا بعد القضاء سُمْتُ فُوادِي وأصبت الغداة عَيْنِي بِعَيْنِي
لم تزل بي حوادث الدهر حتى فَرَّقَتْ بَيْنَ مَنْ أَحِبُّ وَبَيْنِي
وكتبت جارية الحباب على قلنسوة لها :

الله يَحْفَظُه على شَحَطِ النَّوَى ما كان أوَصَلَه إلى تَصَدِيهِ

(١) القلنسوة : نوع من ملابس الرأس ، وهو على هيئات متعددة ، الديباج :

الثوب الذي سناه ولحمته حرير .

وكتبت جارية ابن السلمي على كرزنها^(١) :

الشمس تطلع للغيب ولا أرى شوقى إليك على الزمان يغيب
وكتبت بنان الشاعرة على قلنسوة لجاريتهما :

إن كنت خنت ولم أضمر خيانتكم فإله يأخذ بمن خان أو ظاناً
سماحة من محب خان صاحبه ما خان قط محب يعرف الكرماء
والله لا نظرت عيني إليك ولا سألت مسأريها شوقاً إليك دماً^(٢)

وقال الجاحظ : رأيت نشوان ، جارية زلزلى ، وعليها عصا به مكتوب عليها :
عدين مسهدة في مائها غرقت باليتها ذهب لو لم تكن خلقت
لم تذهب النفس إلا عند لحظتها ولا بكت بدم إلا لما أرقت
يا مقلّة سوف أبكيها ويا كبدًا بها أحاط الهوى والشوق فاحترقت
وكان على كرزنها :

الحب يعرف في وجوه ذوى الهوى باللحظ قبل تصافح الأجنان
قال : ورأيت على قلنسوة تباريح :

أهل الهوى في الأرض تلقأهم بمشون أحياء سكاً موات
وكتبت شادين ، جارية خنت قيمة جوارى المأمون ، على وقاية تجمع
بها ذوائبها :

ببضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو جئل أسحج^(٣)
فكأنها فيه نهار مشرق وكانه ليل عليها مظلم

(١) الكرز : ناع منوك فارس وهو مرصع بالذهب والجواهر .

(٢) المسارب : جمع المسربة : مجرى الدمع .

(٣) فرع المرأة . شعرها . جئل الشعر : كثر والنف واسود . أسحج : أسود .

وقال علي بن الجهم : حضرت مجلس بعض الثرغاء ، فخرجت علينا بجارية كأنها شمال ، وعليها عصابة تد أرسلت لما طرفين ، على صدرها مكتوب :

دَنْ يَسْكُنُ صَبًا وَفِيًّا قَرَمَائِي فِي يَدَيْهِ
حُسَيْنٌ مَلِيكِي بَعْنَانِي لَا أَنْزَعُكَ عَلَيْهِ

قال : فوثبت فأخذت بطرفي العصابة وقلت : أنا والله صب ، وأوفى خالق الله لمحبي ، قالت : إنه لا بد للفرس من سوط ، قلت : يا غلام ، هات السوط : قالت : هيهات إذاك سوط الدواب ، وسوط مثلي شبيهه^(١) فضضة وعلاقته ذهب .

وكان علي قلنسوة زين مغنية اسماعيل :

أَقِيمُ عَلَى الْأَصَالِ مُنْتَظَرًا لَهَا وَتَدَّ أَشْرَفَتْ مِنْ هَوْلِ ذَاكَ عَلَى نَهْيِ
أَمُوتِ وَأَسْتَحْيِي الْهَوَى أَنْ أَدُمَّهُ وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُ فِي عِنَاءٍ وَفِي كَرْبِ

وقال الزبير بن بكار : رأيت علي قلنسوة بعض المفتيات :

أَدْمَيْتَ بِاللَّحْظَاتِ وَجَنَّتْهَا فَاقْتَصَّ نَاطِرُهَا مِنَ الْقَلْبِ

وعلى عصابةها :

فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَحَاسِنِهَا أَخْرَجَتْهَا عَطَالًا مِنَ الذَّنْبِ

وقال الماوردي : رأيت جارية لبعض ولد المأمون ، وعليها قلنسوة

عليها مكتوب :

يَا تَارَكَ الْجِسْمَ بِلَا قَلْبِ إِنْ كَانَ يَهْوَاكَ فَمَا ذَنْبِي

يَا مَفْرَدًا بِالْحَسَنِ أَفْرَدْتَنِي مِنْكَ بِطُولِ الشُّوقِ وَالسُّكْرِ

وعلى كرزها :

أَنَا الْعَبِيدُ الْمُقَرُّ بِطُولِ رِقِّهِ وَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْ عَبْدٍ خِلَافٌ

(١) الشيب : سير السوط .

قال : ورأيت علي جارية لأبي كرزنا مكتوبا عليه :

عَذَّبَهُ بِالْمَيْسِرِ مَوْلَاهُ وَزَادَهُ شَرْقًا وَأَحْسَنَاهُ
فَدَعَاهُ يَمْحِرِي عَلَى خَدِّهِ وَنَمَّ لِلْوَجْهِ تَعْنِيَاهُ
قَدْ كَتَبَ الْحُبُّ عَلَى قَلْبِهِ : مَتَّ كَمَدًا بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ

وكتبت جارية لعيسى بن جعفر بن منصور، وكانت قيمة له، علي كرزنها :
لَيْتَ النَّقَابَ عَلَى الْقَبَاحِ مُحْرَمٌ وَعَلَى الْمِلَاحِ خَطِيئَةٌ لَا تُنْفَرُ
وكتبت علي رفاية تجمع بها صفاتها :

بِجَزَى اللَّهِ الْبِرَّ اقْضِ مِنْ ثِيَابِ عَنِ الْعَيْنَيْنِ شَرًّا مَا يَقِينَا
يُنْظِرِينَ الْمِلَاحَ فَلَا تَرَاهُمْ وَيَسْتُرُنَّ الْقَبَاحَ فَيَسْتَوِينَا

وكتبت عارم، جارية جناح، علي كرزنها، وكانت تتعشق بهض ولد
الحسن بن وهب :

وَإِنِّي لَا أَخْلُو مِنْذُ فَقَدْتُكَ دَائِمًا فَأَنْقَشُ تَمَالًا لَوَجْهِكَ فِي التُّرْبِ
فَأَسْقِيهِ مِنْ دَمْعِي وَأَبْكِي تَضَرُّعًا إِلَيْهِ كَمَا يَبْكِي الْعَبِيدُ إِلَى الرَّبِّ

وكتبت ابنة الرضاوية، وكانت تتعشق ابن الرشيد، علي كرزنها :

قَالُوا عَلَيْكَ سَبِيلُ الصَّبْرِ، قُلْتُ لَهُمْ : هِيَ بَاتَ أَيْنَ سَبِيلُ الصَّبْرِ قَدْ ضَاقَا؟
مَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ حِينَ يُبْصَرُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ الطَّرْفُ مُشْتَاكَا

قال الفضل بن الربيع : قال أبي : رأيت علي تصابة دبسيه جارية

أبي حرب :

تَحْسِنُ وَجْهَكَ تَمْحُو الذُّنُوبَا وَتَعْمَلُ فِي الْقَلْبِ شَيْئًا عَجِيبَا
فَإِنْ نَمَّ تَهْجُرُنِي ظَالِمَا تَجْنِي وَتَحْصِي عَلَيَّ الذُّنُوبَا

وكتبت شمسة الطَّبُورِيَّة على عصابتها ، وَكَانَتْ تَغْنِي الرَّشِيدَ :
لَا لِصَبْرٍ هَجَرْتُكُمْ عَٰلِمَ اللَّهِ وَلِصَكْنٍ لِشِدَّةِ الْإِشْتِيَاقِ
رُبَّ مِرٍّ شَارَكْتُ فِيهِ ضَمِيرِي وَطَوَّاهُ اللُّسَانُ عِنْدَ التَّلَاقِ
وَكَانَ عَلَى قَائِنَسَوَةَ شَمَائِلَ جَارِيَةِ الْمَاهَانِيَّةِ :

لَيْلِي بَوَجْهِكَ مُشْرِقٌ وَظِلَّامُهُ فِي اللَّيْلِ سَارِي
فَالنَّاسُ فِي سَدْفِ الظَّلَا مٍ وَنَحْنُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ^(١)

وَكَانَ عَلَى كَرَزَنَ مُشْتَقًا ، جَارِيَةِ اسْحَاقَ بْنِ عَلِيِّ الْهَاشِمِيِّ ، مَكْتُوبًا
بِالذَّهَبِ سَطْرَانِ :

إِنْ كَانَ قَلْبِي يَهْوِي وَصَلَّ غَيْرِكُمْ إِذَا فَعَاقَبَنِي الرَّحْمَنُ فِي بَصْرِي
أَوْ لَمْ يَكُنْ بِكُمْ مَا عِشْتُ ذَا كَلْفِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِي يَا سَيِّدِي خَدْرِي^(٢)
وَكَانَ عَلَى عَصَابَتِهَا مَكْتُوبًا بِالذَّهَبِ :

مَا كُنْتُ إِلَّا حُلْمًا رَأَيْتُهُ عَيْنِي فِي الْوَسَنِ^(٣)
يَا سَمِيحَ الْفِعْلِ وَيَا أَحْسَنَ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ

٤٤ - بَابُ مَا رَجَمَ عَلَى الزَّنَابِرِ

وَالنَّكَكِ وَالْمُنَادِيلِ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَيْمِ : رَأَيْتُ فِي مَنْطِقَةِ وَاجِدِ الْكُوفِيَّةِ زُنَارًا^(٤) مَنْسُوجًا
مَكْتُوبٌ فِيهِ :

لَسْتُ أَذْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَّقَلِي^(٥)

(١) السدْف : الظلمة . (٢) الخدر : تشنج يصيب العضو فلا يستطيع الحركة .
(٣) الوسن : النعاس . (٤) الزنار : ما يشد على الوسط . (٥) تقنى على فراشه : تامل .

لو نفرغت لاستطالته ليلي ولرغبت النجوم كنت فخلا
ورأيت جارية في بيعة ماري مريم في دار الروميين بمدينة السلام، كأنها
فلقة قر خارجة من الهيكل ، في وسطها زُناز عليه بيتان :

زُنازها في خصرها يطربُ ويريحها من طيبها أطيْبُ
ووجْهها أحسن من حلبيها ولونها من لونها أعجبُ
وقرأت في زناز وقاية لبعض القصریات :

أليس عجيباً أن يتنايضمني وإياك لا تخلو ولا تتكلم
ورأيت جارية أبلية لبعض الخنثين ، وقد علفت طيلاً في عنقها بزُناز
عليه مكتوب :

أوتأ من بدني كمله فتت مني مفصلاً مفصلاً

وعلى تكتها مكتوب :

غابوا فأضحى الجسم من بعدهم لا تبصر العين له فياً
واخجلتاً منهم ومن قولهم : ما ضرك البعد لنا شيئاً
بأى وجه ألقاهم إذا رأوني بعدهم حياً

وكان على تسكة هائف جارية العاجي مكتوباً :

ولى عادل قد شف قلبى بعذله وواش يبذل الحب يرمى مقاتلي
سكى حزننا ، والحمد لله ، أنبى تقطع قلبى بين واش وعادل
وكتبت خاضع المغنية على زناز كانت تشد به طرفتها :

ما أتية المعشوق في نفسه وأبين الذل على العاشق

وأخبرني من قرأ على طرفي تسكة لقينة :

ما أراي حُاتِ التَّسَكَةَ إلا بِمَسَاتِ
وَإِنَّمَا خُلِّيَ لِلتَّسَكَةِ إِسْرًا إِنْجَارُ الْعِدَاتِ

وأخبرني آخر أنه قرأ على تسكة لبعض المواجن :

إِقْطَعِ التَّسَكَةَ حَتَّى تَذْهَبَ التَّسَكَةُ أَصْلًا
مَنْ قُلَّ لِلرُّذْفِ أَهْلًا بِكَ يَارْذَفُ وَسَهْلًا

وكتبت سلم جارية لم يلم إلى فتي كانت تحبه في منديل دبيق بالذهب :

هَذَا نَدَا يُسْقِطُنِي لِلْبَيْلِ عَنْ فُرْشِي أَنْفَاسُ عُوَادِي
لَوْ يَجِدُ السَّالِكُ عَلَى دِقَّةِ خَلْقًا لَا تَحْتَمِي بَعْضَ حُسَادِي

وكتبت إليه في منديل آخر :

لَا تَسْأَلِي كَيْفَ حَالِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ هَا فَانظُرِي وَأَجَلِي طَرْفَ مُتَجِنِ
تَرَى بَيْلِي لَمْ يَدْعُ مِنِّي سِوَى شَبِيحِ لَوْ لَمْ أَقُلْ هَا نَا لِلنَّاسِ لَمْ أَبِينِ

وقرأت على منديل لبعض الظرفاء ، وقد أدرج فيه كتابا :

وَإِنِّي لَتَمَشَانِي إِذْ كَرَاكَ فَمَثْرَةٌ كَمَا انْتَفَشَ الْعَصْفُورُ بِأَلَّةِ الْقَطْرِ
عَجِبْتُ لِسَمَى الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ

وكتبت آخر على منديل :

إِنَّ بَعْضَ الْعِتَابِ يَدْعُو إِلَى الْعَتَابِ وَيُودِي بِهِ الْحَبِيبُ الْحَبِيبَا
وَإِذَا مَا الْقَاوِبُ لَمْ تُضْمِرِ السُّحْبُ فَلَمَنْ يَعْطِفُ الْعِتَابُ الْقَاوِبَا

وأخبرني من رأى على منديل مسك لبعض الظرفاء :

أَنَا مَبْعُوثٌ إِلَيْكُمْ أَنْسُ مَوْلَاتِي لَدَيْكَ

صَمَّمْتَنِي بِبَيْدِيهَا فَامْسَحِي بِي شَفْتَيْكَ

وكتب آخر على منديل أهداه :

أَنَا مَنْدِيلٌ حَبِّ لَمْ يَزَلْ نَاشِئاً بِي مِنْ دُمُوعِ مُقَاتِيهِ

ثُمَّ أَهْدَانِي إِلَى مَحْبُوبَةٍ تَسْمَعُ الْقَهْوَةَ بِي مِنْ شَفْتِيهِ

وقرأت على منديل لبعض الظراف :

إِنْ يَكُنْ حَبْلُكَ مِنْ حَبْلِي وَهِيَ وَإِلَى شَوْقِي إِلَيْكَ الْمُنْتَهَى

لَمْ يَذْكُرْ نَيْكَ شَوْقٌ حَادِثٌ إِنَّمَا يَذْكُرُ مَنْ كَانَ سَمًا

وكتبت أسماء بنت غضيض، جارية خمدونة ابنة المهدي، على تسكتها

من الوجهين :

جَلَدٌ عَلَى أَعْظَمِ دِقَاقٍ مَسْكَنٌ أَنْفَاسِهِ التَّرَاقِي

تَوَقَّدُ أَحْشَاؤُهُ فَيُطْفِئُ حُرْقَتَهَا هَاطِلُ الْمَآقِي

لَوْلَا تَسْلِيهِ بِالتَّبَسُّكِي إِذَا جَنِينَاهُ بِالتَّحْرِاقِي

يَا رَبِّ عَجَّلْ وَفَاةَ رُوحِي قَبْلَ هُجُومِي عَلَى الْفَرَاقِي

وكتبت على منديلها :

إِلَيْكَ أَشْكُو رَبُّ مَا حَلَّ بِي مِنْ صَدِّ هَذَا الْعَائِبِ الْمُنْدَبِ

صَدِّ بِلَا جُرْمٍ، وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ، لَمْ أَشْرَبِ

وكتب آخر على منديل أهداه :

أَيَا مَنْ لَا أَرْجِي مِنْهُ رِفْقًا وَلَا مِنْ رِقِّهِ مَا عِشْتُ عِتْقًا

لَقَدْ أَنْفَدْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ حَتَّى بَكَيْتُ دَمًا لِفَقْدِكَ لَيْسَ يَرْقَا

وكتبت عنان، جارية النطاف، على منديل وجهت به إلى أبي نواس، وكانت تحبه :

أما يُحْسِنُ مَنْ أَحْسَنَ أَنْ يَغْضَبَ أَنْ يَرْضَى
أما يرضى بأن صرّت على الأرض له أرضاً

٤٥ - باب ما روي على القدر والنور

والبسط والمرافق والمقاعد

قال علي بن الجهم : قرأتُ على ستر لبعض أمّهات ولد المأمون :
هَجَرَتْنِي كَيْ أَجَارِيكُمْ بِفِعْلِكُمْ لَا تَهْجُرْنِي فَإِنِّي لَا أَجَارِيكَ
قَلْبِي مُحِبٌّ لَكُمْ رَاضٍ بِفِعْلِكُمْ اسْتَرْزَقَ اللَّهُ قَلْبًا لَا يُجَاوِزُكَ
أَصْبَحْتُ عَبْدًا لِأَذْنَى أَهْلِ دَارِكُمْ وَكُنْتُ فِيهَا بَعْضِي مَوْلَى مَوْلَى هُوَ إِلَيْكَ
وكتب بعض ولد المتوكل على ستره :

يَا أَيُّهَا اللَّائِي فِيهَا لِأَصْرِي فِيهَا أَكْثَرْتُ لَوْ كَانَ يُبْنِي عَنْكَ إِسْتِمَارُ
إِرْجِعْ فَلَسْتُ مُطَاعًا إِنْ وَشَيْتَ بِهَا لَا الْقَلْبُ سَالٍ وَلَا فِي حُبِّهَا عَارُ
وكتب موسى الهادي بن المهدي على ستره :

يَا أَيُّهَا الزَّاعِمُ الَّذِي زَعَمَا أَنْ الْهَرِي لَيْسَ يُورِثُ السَّقْمَا
لَوْ أَنَّ مَا بِي بِكَ الْعِدَاةَ لَمَا لَمْتُ مُحِبًّا إِذَا شَكَا الْمَا
وكتب بعض الظرفاء على مخدّة له :

يَا رَاقِدَ اللَّيْلِ يَمْنُ شَفَهَهُ السَّقْمُ وَهَدَهُ قَلَقُ الْأَحْزَانِ وَالْأَلَمِ
جُدْ بِالْوِصَالِ بَيْنَ أَمْسَيْتَ تَمْلِكُهُ يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مِنْ قَرْنِي إِلَى قَدَمِ

أخبرني من قرأ على مخدّة لبعض الظرفاء :

لَمْ أَذُقْ يَا سُؤْلَ قَلْبِي لِلْكَرَى مُذْ غَبِثَ طَعْمَا
تَرَكَ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّ يَ لَمَّا فَاضَ رَشْمَا

وقرأت علي وسادة لبعض الكتاب :

تشكى المحبون الصَّسْبَابَةَ لِيَتَنِي تَحَمَّلْتُ مَا يَلْتَمُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَوَحْدِي
فَسَكَتَ لِرُوحِي لَذَّةَ الْحُبِّ وَوَحْدَهَا فَلَمْ يَلْتَمِ قَبْلِي حُبٌّ وَلَا بَعْدِي

وأخبر بعض الكتاب أنه قرأ علي بساط لبعض أهل الهوى :

أَحْسَنُ مِنْ قَهْوَةٍ وَعُودٍ تُوْرِيْدُ خَدِيْكَ يَا وَجِيْدُ
نَأْيَتْ عَنِّي ذَنَابَ جِسْمِي وَهَدَّتْني الشُّوقُ وَالضُّدُودُ
وَطَالَ سُقْمِي لِبُعْدِ حَيٍّ وَمَلَّتْني الْأَهْلُ وَالْبَعِيْدُ

وكتب بعض الظرفاء علي مصلاه :

وَقَفَّ الْهَوَىٰ بِنِ حَيْثُ أَنْتِ فَلَيسَ لِي مَتَأَخَّرَ عَنْهُ وَلَا مَتَقَدَّمَ
أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةٌ حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلَيْسَ مِنِّي اللَّسُومُ
وَأَهْنَيْتَنِي فَأَهَنْتُ نَفْسِي عَامِدًا مَا مِنْ يَهُونَ عَلَيْكَ مِنْ أُكْرِمُ
أَشْبَهْتَ أَعْدَائِي فَصِرْتَ أَحِبَّهُمْ إِذْ صَارَ حَظِّي مِنْكَ حَظِّي مِنْهُمْ

وكتب سعيد بن قيس علي مصلاه :

سَأَمْنَعُ عَيْنِي أَنْ تَلْدُدَ بِنَظْرَةٍ وَأَشْغَلُهَا بِالذَّمْعِ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ
وَأَشْكُرُ قَلْبِي فِيكَ حُسْنَ بِلَائِهِ أَلَيْسَ بِهِ الْفَسَاكُ عِنْدَ التَّذَاكُرِ

وكتب بعضهم علي بساط :

كَتَمْتَ حُبَّهُمْ صَوْنًا وَتَكْبُرًا فَمَا دَرَى غَيْرُ إِضْمَارِي بِهِ وَهُمْ
قَوْمٌ بَدَأَتْ لَهُمْ صَفْوُ الْوِدَادِ فَمَا جَازُوا عَلَيْهِ وَلَا كَافُوا وَلَا رَجُوا
هُمْ عَلَّمُونِي الْبِكَالَ إِذْ قَدْ قَدَّمُوا يَا لَيْتَنَهُمْ عَلَّمُونِي كَيْفَ ابْتَسِمُوا

٤٦ - باب ما روي عن علي النخعي والحجل^(١)

والأسرة والسكّل^(٢)

قرأت علي كفاً معصرة^(٣) لبعض الكتاب بالذهب :

مِنْ قِصْرِ اللَّيْلِ إِذَا زُرْتَنِي أَبْيَى وَتَبْكِينَ مِنْ الطُّولِ

عَدُوَّ عَيْنَيْكَ وَشَانِيهِمَا أَصْبَحَ مَشْفُولًا بِمَشْفُولِ

وأخبرني بعض الظرفاء أنه قرأ علي منصّة لبعض الجنان :

تَقُولُ، وَقَدْ جَرَدْتَهُمَا مِنْ ثِيَابِهِمَا : أَلَسْتَ تَخَافُ الْيَوْمَ أَهْلَكَ وَأَهْلِي ؟

فَقُلْتُ : كَيْلَانَا خَائِفٌ بِكَانِهِ، فَهَلْ هُوَ إِلَّا قَتَلَكِ الْيَوْمَ أَوْ قَتَلَنِي ؟

وقرأت علي كفاً حرير اسماء بنو بالذهب :

سَهْرَتْ وَعَانَقْتَهَا لَيْلَةً عَلَى مِثْلِهَا يَحْسُدُ الْحَاسِدُ

كَانًا جَمِيعًا وَأَوْبَ الدُّجَا عَلَيْنَا لِيُبْصِرَنَا وَاحِدٌ

وقرأت علي كفاً لبعض الظرفاء :

فَبِتْنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسودِ وَبَيْنَنَا حَدِيثٌ كَرِيحِ الْمِسْكِ شَيْبٌ بِهِ الْخَمْرُ

حَدِيثٌ لَوْ أَنَّ الْمَيْتَ يُوسَى بَعَضُهُ لِأَصْبَحَ حَيًّا بِسَدِّ مَا خَلَّتْهُ الْقَبْرِ

وقرأت علي وجه أريكة لبعض النخعيين :

جَعَلْتَ مِجْلَةَ الْبَلْمُودِيِّ قُرَادِي وَسَلَطْتَ الشَّهَادَةَ عَلَى رُقَادِي

دَحْنِي لَا أَبُوحُ بِكُلِّ وَجْدِي أَلَيْسَ النَّارُ مِنْ طَرَفِي زِيَادِي

رَبَّتْ خَلِيَّةٌ وَسَلَبَتْ نَوْمِي أَمَا اسْتَحْيَا رُقَادُكَ مِنْ سَهَادِي

(١) النخعي : جمع المنصّة : الكرسي ترفع عليها العروس في جلالتها ، أو اثياب المرفعة والنشر المطاوعة ، الحجل : جمع الحجلة : السر يضرّب للعروس .

(٢) السكّل : جمع السكّة : السر الرقيق ، غشاء رقيق يحاط كالبيت يتوفى به من البعوض ، ويعرف بالناموسية .

(٣) عمفر الثوب : صبغه بالعمفر ، وهو صبغ أصفر اللون .

وكتب بهن النظر فاء على حذرة له مصفوفة بالذئب :

دعيني أمت والشمس لم يتشعب	ولا توبخني أفيدك بالأم والأب
سقى الله ليلاً ضئلاً بنسب	وأدنى فؤاداً من فؤاد معدب
فبيننا جيحماً لو تراق رجاجة	من الراح فيما بيننا لم نترب

وأخبرني بعض الكتاب أنه قرأ على حذرة مكتوباً :

نشرت على غدائراً من شعرها	حذر الفضيحة والعدو الموبق ^(١)
فكانه وكانني زواجها	صبيحان ياتنا تحت ليل مطبق

ودخلت على بعض السكتاب في يوم شديد الحر ، وهو على دكان ساج

مكتوب في وجهه باللأزورد :

حر حب وسحر هجر وحر
أى شيء يكون من ذا أمر

وعلى الجانب الآخر :

ثلاثة أحباب فحب عسلاقة^(٢) وحب تلاق وحب هو القتل^(٣)

وأخبرني بعض من قرأ حول سرير لبعض الظرفاء :

ومجدولة أما مجال وشاها	فغصن وأما ردفها فسكيب
لها القمر السارى شقيق وإنها	تطلع أحياناً له فيغيب
أقول لها ، والليل مرخ سدوها	علينا: بك العيش الحسيس يطيب
فقات : نعم، إن لم يكن لك غيرنا	ببغداد من أهل القصور حبيب

وكتب بهن النظر فاء على سرير له أبو نوس بماج :

إن طيف الخيال أرق عيني ما لعيني وما لطيف الخيال

(١) الغدائر : جمع الغديرة ، الفواجة ، الضنبرة ، المويق : المالك .
 (٢) عسلاقة : التودد والتذلل ، الأبداء ، باللسان من الأكرام والورد ما ليس في الثياب ،

تَسْمَعُ اللهُ بَيْنَ كُلِّ حَبِيبٍ قَدْ جَفَّاهُ الْحَبِيبُ بِعَسَدِ الْوِصَالِ
 وَكَتَبَ عَلَى مَنْصَتِهِ بِالذَّهَبِ :
 يَنَامُ الْمُسْتَبِدُونَ وَمَنْ يَلُومُ وَتَوَقَّظِي وَتَوَقَّظِيهَا الْهَيَّومُ
 صَحِيحٌ بِالنَّهَارِ لَيْسَ يَرَانِي وَاسْئَلِي لَا أَنَامُ وَلَا أُنِيمُ

٤٧ — باسم ما يكتب على المناسخ والابواب

ووجوه المستنظرات وصدور القباب

قال علي بن الجهم : رأيت في صدر قبة مكتوبا بألوان فصوص منضدة^(١) :
 لَا تُطْمِعِ النَّفْسَ فِي السُّكُورِ إِذَا أَحْبَبْتَ حَتَّى تَدِيرَهَا كَمَدَا
 مَنْ لَمْ يَذُقْ لَوْعَةَ الصُّدُورِ وَلَمْ يَهْبِرْ عَلَى الذَّلِّ وَالشَّقَا أَبَدَا^(٢)
 فَذَاكَ مُسْتَطَرَفُ النُّوَادِرِ يَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ أَحْبَابَهُ جَدَدَا
 وأخبرني أبو جعفر القاري قال : أخبرني بعض شيوخنا أنه قرأ في
 صدر مجلس أمير المؤمنين المؤمنون :
 بَرِّكَ مَنْ كَوَّرَتْ وَدِيحٌ مَقَالَةٌ حَاسِدٌ لَيْسَ الْكُورُ عَلَى الْهَوَى بِمُسَاعِدِ
 لَمْ يَنْلِقِ الرَّحْمَنُ الْأَسْمَنَ مَنَارَا بِنِ شَاقِقَيْنِ عَلَى فَرَاشِ رَاحِدِ
 مُتَعَانِقَتَيْنِ عَلَيْهِمَا أُرْرُ الْهَوَى مَوَسَّدَيْنِ بِمَنْصَمِ وَبِسَاعِدِ
 يَا مَنْ يَلُومُ عَلَى الْهَوَى أَذِلَّ الْهَوَى هَلْ تَسْتَجَابِعُ صِلَاحَ قَلْبِ قَاسِدِ

وقرأت على وجه مستنظر لبعض الكتاب :

هَبَّتْ شِمَالٌ فَتَلَّتْ مِنْ بَلَدٍ أَنْتَ بِهِ طَابَ ذَلِكَ الْبَلَدُ
 وَقَبْلَ الرِّيحِ مِنْ صَبَابَتِهِ هَلْ قَبْلَ الرِّيحِ قَبْلَهُ أَحَدُ

(١) منضدة : ضم بعضها إلى بعض (٢) الوعة : حرة الحزن والهووى والوجد .

وأخبرني أحمد بن محمد بن الحسين بن المنعم القتيبي أنه قرأ علي مستنظرا
لبعض الكتاب :

لي إلى الرِّيحِ حاجةٌ لو قَضَيْتُهَا كُنْتُ تَارِيحُ مَا خَبَيْتُ خُلَامَا
حَبِيبُهَا عَنِ الرِّيحِ لِأَنِّي قُلْتُ يَا رِيحُ بَلِّغِي السَّلَامَا
لَوْ رَضُوا بِالْحِجَابِ مَا بَدَأَ تَتَوَدَّ مَا يَرْمِي الرِّيحُ الْأَكْرَامَا
أخبرني عبد الحميد اللدلي أنه قرأ علي باب مجلس بلطية :

لَا يَمْنَعُنِي خَفَضُ الْمَيْشِ فِي دَعَا نَزِيعَ نَفْسٍ إِلَى أَهْلِ وَأَوْطَانِ (١)
تَلَقَى بِكُلِّ بَلَدٍ إِنْ حَلَّتْ بِهَا أَهْلًا بِأَهْلٍ وَجِيرَانًا بِجِيرَانِ
وفي صدر المجلس أيضا مكتوب :

إِذَا كُنْتُ فِي أَرْضٍ غَرِيبًا فَرَجَّهَا وَلَا تَكْتَرِثُ فِيهَا نَزْوًا إِلَى أَوْطَانِ
فَمَا هِيَ إِلَّا بَلَدَةٌ مِثْلُ بَلَدِي وَخَيْرُهَا مَا كَانَ عَوْنًا عَلَى الزَّمَانِ
وقرأت علي باب دار خدشا في الجص يعود :

هَلَّا رَحِمْتُمْ مَوْقِفِي بِفِيمَا أَنْتُمْ مَتَعْرَضًا لِنَسِيمِكُمْ أَتَشَقُّ
مَتَلِدًا أَبَا قَدَّ حَلَّ بِي مِثْلَ الْغَرِيقِ بِمَا يَرَى يَتَعَلَّقُ (٢)

وأخبرني صديق لي أنه قرأ علي باب دار بالحجاز :

يَا دَارُ إِنْ غَزَا فِيكَ عَدُوِّي لِيهِ دَرَكٌ مَا تَحْوِينِ يَا دَارُ
الدَّارُ تَمْلِكُنِي وَيُحْيِي وَصَاحِبُهَا قَلْبِي مَلِيكَانِ رَبِّ الدَّارِ وَالدَّارِ
يَادَارُ لَوْلَا غَزَا فِيكَ تَمَلَّقُنِي مَا كَانَ لِي فِيكَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ

(١) خفض العيش : سهل وكان هذيانا ، الدعة : الراحة وخفض العيش : نزح إلى أهله : اشتاق
(٢) التلدد : التجوز ، التلقت بيننا وشمالا .

وأخبرني من قرأ على باب دار باصطناع منقوشاً بحجر :
أرى الدار من بعد الحبيب ولا أرى حبيبي مع الباقيين في عرصة الدار^(١)
فيما عجبنا إذ فارق الجار سبارة أليس شديداً فرقة الجسار للجار

٤٨ - باب ما وصّر للتعارفات والظرافة

مكتوباً على النعال والخفاف

قال الماوردي: كتبت جارية للمارقى على نعلها بالذهب :
لم ألق ذا شهجن ينوح بحبه إلا حسيبتك ذلك المحجوباً
حذراً عليك وإني بك واثق أن لا ينال سيواي منك نصيباً
وكان على نعل جارية سعيد الفارسي :

لا تأنفن من الخضسو ع لمن تحب وداره
يخضع له فطالما ملكت حل إزاره

وكتبت تلك جارية ابن عاصم على خف لها رهاوي بذهب :
وإني لا شفاقي عليك وصبروتي إليك كما أني في المنام أراكا
تحدثني نفسي إذا غبت ساعة بأن لقساء المرزب دون إفاكا
وكتبت مريم المشيخة على نعلها :

أقسمت منلته لا تنلني عن فؤادي أو ترأه قطعاً
فلقد برت قبل من عطس أن ترى ما قطعتم تجتمعاً

وأهدى سعيد بن حميد نعلا إلى صديق له وكتب عليها :

نعل بعثت بها لتلبسها قدم بها تسعى إلى المجد
لو كان يصالح أن أشركها خدي جعلت شراكها خدي^(٢)

(١) العرصة : ساحة الدار . (٢) شرك النعل : جعل لها شركا . والشراك : سير النعل .

وكتبت بجارية علي بن عيسى بن يزيد داد ، كاتب اسمه ابي بن ابراهيم ، علي خنقيا :

تَوَلَّيْتُهِ الْاَلْحَاظُ إِذَا بَدَا مَحْتَجِبًا عَنْ كَلِمَاتِ النَّبَادِ
مَسَارِلُهُ قَاوٍ وَلِسَانُهُ يَسْكُنُ مِنِّي فِي سَوَادِ الْفَوَادِ

وأهدى بعض الكتاب نعلًا وكتب علي شراكم :

لِي فَوَادِ شَفَّةُ الْحُرِّ لِي وَأَضْنَاهُ الصُّدُورُ
وَهَوَايَ كُلِّ يَوْمٍ هُوَ يَنْهِي وَيَزِيدُ

وكتب بعض الظرفاء علي خف له محالسي بالذهب :

لَوْلَا شِقَاوَةُ جَدِّي مَا عَرَفْتِكُمْ إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي يَشْقَى مِنْ عَرَفَاتٍ^(١)
طَافَ الْهَوَى بِعِبَادِ اللَّهِ كَلْبُهُمْ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَفَا

وأخبرني من رأى نعلًا من فضة أهديت لبعض الظرفاء عليها مكتوب :

بِأَبِي أَنْتَ سَيِّدِي وَمَنْأَيَ جَسَلَ اللَّهُ وَالِدِي فِدَاكَ
لَكَ خَدْيٌ مِنَ الثَّرَى أَكْ تَعْلَا قَدْ لِنَعْلٍ مِنْ فَوَادِي شِرَاكَا^(٢)

وقرأت علي نعل سندی مدهون :

جَعَلْتُ خَدْيِي لَهُ أَرْضَا فَقُلْتُ : طَأُّ مِنْ فَوْقَهَا وَأَرْضِي
فَقَالَ : لَا ، قُلْتُ : بِي سَيِّدِي صَبْرًا عَلَى الْحُبِّ وَإِنْ مَضَا^(٣)

٤٩ - يا ما يكتم بالخفاء في الريافة والاشاح^(١)

وعلى الأقدام والراح^(٢)

كتبت ذويت جارية حمدونة علي وطأتها اليمنى :

إِعْلِي يَا أَحَبُّ مِنِّي إِلَيَّا أَنْ شَوْقِي إِلَيْكَ يَقْضِي عَلَيَّا

(١) الجذ: الحظ. (٢) قد الشئ: قطعه طولاً (٣) منس: ألم وأرجع. (٤) الوطأة: موضع القدم. الوشاح: شبه فلاة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشبه المرأة بين عاتقها وكشحياء. (٥) الراحة: باطن اليد.

وعلى اليسرى :

إِنْ قَضَى اللَّهُ لِي رَجُوعًا إِلَيْكُمْ لَمْ أَتَمُدَّ الْفِرَاقَ مَا دُمْتُ حَيًّا
وَكَتَبْتُ لِبَنِّ جَارِيَةِ عَبَّاسِ النَّدِيمِ عَلِيٍّ رَاحَتَهَا بُسْكٌ^(١) وَعَنْبَرٌ فِي الْيَمِينِ :
قَالُوا : تَمَنُّ وَقُلْ . فَقُلْتُ لَهُمْ : يَا بَيْتَهَا حَطَّى مِنْ الدُّنْيَا

وعلى اليسرى :

لَا أَبْتَغِي سُقْيَا السَّحَابِ هَا فِي عَبْرَتِي خَلْفَ مِنَ السُّقْيَا^(٢)
وَكَتَبْتُ جَارِيَةَ السَّمْدِيَّةِ عَلِيٍّ رَاحَتَهَا الْيَمْنَى بِالْحَنَاءِ :

رَفَعْتُ لِلْوَدَاعِ كَفًّا خَضِيبًا فَتَقَبَّلَتْهَا بِدَمْعٍ خَضِيْبٍ

وعلى اليسرى :

وَأَشَارَتْ إِلَى غَمَزَا بِحَقِّ نَعْتِهِ مِثْلَ فِعْلِهِ فِي الْقُلُوبِ
وَكَتَبْتُ جَارِيَةَ ابْنِ السَّاحِرِ عَلِيٍّ وَطَأَمَهَا الْيَمْنَى :

وَمَا أَنَا عَنْ قَلْبِي بِرَاضٍ لِأَنَّهُ أَشَاطَ ذِمِّي مِمَّا أَنَّى مُتَطَوِّعًا^(٣)

وعلى اليسرى :

تَمَنَّى رِجَالٌ مَا أَحْبَبُوا وَإِنَّمَا تَمَنَيْتُ أَنْ أَشْكُو إِلَيْهَا وَتَسْمَعَا

قال الماوردي : رأيت علي زاحية قائد ، جارية لبعض جواري المأمون ،

اليمنى بالحناء :

فَدَيْتُكَ قَدْ جُرَيْتُ عَلَى هَوَاكَ فَقَلْبِي مَا يُنَارِعُنِي سِرْوَاكَ^(٤)

وعلى اليسرى :

أَحْبَبْتُكَ لَا بِبَعْضِي بَلْ بِكُلِّي وَإِنْ لَمْ يَبْقَ حَبْلُكَ مِنْ جِرَاكَ

(١) البسك : ضرب من الطيب (٢) الخنثف : البديل والعوض (٣) أشاطه : أحرقه

(٤) جبل : خلق وفطر

وقرأت في كفتي جارية بالنقش :

إذا قيل: ما تشكو؟ أشار إلى الحشا

فيا ليت قلبي صار صخرًا كقلبيه

وأخبرني من رأى جارية لبعض آل طاهر قد كتبت في وشاحها وقد ميمها:

عَزَمُوا الْمَقَامَةَ أَمْ تُرَاهِمُ أَرْمَعُوا

وَمُرَاعِيَةٌ لِلْبَيْتِ تَحْسِبُ أَنَا

كُتِبَتْ إِلَى عَلِيٍّ شَتَاتٌ خَدَّهَا

فَأَجَبَتْهَا بِلِسَانِ صِدْقٍ نَاطِقٍ :

وكتبت الماهانية على كفتي جاريتهما شكريخ بالحناء :

أَبِي الْحُبِّ إِلَّا أَنْ أَسْكَوْنَ مَعَذِبًا

فَوَأَكْبِدَا حَتَّى مَتَى أَنَا وَأَقْفُ

وَبِرَائِهِ فِي الصُّدْرِ إِلَّا تَلْهِبًا

بِبَابِ الْهُوَى، أَلْقَى الْهُوَانَ وَأَنْصَبًا

٥٠ - باب ما يكتب على الجبين والحذر

ويطرف^(٤) به ذوو الصباية والوجد

قرأت على جبين جارية لنخاس بالغالية^(٥) وقد أخرجها للعرض :

وَشَادَنُ أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ

قَدْ كَتَبَ الْحُسْنَ عَلَى وَجْهِهَا

عَلَى يَدَيِ رِضْوَانَ مَسْجُوجَةٍ

فِي كَفِّهِ سَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ^(٦)

سَطْرَيْنِ بِالْعَنْسَبِ بِاسْمِ اللَّهِ

صَنْعَةُ حُسْنٍ فِي طِرَازِ اللَّهِ

(١) المبرج: المتعب، المتوهج (٢) ربيع بالمكان: أقام. (٣) المراعاة: من خامرها

الخوف. البين: الفرقة (٤) أطرفه بكذا: أتمفه به. (٥) الغالية: أخلط من الطيب

(٦) الشادن: ولد الظبي، والمراد: جارية ترعرت.

أنا غريقٌ في بحار الهوى شـ سببه قتلٌ في سبيل الله
وأخبرني من رأى على جبين جارية ثخاس مكتوباً في سطرين :
إذا سجدت لم يسكنك البدر فقدما وتكفيك فقد البدر إن حجب البدر
وحسبك من خير تفونك ريقها ووالله ما من ريقها حسبك الخمر
وقال علي بن الجهم : رأيت على خد جارية لفاطمة بنت محمد بن عمران
الكاتب مكتوباً بالمسك :

رضيت على رغي بمحبك فاعلني ولا تسرف في إذ صار في يدك الحكم
مَنْ يظفر المظالم منك بحقه إذا كنت قاضيه وأنت له خصم

قال المازني : كان على جبين جارية شريط مكتوب بالغالية :
صرمتي ثم لا تكلمني أبداً إن كنت خنتك في حال من الحال (١)
ولا سممت ولا تسمى تعادني قان بذاك ولا يجرى على بال

وقال الجاحظ : كتبت مؤلف جارية الصغرى على جبينها :
وحسودك بالحسن كاليد ورجها وأماضت بينيها تجور وتظلم
ملكك عليها هذا الشوق والهوى وغالمتها ما لم تستمكن منه تعلم

قال : وقرأت على جبين أمة بالسكر مكتوباً بغالية وعبر :

يا قسراً لاح في الغلام عليك من مقلتي السلام

وكتبت ظنوم على جبينها بالمسك :

العين تفقد من هوى وتبغيره وناخر القاب لا يخلو من المنظر

وظنوم هذه كان يحبها العباس بن الأحنف ، وفيما يقول :

بُنت بالسكرخ منزلاً لغزالٍ بين نصر الأمير والخيزران
والهوى قائدى إليه رشوقى ليس بالشوق والظوى لى يدان
لست أنسالك يا ظلوم وعهد السلسل حتى ألت فى أكسفانى
فيسقى بى فأنت أعرف منى بحفانلى فى الشرى والإعلان

٥١ - باب ما ينلج به النفاخ والاصريج والهمسنيويات

ويعدل به تنضيد الورد والياسمين والخيريوات

أخبرنى بعض شيوخنا من الكتاب بالعسكر قال : قرأت على طبقيين
أهداهما بعض الفرس إلى بعض الكتاب ، قد نضيد بأنواع من السوسن
والياسمين والشقائق والرياحين ، على أحدهما مكتوب :

شادن راح نحو سرحة مايه مسرعاً وحناءه كالتفاح
ورد الماء ثم راح وقد أضدرة الماء فى غلالة راح

وعلى الآخر :

رق حتى حسبته ورق الورى د ندياً يرف بين الرياض
ورد الماء ثم راح وقد أسبسه الماء حرة فى رياض

قال : ورأيت بين يدي بعض الكتاب طبق ورد أحمر مكتوب

فيه بالأبيض :

لم يضحك الورد إلا حين يعجبه زهر الربيع وصوت الطائر الغرد
بداً فأبدت لنا الدنيا محاسنها وراحت الراح فى أخواها الخدر

وأخبرني من رأى طبق ريحان مكتوب في زوره بياسمين ونسرين:^(١)
فَارِيحُ رِيحَانٍ بِسَاكٍ وَعَنْبَرٍ بِسَدِّ وَكَافُورٍ بِدُهْنَةِ بَانَ^(٢)
بِأَطْيَبِ رِيًّا مِنْ حَبِيبِي لَوْ أَنَّ نَبِيَّ وَجَدْتُ حَبِيبِي خَالِيًّا بِمَكَانٍ^(٣)
وَقَرَأْتُ فِي تَفْلِيحٍ أُرْجَةٌ أُهْدِيَتْ لِبَعْضِ الظُّرْفَاءِ :

هِيَ فِي الْعَالَمِ كَالشَّمْسِ أَضَاءَتْ فِي الْبِلَادِ
وَهِيَ فِي كُلِّ كَمَالٍ قَدْ عَلَتْ فَوْقَ الْعِبَادِ

وأخبرني من قرأ في تفلح تفاعحة :

أَنَا إِلَى الْعَاشِقِ مَنْسُوبَةٌ أُهْدَى لِمُحِبِّهِ وَمُحِبُّوبَةٌ
وَعَلَى تَفَاحَةٍ أُخْرَى مَفْلُجَةٌ :

خَطَّتْ نَيْبِي فَوْقَ تَفَاحَةٍ : أَقْلَقَنِي هَجْرُكَ يَا قَاتِلِي

وحضرت هديّة لبعض متظرفات القيان إلى بعض ظرفاء السكتاب، وفيها
تفاعحة . في تفلحها مكتوب :

لَيْسَ تَفَاحَةٌ بِأَطْيَبِ طَيْبًا مِنْ حَبِيبِي مُعَانِقِ حَبِيبِي
وَأُرْجَةٌ فِي تَفْلِيحِهَا مَكْتُوبٌ :

أُهْدَى هِلَالَ لِسَكَلٍ يَوْمٍ إِذَا بَدَأَ الثُّغْرَ بِأَبْتَسَامِ

وطبق خيريات^(٤) مكتوب في تعديله :

يَا طَيْبَ رَائِحَةٍ فَاحَتْ لِبُسْتَانٍ مِنْ بَيْنِ وَرْدٍ وَنِسْرِينَ وَرِيحَانِ
وِيَاسْمِينَ ذِكِّي زَادَنِي طَرْبًا حَتَّى تَسْكَشِفَ عَنِّي كُلَّ أَحْزَانِ

(١) النسرين : ورد أبيض عطري الرائحة .

(٢) الند : عود يتبخر به . الدهنة : اليسير من الدهن . (٣) الريا : الريح الطيب .

(٤) الخيرات : جمع الخيري ، المنشور الأصفر ، وهونيات ذو زهر زكي الرائحة .

٥٢ - باب ما يكتب على الفخار والكؤاس

والمقرايح والورق والجلامات (١)

قرأت على كأس لبعض الظرفاء :

إذا فكرت خاطبي وشال وإن أغفيت نهيبي خيال

ولي حال إذا ما الكأس طابت إشارتها وللندمان حال (٢)

وقرأت على كأس لبعض الكتاب :

إشرب على ذكركم إذ حيل دونهم عيبكم منكم على بال إذا شربوا

تدعو المني قربهم والدار نازحة حتى ينجيهم قدر وما قربوا

وعلى كأس :

إذا لم يمزج الندمان كأسى جعلت وزاجها ماء الجفون

وإن ضحكوا بكميت، وإن تغنوا أجهتهم بألوان الحنين

وكتب عبيد الماخن على كأسه :

إشرب هنيئاً لا تخف طائفنا قد آمن الطواف أهل الطرب (٣)

وكتب بعض الكتاب على قدح له :

وما لبس العشاق ثوباً من الهوى ولا أخلقوا إلا بقية ما أبلى (٤)

ولا شربوا كأساً من الحب حلوة ولا مرة إلا وشربهم فضلي (٥)

(١) الجامات : جمع الجام : الكأس

(٢) الندمان : المنادم على الشرب ، والرفيق والصاحب .

(٣) الطائف : العسس . الطواف : كثير الطواف .

(٤) أخلق أثى : صيره باليا

(٥) الفضل : البقية

وبعث نشوان الكرّاعة إلى علي بن عيسى بن عبيد الله الهاشمي برطل

عليه مکتوب :

يا باعِثَ السُّكْرِ من طَرْفِ يَقلْبِهِ^(١) هَكَووتُ ، لا تُسَقِّني خَمْرًا بِكَأْسِينِ
ويا مُحَسِّرُكَ عَيْنِيهِ لِيَقْتُلَنِي إِنِّي أَخافُ عَلَيْكَ العَيْنَ مِنْ عَيْنِي

وأخبرني من قرأ على قنينة^(١) بين يدي أبو دلف العجلي :

وقهوة^(٢) كوكبها يزهر يقوِّحُ مِنْهَا المِسْكَ والعَنْبِرُ^(٣)
يسقيكها من كفه أخور كأنها من خده تعصر

وكتب آخر على حاس :

لا تحسبي أن طول الدهر غيرني بل زادني كلفاً يا أملح الناس
لم يجر ذكرك في الخور ولا طرب إلا مزجت بدمعي عنده كاسي
كم عاذل قد كحاني فيك قلت له : شئت يئسك هل بالحب من باس^(٣)

وأخبرني يحيى بن محمد المسائي أنه قرأ على كأس لقينة :

إشرب الكأس على طرف الزمان قلماً دأمت سرور أو حزن
إنما كان ليثلي سكين^(٤) من جميع الخلق طراً فظعن^(٤)

وقرأت على قدح :

إشرب وسق حبيبك الرأحا ونج من الوجسد بالذي باحا

(١) القنينة : إناء . عن زجاج يجعل فيه الشراب .

(٢) القهوة : الخمر .

(٣) لحاه : شتمه وسبه وعابه . شئت يئسك : يا ست .

(٤) طراً : جميعاً . ظعن : سار ورحل .

وعلى آخر :

إشربْ وَسَقِّ الحبيبَ يا ساقِ وَسَقِّني فَضْلاً كَأَسِيهِ الباقِ
وَسَقِّني فَضْلاً ما تَخْلُفُ في الكأسِ بِعَمَلِ يَدَيَّ إِشْفَاقِ

وعلى آخر :

فَدَيْتُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلى طَرَبِ يَدَيَّ يَدَيَّ وَيَبْسُسه الكاسا
أَلْتَهَيَّ خَسَدَهُ وَقَالَ أَلَا دُونَكَ ما قَدِ مَنَعَتَهُ النَّاسا

وكتبت بنت المهدي^(١) على قدح بالذهب :

إشربْ عَلى وَجْهِ النِّزَا لِ الأَعْيَدِ الحَسَنِ الدُّلالِ
إشربْ عَليهِ وَقَلْ لَهُ : يا غُلُّ الأَبْسابِ الرُّجالِ

وكتبت بعض الظرفاء على قنينة :

فَقُلْتُ لها ، وَقَدْ أَدَيْتُ سُكْرِي : الأَرْدِي فَوادِ المُسْتَهامِ
فَقَالَتْ : مَنْ ؟ فَقُلْتُ : أنا . فَقَالَتْ : مَتَى أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ في الرِّحامِ

وقرأت على قنينة مدهونة مكتوب عليها بالذهب :

أَحْسَنُ مِنْ مَوْقِفِ عَلى طَلَلِ كَأَسُ عُقارِ تَجْرِي عَلى ثَمِيلِ^(٢)
يُدِيرُها أَهْيَفُ بِهِ حَوَرُ مَعْتَدِلُ الخَلْقِ راجِحِ الكَفَلِ^(٣)
إِذا تَمَشَّى بِها مَصْفَقَةٌ رَأَيْتَ فِيها تَلَهَّبُ الشَّعَلِ

(١) عليّة بنت المهدي

(٢) الطلل : الشاخص من الأثار ، العقار : الخمر

(٣) الأهيف : ضامر البطن رقيق البصر ، الكفل : العجز أو الردف

وعلى جام :

إشرب هنيئًا في أتم النعيم طاب لك العيش بطيب النديم

وعلى آخر :

وكؤوس كأنهن نجوم طالعات برؤجها أيدينا
طالعات مع الشسقاء علينا فإذا ما غربن يغربن فينا

٥٣ - باب ما يكتب على أواني الفضة والذهب

ومرثونه الصبي المذهب

قال العباس بن الفضل بن الربيع : حدثني أبي قال : رأيت على صينية
بين يدي المأمون مكتوبًا فيها :

لا شيء أملح من أيام مجلسنا إذ نجعل الرسل فيما بيننا الحدقا
وإذ جوائحننا تبدي سرائرنا وشكلنا في الهوى تلقاه متفقا
ليت الوشاة بنا والعاشقين لنا في لجة البحر ماتوا كلهم غرقا
أوليت من ذمنا أو عاب مجلسنا شبت عليه ضرام النار فاحترقا

وأخبرني بعض الكتاب أنه قرأ على صينية ، بين يدي الحسن بن وهب ،
مفصلة^(١) بالفصوص بألوان شتى :

من كان لا يزعمني عاشقًا أحضرته أوضح برهان
إني على رطلين أسقاهما أروح في أثواب سكران
وكنت لا أسكر من تسعة يتبعها رطل ورطلان

(١) فصل العقد : جعل بين كل خرزتين خرزة أو جوهرة مخالفة لهما

فصار لي من تَهَمَّراتِ الهوى والسُّكْرِ سُكْرٌ أَنْ يَشِيءَ بِي

والشعر للحسن بن وهب

وكتب بعض الظرفاء علي صيفيَّة له صيني :

حُثَّ النَّدَامَى بِعَاجِلِ النَّخَبِ وَحُثَّ كَأْسُ النَّدْمَانِ بِأَبَائِي (١)
إِنْ لَمْ تَدِرْهَا وَالكَأْسُ مَرَعَةٌ حَتَّى تُهَيِّتَ الْعُصْرَمَ لَمْ تَطْبِ

وكتب آخر علي صينيَّة له :

قَدْ قَلْتُ لَمَّا صَبَا بِي اللَّعِبُ وَبَاكَرْتُ نِي الشَّمُولِ وَالطَّرِبِ

وكتب آخر علي قضيب مدهون :

أَصْبَحْتُ يُشْبِهُنِي الْقَضِيبُ وَأَنْتَ يُشْبِهُكَ الْقَضِيبُ
غُضْنَا نَآنَ إِلَّا أَنْ ذَا بِإِلِ وَذَا غُضْنَا رَجِيبُ

وقرأت في مذبة (٢) لبعض الكتاب :

تَعَلَّمْتُ أَنْوَاعَ الرَّضَى خَوْفِي سَخِطِهِ وَعَلَّمَهُ حَيٌّ لَهُ كَكَيْفَ يَغْضَبُ
وَلِي أَلْفُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ طَرِيقَهُ وَلَكِنْ بَلَ قَلْبِي إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ

وعلي آخر :

دَلَّ الْبِكَاءُ عَلَيَّ عَيْنِي فَأَرْقَبُهَا ظَائِي يُطِيلُ الْبِكَاءَ مِنْ خِلِّهِ فَرَقًا (٣)
لَوْ مَسَّ غُضْنَا مِنْ الْأَغْصَانِ مَنْجَرِدًا لِأَخْضَرُ فِي كَفِّهِ وَأَسْتَشْعَرَ الْوَرَقًا

وأخبرني أبو جعفر القاري ، قال : أخبرني من قرأ علي مروحة

ببيتين للقمامي :

(١) الندامى : جمع الندمان ، النخب : الشربة من الخمر وغيرها يشربها الرجل لصحة

حبيه أو عشيره (٢) المذبة : ما يدفع به كالمروحة (٣) الفرق : الفرع

قد يدرك المشأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزائل
ورمافات بعض القوم أمرهم مع الثاني وكان الحزم لو تجلوا

قال : فحضرني بيتان ، فكتبت على الجانب الآخر :

لا ذا ولا ذاك في الإفراط أحمدُهُ وأحمدُ الأمرِ ما في الفعل يعتدل
إفراطُ ذا في التأنِ قوتُ حاجته وليس يعدم عتراً دونها العجل

وقرأت على مروحة لبعض الظرفاء :

مُحتملٌ حسبك لى ساعةً ذاك إذا أجمدك الحرُّ
غيرك منى طالبٍ مثل ما تطلبه يا أيها الحرُّ

وكتب بعض الأدباء على مروحة :

إن رُوحَ الحياة في حركاتِ المَرَاوِحِ
كم بمانٍ لطيفةٍ من ظباءِ سوانحٍ^(١)
حركتها فنفسنا عن حدودِ رَواشِحِ

وقرأت على قوس جلاهدق مكتوباً بالذهب :

بينما الطيرُ في الهوى يتكفي إذ سقيناها جرعة الموت صرفاً
ونزعنا من القرين قريناً وجعلنا هناك بالالافِ ألفاً

وكتبت على قوس أهديتها لبعض إخواني :

لما رأيتُ الطيرَ على المرتقى هيأت قوساً يالها وبندقاً^(٢)
ثم غدونا إذ غدونا حلقاً فلم يحم حتى هوي مرقاً

(١) السوانح : جمع السائح : الذي يأتي من جهة البين

(٢) البندق : كل ما يرمى به

٥٤ - باب ما يكتب مثل العيران والتمائم والسرديات

والطبول والمعازف والدقوف والنايات

كتبت قصعة المغنية على عودها :

ما طاف حباً لإنسان يلدُّ به حتى يكون به في الناس مُشْتَهراً
فاخلع عِذارك فيما تستلذ به واجسر فإن أحوال اللذات من جسر

وكتبت مخارق على عوده :

كم ليلة نادمني ذكره يسعدني المثلث والزرير^(١)
حتى إذا الليل جلا نفسه على الدجى إبتسم النور
أصبحت مستورا الجيرانه والوصل بالهجران مستور

وكتبت بعض المغنين على عوده :

سَقَوْتِي وَقَالُوا : لَا تَغْنِ ، وَلَوْ سَقَوْنَا جِبَالَ حُنَيْنٍ مَا سَقَوْتِي لَغَنَّتِ
تَجَنَّتْ عَلَى الْخَوْدِ ذَنْبًا عَلَيْهِ فَمَا وَبَاتِي مِنْهَا وَمِمَّا تَجَنَّتِ

وأهدى بعض الكتاب إلى قينة ، كان يهواها ، عوداً وكتبت عليه :

من ذا يبلغُ نَحْلَةً عن عِبْدِهَا أَنِّي إِلَيْكَ وَإِنْ بَعُدَتْ قَرِيبُ
تَسْتَنْطِقِينَ بِحُسْنِ صَوْتِكَ أَعْجَمًا يَدْعُو بِذَلِكَ حَسَّ وَأَبَهُ فَيَجِيبُ
فَالْعُودُ يَشْهَدُ وَالغِنَاءُ بِأَنَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ فِي الْأَنَامِ مُصِيبُ

وقال على بن الجهم : قرأت على مضراب لقينة :

أَحِبُّكَ حُبًّا لَسْتُ أَبْلُغُ وَصْفَهُ

وَلَا عُسْرَ مَا أَصْبَحْتُ أُضْمِرُ فِي صَدْرِي^(٢)

(١) المثلث : نال أوتار العود . والزرير : أحد أوتاره ، أي أرفها صوتا ، وهو

رابع الأوتار (٢) العسر : الشدة والضيق

وأستتم ما ألقاه منك تشبهاً
لعل إله الخلق يدنيك من نحرى

وعلى مضراب آخر :

ياذا الذى أنكرنى طسرفه
جفوت نفسى إذ جفانى الطيب

وعلى آخر :

نضو هوم بكاً وحق له
وطال ليل الهوى عليه وما
وكتبت كرامة على طبل لها :

يا نفساً ليس ينقضى أمده
ويا محباً جفاه سيده

وكتبت أخرى على ناي :

فكيف صبرى وبئس الصبر لى فرج
والطرف يعشق من فى طرفه غنج^(١)

وقرأت على معزفة :

إن كنت تهوى وتستطيل
أعرضت عنى وخنت عهدى
كيف احتيالى وليس يأتى
منك كتاب ولا رسول

وعلى آخر :

ألد عندى من الشراب
ولم خد ككون نحر
تقبيل أنبايك العذاب
قد شفه كثرة العتاب

وقرأت على دفء:

يا بدعنا في بدع جارت علي من ذلكت^(١)
أرتي لصب نفسه ومما به قد تأنفت

وعلى آخر:

ماسرني أن لساني ولا وأن لي ملك بني هاشم
أن فؤادي منك يوماً خلا يجني إلى أولاً أولاً

وقرأت على ضنبور:

يا أول الحسن يا من لا نظير له
هلت سحائب عيني نعمة الزير
وأي مزنة غرب لا تسع دما من عاشق عند نغمة الطناير^(٢)

وعلى ضنبور آخر:

بكيت من طرب عند السماع كما
يبكي أخو قصص من حسن تذكير
وصاحب العشق يبكي عند شجوته إذا تجاوب صوت أيم والزير^(٣)

٥٥ - باب ما يكتب على الأفراس

من مستظرف الكلام

كتب بعض الكتاب على قلم أهداه:

إني لأعجب إذ يزهو به قلم أن لا يلين فيبيدي حوله ورقا

(١) البدع: جمع البدعة: ما أحدث على غير مثال سابق

(٢) المزنة: المطرة. الغرب: عرق في العين تجري منه الدمع

(٣) أيم: أغلاظ أوتار العود، وأغلاظ أصواته

يَالَيْتَنِي قَلَمٌ فِي بَطْنِ رَاحَتِي
وَعَلَى آخِرِ :
أَلْتَذُّ بَاطِنَ كَفِيهِ إِذَا مَشَقًّا^(١)

إِذَا دَخَلَ الدِّيوانَ أَشْرَقَ نُورُهُ
فِياليت أنى كنتُ في بطنِ سِكْفِهِ
وَلَمْ يَكْ لِلشَّمْسِ المُنْضِيئَةِ نُورُ

وكتب عمر بن ابراهيم البصرى على قلم أهداه لبعض غلمان ديوان الخراج :

يَا قَرَّ الدِّيوانِ يَا
كَأَنَّمَا فِي كَبِدِي
يَا أَحْسَنَ النَّاسِ مَعًا
جِدًّا وَعَيْنًا وَفَمَا^(٢)
مُلْبِسَ قَلْبِي سَقَمًا
أَنْتَ تَخُطُّ القَلَمَا

وأخبرني من قرأ على قلم لبعض الكتاب بالديوان :

إِذَا دَخَلَ الدِّيوانَ حَارَتْ عِيونُنَا
فَيَمشُقُ والتشوير في حركاته
وَقَلْنَا كَمَا قَالَتْ صَحَابَاتُ يوسُفَ
فَيُورِثُنَا مِنْ ذَاكَ مَا لَيْسَ يُوصَفُ

وَقَرَّاتِ عَلَى قَلَمِ :

إِذَا دَخَلَ الدِّيوانَ حَارَتْ عِيونُنَا
فَيَانِعَمْنَا إِنْ لَمْ تُصِبْكَ عِيونُهُمْ
وَكَادَتْ قلوبُ النَّاظِرِينَ تَطِيرُ
لَكَ اللهُ مِنْ تَمَكِّ العِيونِ مُجِيرُ

وَعَلَى آخِرِ :

أَفْدَى البَنَانِ وَأَفْدَى الخَطِّ مَنْ عَلمَ
كَأَنَّمَا قَابِلَ القَرطاسِ إِذْ مَشَقَّتْ^(٣)
وَقَدْ تَطَرَّفَ بِالحِثَاوِ وَالعَمِّ^(٣)
فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقلامِ عَلَى قَلَمِ

(١) مشق في الكتابة : مد حروفها

(٢) الجيد : العنق

(٣) العم : شجر له ثمرة حمراء ، يشبه بها البنان المنضوب

٥٦ - باب ما يكتب على الدرهم دارناشير

التي ضربت للملوك في المقاصير

قال علي بن الجهم : قرأت علي دينار في خلافة المتوكل من ضرب المدار :
وَأَصْفَرَ صَاغَتْهُ الْمُلُوكُ تَطَارِبَا بِأَسْمَائِهَا فِيهِ الذُّرُوءُ وَالْفَقْرُ
بِاسْمِ أَمِينِ اللَّهِ زَيْبَتْ سَطُورُهُ كَمَا زَيْنَ بِالتَّفْصِيلِ فِي نَظْمِهِ الذُّرُ
هُوَ الْمَلِكُ الْمَأْمُونُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِهِمْ إِنْ أَعْبَى الْقَطْرُ يُسْتَنْزِلُ الْقَطْرُ
لَهُ غُرَّةٌ فَيُنَانَةُ جَهْمَرِيَّةٌ بِهَا تَضْحَكُ الشَّمْسُ الْمُضْيِئَةُ وَالْبَدْرُ

قال : ورأيت علي دينار من ضرب المتوكل أيضا مكتوبا عليه :
وَأَصْفَرَ مِنْ ضَرْبِ دَارِ الْمُلُوكِ يَلُوحُ عَلَيَّ وَجْهَهُ جَعْفَرُ
وقرأت علي درهم من ضرب المنتصر :

دَرَهْمٌ أَيْضٌ مَلِيحُ الْمَعَانِي بِسَطُورِ مَبَيِّنَاتِ حِسَانِ
صَاغَهُ الصَّائِغُ الْمُنْمِقُ بِالْحُسْنِ نِ لِيْمَهْدِي صَيْحَةَ الْمِهْرَبْجَانِ
فِيهِ إِسْمُ الْإِمَامِ أَكْرَمَهُ اللَّهُ وَوَقَّاهُ نَائِبَاتِ الزَّمَانِ

وقرأت علي درهم :

أخى درهمي مادام ، والناس إخوتي فان غاب عني غاب كل صديق
هذه جملة مما بلغنا وفيها كفاية لمن اكتفى ، وبيان لمن تبين واقتفى ،
وما استوعبنا كل ما انتهى إلينا ، ولو قصدنا إلى تكثير ما استصعب علينا ،
وإنما قصدنا التخفيف ، لا التأليف ، والاقتصار ، والاختصار ، وليس كل
ما سمعناه ذكرناه ، ولا كل ما قيل في ذلك سمعناه ، وقد أدبنا بعض ما بلغنا ،

ووصفنا بعض ما استحسننا ، وخلقنا جدا بهزل ، واعوججا بقصد ، وجعلنا
كل ذلك في نظام ، وإلى الله نرغب في السلامة والسلام .
والحمد لله بجميل التسديد ، وهو المتفضل بالاعانة والتوفيق ، وإياه
نستعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .
كل الكتاب وتم بقوة الله ومنه ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله
على خيرته من خلقه محمد وآله ، وحسبي الله وعليه أتوكل .

فهرس الأعلام

— ١ —

أبو الأحوص ٢٦ ، ٣٠
 الأحوص بن محمد الأتصاري ٦٠ ، ٦١
 ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٤ ، ١٢٩ ، ١٦٥
 الأشطل ٨ ، ١٣١
 ابن أذينة ٦٩
 أردشير بن بابك ٥
 أزهر السمان ١٢
 اسحاق بن ابراهيم الموصلى ٨٢ ، ٢٢١
 ٢٣٧
 اسحاق الراغبي ٨٣
 اسحاق بن علي الهاشمي ٣٢٦
 اسحاق بن انندر ١٩٣
 اسحاق بن يحيى (والد مؤلف هذا
 الكتاب) ٢٥ ، ١٨٤
 أسعد بن عمرو ٦٨
 أسماء ٦٨
 أسماء بن خارجة الفزارى ١٤٩
 أسماء بنت غضيض ٢٢٩
 اسماعيل ٢٢٤
 اسماعيل بن محمد بن راشد بن سعيد ١٩٤
 أبو الأسود اللؤلؤى ٢٣
 الأصمعي ٣ ، ٥ ، ١٣ ، ١٩ ، ٥٢ ، ٥٧
 ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٣٠
 ابن الأعرابي ١٢ ، ٥٢
 الأعشى ٧٦
 الأعور الشقي ٨
 أكتفم ابن صيني ٩ ، ٢٦ ، ٢٢ ، ٤٥
 أمامة ٦٩

أبو آمنة جد النبي صلى الله عليه وسلم ١٧
 ابراهيم ١٩٤
 ابراهيم الأزدي ٩١
 ابراهيم بن حسن ١٠٥
 ابراهيم بن العباس ١٤٥
 ابراهيم بن محمد النحوى الواسطى
 (أبو عبد الله) ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٦
 ٨٨ ، ٩٤ ، ١٤٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٨
 ابراهيم بن المهدي ٨ ، ٢٤ ، ٦٣
 الأحدب ٢٢١
 أحمد بن الحسين بن المنجم المقرئ ٢٢٥
 أحمد بن عبد الله ٥٠
 أحمد بن عبد الله بن شميم ١٩٢
 أحمد بن عبيد بن ناصح ٣ ، ٤ ، ٩
 ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ٥٢ ، ٨٩ ، ١٣٨
 أحمد بن غزال ١٢٢ ، ١٢٣
 أحمد بن أبي فون ٩٧
 أحمد بن محمد بن غالب ١٩٣ ، ١٩٤
 أحمد بن المهتم المعدل ١٩٣
 أحمد بن يحيى و ثعلب ٨ ، ٩ ، ١١
 ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٥
 ٦٩ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٣٦
 ١٣٩ ، ١٤٨
 أحمد بن يحيى بن الخطيم ٥٠
 ابن أحرر ١٢٥
 الأحتف بن قيس ٢٤ ، ٢٩

النربا ٦٨
تقيف ٢٨

ج -

الجاحظ (عمرو بن بحر)
ابن جر موز ١٠٤
جرير بن الخطفي ٧٠ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ١٠٠
١٠١ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
١٨٩

جرير بن عبد الله البجلي ٢٦ ، ٦٤
جعفر ٢٧ ، ٢٤
أبو جعفر ٤ ، ٩٧
أبو جعفر القاري ٢٣٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨
أخاش ٩٢
جل ٦٤ ، ٦٨
جميل بن عبد الله بن معمر العذري ٥٦ ،
٥٧ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ،
٨٢ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٨٩
جناح ٢٢٥

ح -

حاتم طي ٥ ، ٦٨
أخايف السيوطي ٢٥
أخياب ٢٢٢
حبيب بن أوس (أبو تمام) ٣٤ ، ١٠٠
حبيشة ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١
الحجاج بن يوسف ٤٧
أبو حذرد الأسدي ١٠٩ ، ١١٠
أبو حرب ٢٢١ ، ٢٢٥
الخرقة بنت النعمان ١٩
حسان بن ثابت الأنصاري ١٣٤
الحسن البصري ٣٠
حسن بن الحسن بن علي ٢٨ ، ١٠٥

أبو أمامة ٢٦
أمرؤ القيس بن حجر ١٠ ، ١٣٢
الأميلس ١٩٠
ابن أمية ٥٠
أنس بن مالك ٢٦ ، ١٩٦
الأوزاعي ١٢
أرس بن حجر ٢٧
أيوب السجستاني ٣٩

ب -

الباغندي ١٤
بثينة ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧٧
البحري (الوليد بن عبيد)
بدر ٦٨
البراء بن عازب ٢٥
بشار بن برد العقبلي ٢٢ ، ٥٠ ، ٩٦
١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٢٨
بشامة بن عمرو المزني ١١
بشر بن أبي خازم الأسدي ٦٨
بشر بن السري ٣١
بشر بن موسى الأسدي ٣
أبو بكر بن أبي الدنيا ٢٦
أبو بكر الصديق ٤١ ، ١٠٢ ، ١٨٤
بكر بن عبد الله المزني ٨
بنان ٢٢٠
بنان الشاعر ٢٢٣
أم البنين ١٨

ت -

تباريح الكوفية ٢٢٣
أبو تمام (حبيب بن أوس الطائي)
توبة بن الحير ٦٨

ث -

ثابت البناني ٢٦

— د —

ديسة ٢٢٥
 دجيل بن يحيى (الغزالي) ١٢٢٠ - ٤٥
 ٦٨ - ١٢٥
 أبو دلف المجل ٢٤٤
 ابن السمينة ١٩
 ابن أبي الدنيا ٨٧
 أبو دجيل الجسني ٦٩

— ذ —

أبو ذؤيب الهلبي ١٢٧٠ - ٧١
 الذناب ٦٨
 ذويت ٢٢٧

— ر —

راهي ٢٢١
 ربيعة بن السجاج ٣
 ربيعة الرأي ٩
 أبو ربيعة العامري الكوفي ١٠٤
 أبو الرجال ١٩٦
 الرشيد ٢٢٥ - ٢٢٦
 زينة الرصافية ٢٢٥
 ابن أبي الرعد ٨٧
 رفاعة الفقعسي ١٣٨
 رقية بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
 ذو الرمة ٦٨ - ١٨٨
 ريسان الأذري ٦٩

— ز —

الزبير بن بكار ٦٢ - ٩٤ - ١٣٦ - ١٤٨
 ٢٢٤ - ١٨٩

أبو الحسن بن الرعي (علي بن العباس
 ابن الرعي)

الحسن بن عليان (أبو علي الضري)
 الحسن بن علي ٢٨
 الحسن بن قارق ٢٠١ - ٢٠٢
 الحسن بن وهب ٢٠٩ - ٢١٦ - ٢٢٥
 ٤٢٦ - ٢٤٧
 الحسين الخليل ١٤٦ - ١٥٥
 الحسين بن طاهر ٥٥ - ٦٩
 حصن بن شمس ١٠٨
 حصن بن مخارب ١٥٩
 الحكيم بن معمر الحضرمي ١٥٩
 الحكيم (أبو نواس)
 حمدونة بنت المهدي ٢٣٥ - ٢٣٧
 حمزة ٦٨
 الحيدى ١٤

— خ —

خاضع ٢٢٧
 خالد الأسدي ٣٨
 خالد خياوية ١٦٦
 خالد بن صفوان ٢٤ - ٣١ - ٣٨
 خالد بن الوليد ١١٠
 الخطابي بن بندر ٩
 خلف بن صفوان ١٤
 خلوب ٣٦
 الخليل (الحسين الخليل)
 خليل بن حمد ٣ - ١٢ - ١٩٣
 خند ٢٢٣
 ابن أبي خزيمة - ١٠٢ - ١٣٩
 الخيزران ٢٢٠

سكينة بنت الحسين ٦٢ ، ٧٧٠
 سلامة القيس ٥٤ ، ٦٨٠
 سلم ٢٢٨
 سلم بن قتيبة ٤
 سلمة بن الفضل ١١
 ابن السلمي ٢٢١
 سليمان بن خلوص ١٣ ، ١١٦ ، ١٩٠
 سليمان بن عبد الملك ٨٠ ، ١٠٨ ، ٨٢٠
 سليمان بن عياش السعدي ١٣٦
 سماك بن حرب ١٥٠
 ابن سهل بن سعد (عباس بن سهل)
 سهل بن سعيد السعدي ٢٤
 سهل بن نصر ١٩٣
 سهوب بن أبي كاهل ٦٥
 ابن سيرين (محمد بن سيرين)

— ش —

شادن ٢٢٣
 أبو الشبل ١٧٢
 شبل ١٨
 شريك ٢٤٠
 شريك بن عبد الله القاضي ٩١
 الشعبي ٢ ، ٧٠ ، ١٠٠
 شيبان ٢٢٦
 شيارج ٢٣٩
 شيبدة الطيمورية ٢٧٦
 ابن أبي شيبدة ١٨٤
 أبو الشيص ٦٩ ، ١٣٠ ، ١٧٥

— ص —

صالح بن حسان ١٠٥
 أبو صخر الطائلي ٦٩
 الصخري ٢٤٠

الزبير بن العوام ٤ ، ١٠٤
 زبير ٢٢٧
 زبون ٢٢٣
 زينة ١٥٤
 أبو زهرة ٣٩
 الزهري ١٢
 زهير بن أبي سلمى ٢١ ، ٢٢ ، ١٤٠
 ابن زياد (سعيد الله بن زياد)
 أبو زيد ٣٥
 زير ١٠٥
 زين ٢٢٤
 زينب ٦٨

— س —

سانب خاز ٩٢ ، ١٣٦
 أبو سائب المخزومي ٨٩
 ابن الساهر ٢٢٨
 سعيد بن عبد بن الحساس ٢٢٨
 سعاد ١١٢ ، ١٣٤
 السعدية ٢٢٨
 سعيد بن حميد ٢٠٠ ، ٢١٦
 سعيد بن العاص ١٥ ، ١٠٧
 سعيد الثماري ١٣٦
 سعيد بن فيس ٢٣١
 سعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الأنصاري

١٩٢

سعيد الساجي ٢٣ ، ٢٢٠
 سعيد بن المسيب ٩١
 سعيد المقبري ١٩٢
 سفيان ١٤
 سفيان الثوري ٩٤
 أبو سفيان ٩٤
 ابن السكيت (يعقوب بن اسحاق)

أبو العباس بن الفضل الربيعي ٢٧
 العباس بن الفضل بن الربيع ٢٥٦
 أبو العباس محمد بن يزيد (المبرد)
 عباس التميمي ٢٣٨
 عبد الحميد المناطلي ٩٧ - ٢٣٥
 عبد الله بن أبي بكر ١٠٢ - ١٥٤
 عبد القيس ٣٧ - ٣٥
 أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحوي
 الراسبي (بقره)
 عبد الله بن ادريس ١٨٤
 عبد الله بن بكر السهمي ٤٠
 عبد الله بن أبي بكر الصديق ١٨٤
 عبد الله بن حسن بن الحسن ١٠٥
 عبد الله بن الحسن بن علي ١٩
 عبد الله بن سميط بن عجلان ٣٩
 عبد الله بن شبيب ٩٠ - ٩١
 عبد الله بن صالح ٣١
 عبد الله بن طاهر ١٧
 عبد الله بن عباس ٤٠٤ - ٩٣ - ٩٦
 ٩٨ - ١٠٥ - ١٩٤
 عبد الله بن عبد الرحمن القس ٥٣
 عبد بن عبد الله بن طاهر ٣٣ - ١٧٩
 عبد الله بن علقمة ١٠٩
 عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
 عبد الله بن المبارك ٣٦
 أبو عبد الله بن مسرف ١٥٠
 عبد الله بن مسعود ٢٦ - ٣٠
 عبد الله بن مسلم بن جندب ٩٤
 عبد الله الواسطي (أبو عبد الله إبراهيم
 ابن محمد)
 عبد المطلب ١١
 عبد الملك بن مروان ٤٠ - ٤٤ - ٤٧
 ٥٣ - ٥٦ - ٧٧ - ٨٣

صعصعة بن صفران ٩٣
 الصمة بن عبد الله التميمي ٦٩
 - ض -
 ضب بن الفراء صفة ١٠٧
 - ط -
 طاهر ٢٣٩
 ابن التائرية ١٩
 طرفة ٣٠
 الطرماح ٢٢
 أبو الطيب الوشاء ٩٠١ - ٥٥٠ - ٥٥٠
 ٥٦ - ٦٠ - ١١٤ - ١١٥ - ١٤٧ - ١٩١
 ٢٤٨ - ٢٠٥
 - ظ -
 ظلم ٢٤٠
 - ع -
 عائشة ١٨٤
 عائكة بنت زيد بن عمرو بن قيسل
 ١٠٣ - ١٠٢
 العاجي ٢٢٧
 عارم ٢٢٥
 ابن عاصم ٢٣٦
 عامر بن صعصعة ١٢٣
 ابن عباس (عبد الله بن عباس)
 أبو العباس (أحمد بن يحيى ثعلب)
 العباس بن الأحنف ٤٩ - ٦٢ - ٦٣
 ٦٤ - ١٧٨ - ١٨٦ - ٢٤٠
 عباس بن سهل بن سعد الساعدي ٥٧
 أبو العباس الشيباني ١٧

العلاء بن أسد ٣
علاء بن ٢٢٢ بن علي بن ابي طالب ٦٨
علي بن ثابت الكتاب ٤٥
علي بن الجهم ٦٧ ، ١٢٦ ، ١٩٩ ، ١٩٩
٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ١٠٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣
أبو علي الحسن بن علي بن العباس ٢٩ ،
١٨٩ ، ٩٤
علي بن أبي طالب ١٩ ، ٣٢ ، ٣٩ ،
١٠٣ ، ٥٤ ، ١٠٤ ، ١٨٤
علي بن العباس بن الرومي ٦٦ ، ٩٢ ،
١٣٤
علي بن عمرو الأنصاري ١٠٤
علي بن عيسى بن عبد الله الهاشمي ٢٤٤
علي بن عيسى بن يزيد ٧٥ ، ٢٣
علي بن هشام ٤٢ ، ٤٤
عليه بنت المهدي ١٣٧ ، ٢٤٥
عمارة بن عقيل ٤
أبو عمر ٣٨
عمر بن إبراهيم المصري ٢٥٢
عمر بن الخطاب ٤ ، ١٣ ، ٢١ ، ٢٤ ،
٢٢ ، ٢٩ ، ٤٤ ، ١٠٣ ، ١٨٤
عمر بن أبي ربيعة ٣٤ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٧١ ،
١١٥ ، ١٩٧
عمر بن شبة ١٣٠
عمر بن عبد العزيز ١٣ ، ١٤ ، ٢١
عمر بن نجاشي ٩٥
عمر بن هبيرة ٣٩
عمرو ٦٨
عمرو بن بحر (الجاحظ) ٢٧ ، ٧٩ ،
٩٧ ، ٨٠ ، ٢٢٢ ، ٢٤٠
عمرو بن العاص ٢٠ ، ٤٠
عمرو بن نجلان ٦٨ ، ٦٩
أبو عمرو العوفي ٢٠

عبيد بن شريك ١٩٢
عبيد الله بن زياد ٤٠
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠ ، ٤٩ ،
١٤٥ ، ١٥٢
عبيد الله بن عبد الله بن عقبة بن
مسعود ١٣٩
عبيد الله بن قيس الرقيات ٦٨ ، ١٣٦
عبيد الماجن ٢٤٢
أبو عبيدة ٣٢
العتابي ٣٦ ، ٤٠
أبو العتاهية ٦ ، ٧ ، ١١ ، ٢٩ ، ٤٢ ،
٦٩ ، ٨٧
عتبة ٦٩
عتبة بن هبيرة الأسدي ١٦
العتبي ٤ ، ٧٨
أبو أبي عتيق ٥٧ ، ٧٢ ، ٩٢ ، ١٣٦
عثمان بن عطاء بن مسلم ٣١
عثمان بن عفان ١٠٧ ، ١٠٨
ابن نجلان ١٩٢
عدي بن حاتم ٤٦
عدي بن زيد العبدي ١٦
العريبي ٢٥
عروة بن أريانة الليثي ٦٢
عروة بن حزام العبدي ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
٧١ ، ٧٢ ، ١١١
عروة بن الزبير ٩٦
عروة بن الورد ١٤١
عريب ٢١٩
عزة كشمير ٦٨ ، ١٣٨
عطاء بن مسلم ٣١
الخطوي ١٢٨ ، ١٩٠
عفران بنت عقاب ٦٨ ، ٧٢ ، ١١١
عكرمة ١٩٤

فيحة ٤٢ + ٦٨ + ٢٢٦
 قسبة ٢٤٩
 الفطامي ١٠٧١ + ١٣٧٠ + ٢٤٧١
 فوس بن المشادية آخر امي ٥٦
 فوس بن شاذي ٦٨ + ٨١
 ابن فوس الرقيات ٩٢
 فوس بن الفوح (فلول بن م -) ٩٦
 ٦٨ + ٧٣ + ٧٤ + ٧٥ + ٧٦ + ٧٨ + ٨٠
 فيصر ١٠

- ك -

كثير عزة ٢٢ + ٤٨٠ + ٦٨٠ + ٧١٠
 ٧٧ + ٩٣٠ + ١٢٦٠ + ١٣٨٠ + ١٤٠٠ + ١٧٥٠
 أبو كثير الخلفي ٦٩
 كثيرة ٦٨
 كبرى ١٠
 كعب الأحيار ٢٩
 كعب بن زهير ١٣٤ + ١٣٥ + ١٤٠
 ابن الكلي ٥٠
 الكليات بن زيد ٨٦

- ل -

لاهي ٢٢٥
 أبو لؤلؤة ١٠٣
 لبني ٦٨ + ٢٢٨
 لدة ٦٨
 لقمان ٧
 لمح ٢٢٨
 ليلى الأخيلية ٦٨
 ليلى بنت صيني ٦٨
 ليلى العامرية ٦٨ + ٧٣ + ٧٤

- م -

ماجن ٢١٩

عمر بن قنار ٧٩
 عمري بن مرة الجاني ٢٠
 عمرة ٦٤
 عنان ٢٢٩
 عيسى بن جعفر بن المنصور ٢٢٥
 عيسى بن مريم ٧
 أبو العيثاء ٢٧ + ٧٩ + ٨٩ + ٩٧
 ابن عويمة ٣١

- ح -

الحمر بن ضرار ٦٨

- ف -

فاطمة بنت حسن بن علي ١٠٥
 فاطمة بنت محمد بن عمران ٢٤٠
 فاطمة بنت المنذر ٦٨
 فالون ٦٨
 الفتح ٦٧
 ابن الفهر الفصحة بن الأحرص السداني

(تامله)

الفرزفي ٧٨ + ٩٩ + ١٢٢٢ + ١٨٨
 أبو الفضل الرومي ١٠٤
 الفضل بن الربيع ٢٢٥
 فضل الشاعر ٦٨ + ١٢١
 الفضل بن عياض ١٨
 الفضل بن غسان البصري ٣١
 الفقيهي ٤٥
 فوز ٦٩

- ق -

قائد ٢٢٨
 قابوس ٦٨
 قاسم الزبيدي ٩٦

محمد بن عبد الله بن طاهر ٣٥٠٥
 ١٨٥٠ ١٩١٠ ١٩٩٠
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦
 ١١٠٧٠ ١٤٠١٥٠ ٢٠٠٢٦٠ ٢٤٠٢٥٠
 ٢٦٠٢٨٠ ٢٩٠٣٠٠ ٣٤٠٣٩٠ ٤١٠٤٢٠ ٤٦٠٤٧٨٠
 ٥١٠٥٦٠ ٦٦٠٧٢٠ ٩٣٠١٠٧٨٠ ١٢٠١٣٥٠ ١٨٦٠١٣٥٠
 ١٨٥٠ ١٩٢٠ ١٩٣٠ ١٩٦٠ ٢٥٤٠

محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
 محمد بن عبد الله بن مسلم بن جندب ٩٤
 محمد بن عبد الملك الزيات ٢٠١ ٢١٧
 محمد بن أبي العتاهية ٦
 محمد بن علي بن الحسين ٣٩
 محمد بن عمرو بن مسعدة ٢١٩
 محمد بن القرات ١٩٣
 محمد بن المأمون ٢٢٢
 محمد بن مسلم بن سهاب الزهري ١١٠
 محمد بن نصر الخارثي ٣١
 محمد بن واسع ٣١
 محمد بن يحيى ٩١
 محمد بن يزيد (المبرد) ٣ (١٨٠٢٢٠٢٢)
 ٢٧ ١٣٨٠
 أبو محمد الزبيدي ٩ ١٦٠
 محمد بن يونس القديسي ١٩٦
 محمود البوراني ١٤ ١٨٠ ٥٦ ٥٩

١٣٧
 بخارق ٦٦ ٢٤٩
 ابن بخارق ٦٦
 الخليل السعدي ٦٨ ١٣٠
 الخداتي ١١٠
 المدلة البكرية ١٠٥
 ابن مرجانة ٩١
 مرقس الأصغر ٦٨

المارقي ٢٢٢ ٢٣٦
 ماري مريم ٢٢٧
 المازني ٢٤٠
 مالك بن أنس ١١
 مالك بن عمرو النساني ١١٢
 الماهانية ٢٢١ ٢٢٩
 مؤلف ٢٤٠
 المؤمل بن أميل ٦٨ ٩٢ ٩٥ ١٢٨٠
 المأمون ٤٤ ٦٣ ٦٦ ٢٢٣ ٢٢٣
 ٢٣٤ ٢٣٤ ٢٣٨ ٢٤٦ ٢٥٣
 الماوردي ٣١٩ ٢٢٣ ٢٢٨
 ماوية ٦٨
 المبرد (محمد بن يزيد)
 المتوكل (الخليفة) ٦٧ ٧٩ ٢٣٠

٢٥٣
 المتوكل الكنتاني ٢١
 المتلس ١٤٤
 متيم ٣٦
 المتني بن خارجة ٤٣
 مجاشع ٢٨
 مجاهد ١٥ - ٣٠
 مجنون بن عامر (قيس بن الملاح)
 محمد بن ابراهيم الفارسي ٤
 محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى ٧٩

٨٢ - ٨٥
 محمد بن ابراهيم الحمداني ٤٥ ١٩٩
 محمد بن اسحاق ١١٠ ١٨٤
 محمد بن جعفر بن الزبير ٨٥
 محمد بن الجهم ٤٢
 محمد بن حرب ٣٧
 محمد بن حميد الخراساني ١١٠
 محمد بن خلف ١٥٧
 محمد بن سيرين (ابن سيرين) ٥٢

المهلب بن أبي صفرة ٤١٠ - ٤١٠
 المهلب بن
 موسى ١٥٣
 موسى بن اسمعيل المنفري ١٣٠
 موسى الخادي ٢٣٠
 ابن ميادة ٦٩
 الميلاء ٦٨
 مية ٢٨ - ٨٤

ن

نائلة بنت النرافصة ١٠٧ - ١٠٨
 النابغة الذبياني ٢٣
 ناعم ٢١٦
 نافع بن خفيف ١٤٤
 نشوان ٢٢٣ - ٢٤٤
 نصيب ٦٨ - ١٢٩ - ١٤٠ - ١٤٨ - ١٧٦
 النضاف ٢٢٩
 نعم ٦٨
 النعمان بن بشير الانصاري ١١٢
 النعمان بن المنذر ٦٩
 النمر بن تولى ٦٨ - ١٥٨
 النهدي ٧٠ - ٧١
 أبو نواس (الخكعي) ٣٢ - ٩٦
 ١٢٣ - ١٥٧ - ١٦٦ - ١٨١ - ٢٢٩

- ٥ -

ماتف ٢٢٧
 أبو هريرة ٧٠ - ٢٠ - ٢٥ - ٢٨ - ١٩٢
 ١٩٣
 الحرثادي ٦٠
 هشام ٦٠
 هشام بن حسان ٨٢
 هشام بن عبد الملك ١٣٨

مروان الأكبر ٦٨ - ٧١
 مروان بن أبي حنيفة ٧٠ - ١٩١
 ابن أبي سريته ٩٢
 مسمر بن كندم اخلاقي ١٥
 أبو مسلم الكلابي ١٨٩
 مسلم بن الوليد ٩١
 مسلمة بن عبد الملك ٢٩
 مشتاق ٢٢٦
 مطرف بن الشخير ٢٣
 المنطع بن ابريس ١٨ - ٢٤
 معاذ ٣٠
 معان ٢١٦
 معاوية بن أبي سفيان ٢٠ - ٢٩ - ٤٠ - ٤٠
 ٤٧ - ١٠٩
 معاوية بن قررة ٥٠
 المعتصم ٦٧
 معمر ١٠٥ - ١٠٦
 معرة ١٩٤
 المغيرة بن أبي حمام البكري ١٠٤
 المغيرة بن أبي عقيل ١٠٤
 المقفع الكندي ٣٣
 مكاتم ٢١٩
 ملك ٩٧ - ٢٢٦
 أبو المبيع ١٨٤
 ابن أبي مليكة ١٨٤
 المنتصر ٢٥٣
 المنصور ٢٩٠ - ٤
 ابن المنكدر ١٤
 منبه ٦٨
 منية ٦٨
 ابنة المهدي (عليبة بنت المهدي)
 مهدي بن الملوخ الكلابي ١٨٩
 المهدي ٦٨

الخلالي ٣٨

— ي —

- يحيى بن أكرم ١٦
يحيى بن أيرب ١٩٢
يحيى بن خالد البرصكي ٣٦
يحيى بن أبي كثير ١٢
يحيى بن ماسويه ٦٧
يحيى بن محمد المسلمي ٢٤٤
يزيد بن بيان ١٥٦
يزيد بن جبل ٤٤
يزيد بن عبد الملك ٥٤
يعقوب بن اسحاق (ابن السكيت) ٥١، ٢٧
أبو يعقوب الخرمي ٤٥
يعقوب بن عقبة بن المغيرة الثقفي ١١٠
يعقوب بن يزيد التمار ٤٣
يعلى بن منبه ١٤
يوسف ١٥٤
يوسف الأعور ٢٧
يونس ١٢
يونس بن عبيد ١٨

- هند ٦٨، ٦٩، ٧٠
هند ابنة الفرائصة ١٠٧
الهيثم بن أسعد النخعي ٩
الهيثم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ١٠٥
الهيثم بن عدي ٨٢، ١١٣، ١٥٣

— و —

- أبو وائل الأضاحي ٨٩
واثلة بن الأسقع ١٤٨
واجد الكوفية ٢٢٦
واصل مولى بن عيينة ٣١
أبو وجزة السعدي ٦٩
الوضاح بن ثابت الكاتب ١٩٩
وضاح الثمين ٦٨
الوليد ٣٠
الوليد بن عبيد البحرى ٦٨

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	الرقم	الموضوع
١	مقدور :	٤٣	١٢ - باب ما جاء في قبيح خلف الموايد
ب	الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية	٤٦	١٣ - الخبث على كتمان السر
		٥١	١٤ - سنن النظر
ع	موضوعات الكتاب	٨٢	١٥ - من مات من شدة الفقد
ف	نسخ الكتاب	٨٦	١٦ - من وصف الحب
	آثارنا في الكتاب	٨٨	١٧ - ما في معرفة الهوى
ق	ما صار إليه الكتاب	٨٩	١٨ - ما مثل عنه أهل الصدق
	رجاء	٩٩	١٩ - ما جاء فيمن تعذب في محبته
	التعريف بالمؤلف :	١١٥	الجزء الثاني من كتاب الموشى
	نسبه	١١٦	مقدمة الجزء الثاني
ر	مولده	١١٦	٢٠ - باب صفة ذم القيان
		١٤٤	٢١ - ما جاء في مصارمة ذوى الفدر
	تأليفه	١٥١	٢٢ - النهي عن الخورى
ش	شعره	١٦٠	٢٣ - ذكر زى الطرفاء في اللباس
س	مصنفاته	١٦١	٢٤ - زى الضراف في التتكمك
ت	وفاته		والنعال والخفاف
١	خطبة الكتاب	١٦٢	٢٥ - زيمم الخوص في الخواتيم
٢	مطلب في الحد		والنصوص
٣	١ - باب البيان عن حدود الأدب	١٦٢	٢٦ - زيمم في التهطير والطيب
٤	٢ - النهي عن مازحة الأخلاق	١٦٣	٢٧ - في منظر فوات النساء
٥	٣ - الأمر باختيار الأخوان	١٦٤	٢٨ - زيمم الخائف لزي الرجاء
٦	٤ - الخبث على صحبة الأخوان	١٦٧	٢٩ - ذكر زى الطرفاء في الطعام
٧	٥ - صفة للمتجابين في الله عز وجل	١٧١	٣٠ - ذكر زيمم في الشراب
٨	٦ - البشاشة بالأخوان	١٧٢	٣١ - ذكر الاشياء التي يتغير الفرقاء
٩	٧ - اتفاق القلوب		من أهدائها
١٠	٨ - النهي عن استعمال الإفراط	١٧٨	٣٢ - ما قيل في صفة النور
١١	٩ - في حب السديق	١٨١	٢٣ - ذكر التفتاح
١٢	١٠ - الأمر باغياب زيارة الأحباب	١٨٤	٣٤ - ما جاء في السواك
١٣	١١ - شرائع المروة وصفتها	١٩٢	٣٥ - صفة ذوى النظر

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
باب ما وجد على السطور والوسائد	٢٢٠ - ٤٥	باب ما اختير من الفاظ الادباء	٢٦ - ١٩٩
ما وجد على المناص والحجل	٤٦ -	في المكانيات	٢٢٢
ما يكتب على الجناس	٤٧ -	ما ضمنوه كتبهم من الاشعار	٢٢٤ - ٢٧
والابواب		وما ضمنوه كتبهم عن السلام	٢٨ - ٢١٠
ما وجد للمتطرفات والظراف	٤٨ -	باب ما كتبوه على العنوانات	٢٩ - ٢١١
ما يكتب بالحناء في الوطأة	٤٩ -	ما يكتب على الفصوص	٥٠ - ٢١٢
والوشاح		وما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم	٢١٤
ما يكتب على الجبين والحد	٥٠ -	وفي ضرب آخر	٢١٤
ما يفلج به انتفاح	٥١ -	وما ينقشه أهل الطوى على خواتيمهم	٢١٥
ما يكتب على القناني والكاسات	٥٢ -	وفي ضرب آخر	٢١٦
ما يكتب على أواني الفضة	٥٣ -	وفي ضرب منه آخر	٢١٦
والذهب		باب ما وجد على التفاح	٤١ - ٢١٧
ما يكتب على العيبدان	٥٤ -	ما وجد على ذيول الاقمصة	٤٢ - ٢١٩
والمضارب		والاعلام	
ما يكتب على الأقلام	٥٥ -	ما وجد على الكرازين	٤٣ - ٢٢٢
ما يكتب على الدرهم والدينار	٥٦ -	والعصائب	
فهرس الاعلام	٢٥٥	ما وجد على الزنانير	٤٤ - ٢٢٦

تتصيب ما في الكتاب من أخطاء

الصفحة	سرد	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١	١٦	عن ما	عما	٤٨	٨	السر	السر
١	٢١	الحق	الحق	٤٨	٢٠	شجاعة	شجاعة
٢	٢	وقل ما	وقلما	٤٩	٤	الزيت	الزيت
٢	٦	لا تترحن	لا تترحن	٥٦	١٦	سادتيه	سادتيه
٣	١٣	نقطية	نقطية	٦٦	٢١	بيتا	بيتا
٤	٢١	منطوي	منطوي	٧٢	١	وكفا	وكفا
٥	٢١	الذات	الذات	٧٥	٧	ث رني	ث رني
٦	١٢	وليس	وليس	٧٥	١٠	الذخ	الذخ
٨	٩	نصت	أنصت	٧٥	٢١	بضم النون	بضم النون
٨	١٤	وقصه	أوقصه	٧٨	٦	تقطب	تقطب
٨	٢٠	شدانه	شدانه	٧٩	٤	عن	عن
٩	٢	تعد	تعد	٧٩	١٩	ذا خلق	ذا خلق
٩	١٣	خبيبه	خبيبه	٨١	١١	ضبطة	ضبطة
١١	٤	نبيتا	نبيتا	٨٧	١	من	من
١١	١٦	عمرو	عمرو	٨٧	١٣	رأيت	رأيت
١٤	١٩	وغره	أوغره	٩١	٥	بجبركم	بجبركم
١٥	١	كرام	كرام	٩١	٥	بصبت	بصبت
١٥	١٠	وتقبش	وتقبش	٩٣	٢	بشاب	بشاب
١٦	٣	أكبركم	أكبركم	٩٣	١٣	وأي أرض	وأي أرض
١٦	١٧	الزبيدي	الزبيدي	٩٣	١٨	جاني خير	جاني خير
١٧	١٨	تقياً	تقياً	١٠٣	١	بائن	بائن
١٨	٢٠	عقا	عقا	١٠٣	١١	عائكة	عائكة
٢١	٧	الخطي	الخطي	١٠٤	١٢	الذي	الذي
٢١	٦	آباء	آباء	١٠٥	١٦	ومحمد	ومحمد
٢٩	١٨	أعرباً	أعرباً	١٠٨	١	بسة	بسة
٣٠	٦	وثبتت	وثبتت	١٠٨	١١	تقومن	تقومن
٣١	١	التقوا	التقوا	١٠٩	٢	العلماء	العلماء
٣٣	١٠	معدنا	معدنا	١١٢	٢	فهاهي	فهاهي
٣٣	٢٢	جنم	جنم	١١٧	١٠	الأماء	الأماء
٣٥	٨	محمد	محمد	١٢٣	٤	المعاش	المعاش
٣٥	١١	ومديل	ومديل	١٢٣	٥	درتها	درتها
٣٦	٤	قربا	قربا	١٢٤	١٥	لهم	لهم
٤٠	١٤	ما آت	ما آت	١٢٥	٥	أعرف	أعرف
٤٣	٥	النبي	النبي	١٢٦	٢	تأملق	تأملق
٤٣	٥	أؤمن	أؤمن	١٢٦	٥	مجيل	مجيل
٤٣	١٤	لسكلا	لسكلا	١٢٧	٢٠	المرقاني	المرقاني
٤٥	٣	تقارنه	تقارنه	١٣٠	٤	مقل	مقل
٤٨	٧	السر	السر	١٣٠	٥	أخبركم	أخبركم

الصفحة	السطر	الخطأ	الاصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
١٣٠	١٣	بالغيوبه	بالغيوب	١١	١٨٢	تأكل تفاحه
١٤٣	٣	بليافته	بليافته	١٢	١٨٢	فالمشرو والشر
١٤٣	٩	ظا	غابه	١٠	١٨٦	جوارى
١٤٤	٨	لا --- أسماء	ألا يا --- أسماء	٤	١٨٧	بعمته
١٤٦	٦	اختيار	اختبار	٧	١٨٨	الغر
١٤٦	٨	انقصوا	انقصوا	١٠	١٨٨	جوي
١٤٦	١٤	قبل --- دها أناذ	قبل --- وما أناذ	١٢	١٨٨	برد تحذر
١٤٨	١٢	اصيب	اصيب	٢	١٩١	واعتمروا
١٥٧	٣	ليلي	ليبي	٣	١٩١	فأخفيق
١٥٨	٢	فاعبي	فأعيا	٤	١٩٧	ومداراته
١٤٩	٦	يعجز	يعجز	٢٠	١٩٨	والزلة
١٦١	١٩	للشخب	الشخب	٦	١٩٩	حقوتنا
١٦٣	٢	يستعملونه	يستعمله	١١	٢٠٠	محمد
١٦٥	٩	بالأبراسم	بالأبراسم	١٩	٢٠٠	بترى
١٦٦	٣	الطرف	الظرف	٩	٢٠١	وتعل ما
١٦٦	٢٠	أرتبيه	أرتبه	١٢	٢٠١	منه
١٦٧	٧	يهديها	يهديه	١٢	٢٠١	عقي
١٦٧	١٧	١٩	٢١	١٨	٢٠٢	يتوقع كتابه جوار
١٦٩	٥	والأريبان	والأريبان (٢) ثم	٢١	٢٠٢	الثلث
١٧٠	٨	عن ما	تصحح الأرقام التالية	٩	٢٠٣	عزيتته
١٧٠	١٦	الطيار	عما	٦	٢٠٤	مكتته
١٧١	١	تيفتك	البيطار	١٦	٢٠٦	كالجنان
١٧١	٦	القوم	وتيفتك	١	٢٠٧	وميتته
١٧٢	١٣	البيطار	العوام	٥	٢٠٨	فأحيا
١٧٣	٧	إسمك	البيطار	١٢	٢٠٩	الحسن
١٧٦	٥	بل أتما متبستان	إسمه	٦	٢١٤	تولاهم
١٧٨	٣	يشه	بل أنجا متبستان	٦	٢١٥	تكشف
١٧٨	١١	أين	يشه	١٢	٢١٩	قيص
١٧٨	١٣	وزاويه	أين	١٥	٢١٩	منه
١٧٨	١٤	بالجاب	وزاويه	٧	٢٢٤	هيئات اذاك
١٧٩	٨	ممن	بالطبيب	١٠	٢٣٣	وحر
١٧٩	١٢	بجه	ممن	١٠	٢٣٣	أمر
			بجه	٥	٢٣٤	الحال